العشرة

المبشرون بالجنة

تأليف
صلاح الدين محمود السعيد

الناشر
دار البيان العربي



العشرة
المبشرون بالجنة

اسم الكتاب : العشرة المبشرون بالجنة

اسم المؤلف : صلاح الدين محمود السعيد

مقاس الكتاب : ١٧ x ٢٤

عدد الصفحات : ٢٠٨ صفحة

عدد الأجزاء : جزء واحد

رقم الإيداع : ٢٢٦٠٦ / ٢٠٠٦ م



دار البيان العربي

الأزهر درب الأتراك ت: ٥١١٨٠٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

(آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

وبعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

وبعد:

فإن الله عز وجل اصطفى أصحاب النبى ﷺ على سائر الخلق بعد الأنبياء والرسل واختارهم لصحبة نبيه ﷺ ورضى عنهم ورضوا عنه.

وإن أفضل الصحابة منزلة هم العشرة المبشرون بالجنة رضى الله عنهم، وأفضل العشرة الخلفاء الأربعة بحسب ترتيب الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم جميعًا وفى هذا الكتاب سيرة هؤلاء الصحب الكرام.

فأسأل الله عز وجل أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته وأن ينفعنى والمسلمين بهذا العمل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو أنس/ صلاح الدين محمود السعيد



تعريف الصحابة لغة واصطلاحًا

تعريف الصحابة لغة:

قال الفيروز آبادى:«استصحبه: أى دعاه إلى الصحبة ولازمه[١].

وقال الجوهرى: «والصحابة بالفتح» الأصحاب وهى فى الأصل مصدر، وأصحبته الشيء: جعلته له صاحبًا، واستصحبته الكتاب وغيره وكل شيء لاءم شيئًا فقد استصحبه»[٢].

وقال أبو بكر بن الطيب: «لا خلاف بين أهل اللغة فى أن القول (صحابى) مشتق من الصحبة وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيرًا كما أن القول (مكلم ومخاطب وضارب) مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب وجار على كل من وقع منه ذلك قليلاً كان أو كثيرًا يقال: صحبت فلانًا حولاً ودهرًا وسنة وشهرًا ويومًا وساعة فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب فى حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبى ﷺ ولو ساعة من نهار[٣].

تعريف الصحابة فى الاصطلاح:

أما تعريف الصحابى اصطلاحًا فقد اختلف فى ذلك: فعن عبد القدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكر من أصحاب النبى ﷺ أهل بدر فقال: «ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذى بعث فيهم كل من صحبه سنة أو شهرًا أو يومًا أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه»[٤].

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٩٥).

(٢) الصحاح (١/ ١٦١) باختصار وانظر لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٨٦) والمعجم الوسيط(١/ ٥٠٧) وانظر أيضًا التعريفات للجرجانى (١٧٣).

(٣) انظر: الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى (٦٩، ٧٠).

(٤) انظر: الكفاية (٦٩) وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٧٧) ومقدمة ابن الصلاح (١٤٦).

وقال الإمام البخارى رحمه الله: «من صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»[١].

وقال على بن المدينى: «من صحب النبى ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبى ﷺ»[٢].

وقال سعيد بن المسيب: «الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين»[٣].

وتعريف سعيد بن المسيب هذا تعقبه الحافظ ابن حجر بقوله: «والعمل على خلاف هذا القول لأنهم اتفقوا على عد جمع جم من الصحابة لم يجتمعوا بالنبى ﷺ إلا فى حجة الوداع»[٤].

والتعريف الصحيح المعتمد هو ما قرره الحافظ ابن حجر بقوله: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابى من لقى النبى ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام».

ثم قال شارحًا التعريف: «فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى، وقولنا: (به) يخرج من لقيه مؤمنا بغيره كمن لقيه من مؤمنى أهل الكتاب قبل البعثة، ويدخل فى قولنا: «مؤمنًا به» كل مكلف من الجن والإنس... وخرج بقولنا: «مات على الإسلام» من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد ومات على ردته، والعياذ بالله، ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد»[٥].

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح (٧/ ٣).

(٢) انظر: فتح البارى (٧/ ٥).

(٣) انظر: الكفاية (٦٨، ٦٩) وانظر أيضًا أسد الغابة (١/ ١٨).

(٤) فتح البارى (٧/ ٤).

(٥) الإصابة (١/ ٧ - ٩).

بم يعرف الصحابى:

لقد وضع العلماء ــ رحمهم الله ــ طرقًا وضوابط لمعرفة كون الشخص صحابيًا وتلك الطرق أو الضوابط هى:

أن تثبت صحبته بطريق التواتر المقطوع به لكثرة ناقليه أن فلانًا من الصحابة وذلك كأبى بكر وعمر وبقية العشرة وناس آخرين من الصحابة رضى الله عنهم.

أن تثبت الصحبة للشخص عن طريق الاستفاضة والشهرة.

أن يروى عن أحد من الصحابة أن فلانًا له صحبة وكذا عن آحاد التابعين بناء على قبول التزكية من واحد وهو الراجح.

أن تثبت الصحبة بإخباره عن نفسه إذا كان ثابت العدالة والمعاصرة بقوله: أنا صحابى [١].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر ضابطًا يستفاد منه معرفة جمع كثير يكتفى فيهم بوصف يدل على أنهم صحابة وهذا الضابط مأخوذ من أمور ثلاثة:

أحدها: أنهم كانوا لا يؤمرون فى المغازى إلا الصحابة، فمن تتبع الأخبار الواردة فى حروب الردة والفتوح وجد من ذلك الشىء الكثير.

الثانى: قال عبد الرحمن بن عوف ﷺ: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبى ﷺ فدعا له، وهذا أيضًا يؤخذ منه شىء كثير.

الثالث: لم يبق بمكة والطائف أحد فى سنة عشر إلا أسلم وشهد حجة الوداع، فمن كان فى ذلك الوقت موجودًا اندرج فيهم لحصول رؤيته للنبى ﷺ وإن لم يرهم هو ﷺ [٢].

طبقات الصحابة وعددهم:

إن الصحابة رضى الله عنهم يتفاوتون فى مراتبهم من حيث السبق إلى الإسلام أو الهجرة وشهود المشاهد الفاضلة وقد ذكر العلماء أنهم على اثنتى عشرة طبقة:

---

(١) انظر الكفاية للخطيب البغدادى (٧٠) ومقدمة ابن الصلاح (١٤٦) والتقييد والإيضاح (٢٨٥).

(٢) الإصابة (١/ ١٠).

الطبقة الأولى: قوم أسلموا بمكة مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم رضى الله عنهم.

الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة حيث بايعه جماعة فيها على الإسلام.

الطبقة الثالثة: المهاجرة إلى الحبشة.

الطبقة الرابعة: الذين بايعوا النبى ﷺ عند العقبة الأولى، يقال: فلان عقبى وفلان عقبى.

الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثانية وأكثرهم من الأنصار.

الطبقة السادسة: أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء وهو يبنى المسجد.

الطبقة السابعة: أهل بدر الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[١].

الطبقة الثامنة: المهاجرة الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان الذين أنزل الله تعالى فيهم ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ (الفتح: ١٨).

الطبقة العاشرة: المهاجرون بين الحديبية والفتح ومن هؤلاء خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبو هريرة وغيرهم، وفيهم كثرة، فإن رسول الله ﷺ لما فتح خيبر قصده خلق كثير من كل ناحية من أجل الهجرة.

الطبقة الحادية عشرة: هم الذين أسلموا يوم الفتح وهم جماعة من قريش.

الطبقة الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح وفى حجة الوداع وغيرها وعدادهم فى الصحابة ومن هؤلاء السائب بن يزيد وعبد الله بن ثعلبة ابن أبى صعير، فإنهما قدما رسول الله ﷺ ودعا لهما.

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى، باب: فضل من شهد بدرًا (٣٩٨٣) وأخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب: من فضائل أهل بدر رضى الله عنهم (٢٤٩٤) من حديث على بن أبى طالب.

ومن هؤلاء أيضًا: أبو الطفيل عامر بن واثلة وأبو جحيفة وهب بن عبد الله فإنهما رأيا رسول الله ﷺ فى الطواف وعند زمزم(١).

قال ابن الصلاح: «وإذا نظرنا إلى تفاوت الصحابة فى سوابقهم ومراتبهم كانوا بضع عشرة طبقة»(٢).

ومن العلماء من زاد على ذلك.

أما محمد بن سعد فقد جعلهم خمس طبقات:

الأولى: البدريون.

الثانية: من أسلم قديمًا ممن هاجر عامتهم إلى الحبشة وشهدوا أحدًا فما بعدها.

الثالثة: من شهد الخندق فما بعدها.

الرابعة: مسلمة الفتح فما بعدها.

الخامسة: الصبيان والأطفال ممن لم يغز، سواء حفظ عنه وهم الأكثر أم لا(٣).

أما عددهم رضى الله عنهم: فليس هناك دليل قاطع على ضبط أفراد الصحابة بعدد معين وما يذكر من ذلك فإنما هو تبيان لأعداد من الصحابة كانوا فى مشهد مخصوص أو أن ذلك كان باعتبار وقت من الأوقات أو حال من الأحوال أو كونهم فى بلد معين يجمعهم.

ومما يؤيد هذا ما ذكره ابن الصلاح فى مقدمته عن أبى زرعة الرازى حيث سئل عن عدة من روى عن النبى ﷺ فقال: «ومن يضبط هذا؟! شهد مع النبى ﷺ حجة الوداع أربعون ألفًا وشهد معه تبوك سبعون ألفًا»(٤).

وفى رواية أخرى عنه قال: «توفى النبى ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة وكل قد روى عنه سماعًا أو رؤية»(٥).

---

(١) الباعث الحثيث لأحمد شاكر (٢/ ٥٠٤) وأحكام القرآن لابن العربى (٢/ ١٠٠٢) والعواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم (١/ ٤١٢).

(٢) مقدمة ابن الصلاح (١٩٧).

(٣) انظر الجزء الثالث والرابع من كتابه الطبقات فإنه خص هذين الجزئين بتراجم الصحابة.

(٤) مقدمة ابن الصلاح (١٤٨).

(٥) انظر: التقييد والإيضاح (٢٨٩).

وقال ابن كثير: «وأما جملة الصحابة فقد اختلف الناس فى عدتهم فنقل عن أبى زرعة أنه قال: يبلغون مائة ألف وعشرين ألفًا»[١].

وقال ابن الأثير: «وأصحاب رسول الله ﷺ كثيرون فإن رسول الله ﷺ شهد حنينًا ومعه اثنا عشر ألفًا سوى الأتباع والنساء، وجاء إليه هوازن مسلمين فاستنقذوه حريمهم وأولادهم وترك مكة مملوءة ناسًا، وكذلك المدينة أيضًا: وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين فهؤلاء كلهم لهم صحبة وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيهم ديوان وكذلك حجة الوداع، وكلهم له صحبة»[٢].

ومما تقدم يتضح أن ضبط الصحابة رضى الله عنهم فى عدد معين غير ممكن وأن كل من ذكر شيئًا من هذه الأعداد فإنما حكاه على قدر تتبعه ومبلغ علمه وأشار بذلك إلى وقت خاص وحال فإذًا لا تضاد بين كلامهم ولا تعارض[٣].

الثناء على الصحابة فى القرآن الكريم:

أهل السنة والجماعة يثبتون فضل الصحابة رضى الله عنهم الذى نطق به القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم حميد، كما يثبتون جميع ما صح فى فضلهم عن رسول الله ﷺ سواء كان هذا الفضل على وجه العموم أو على وجه الخصوص.

ولقد أثنى الله عليهم فى كتابه العزيز على سبيل الجملة فى آيات كثيرة ومواضع شتى منها:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

فى هذه الآية الكريمة وجه سبحانه فيها الخطاب إلى جميع الأمة المحمدية ومضمونه أنه سبحانه جعلهم خيار الأمم ليكونوا يوم القيامة شهداء على الناس، وأول الداخلين فى هذا الخطاب إنما هم أصحاب محمد ﷺ.

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٣٩٧).

(٢) أسد الغابة (١/ ١٩).

(٣) انظر: صحابة رسول الله للكبيسى (١١٩).

قال أبو عبد الله القرطبى: المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطًا أى: جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم، والوسط العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

قال: عدلاً: قال هذا حديث حسن صحيح(١).

وفى التنزيل: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أى أعدلهم وخيرهم...

ولما كان الوسط مجانبًا للغلو والتقصير كان محمودًا أى: هذه الأمة لم تغل غلو النصارى فى أنبيائهم ولا قصروا تقصير اليهود فى أنبيائهم، وقوله تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.

أى: فى المحشر للأنبياء على أممهم(٢).

٢- قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

قال ابن الجوزى: «وفيمن أريد بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل بدر.

والثانى: أنهم المهاجرون.

والثالث: جميع الصحابة.

والرابع: جميع أمة محمد ﷺ، نُقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس»(٣).

وقال الزجاج: «وأصل الخطاب لأصحاب النبى ﷺ وهو يعم سائر أمته»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن باب: ومن سورة البقرة (٢٩٦١) والحديث صححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى برقم (٢٣٦٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٥٣، ١٥٤).

(٣) زاد المسير لابن الجوزى (٢/ ١٦).

(٤) معانى القرآن وإعرابه (١/ ٤٥٦).

وقال السفارينى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قيل: اتفق المفسرون أن ذلك فى الصحابة، لكن الخلاف فى التفاسير مشهور ورجح كثير عمومها فى أمة محمد ﷺ[1].

وقال أبو هريرة ﷺ فى قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال: (خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام)[2].

وعن السدى أنه قال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ قال عمر بن الخطاب ﷺ: «لو شاء الله لقال: أنتم فكنا كلنا، ولكن قال: ﴿ كُنتُمْ﴾ فى خاصة أصحاب رسول الله ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم.

كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»[3].

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

قال ابن كثير:«يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان رضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم... وقال محمد بن كعب القرظى: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ هذه الآية ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾.

فأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ فقال: أبى بن كعب.

فقال: لا تفارقنى حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم، قال: وسمعتها من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: لقد كنت أرى أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أبى: تصديق هذه الآية فى أول سورة الجمعة: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الجمعة: ٣).

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفارينى (٢/ ٣٧٧).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن باب كنتم خير أمة أخرجت للناس (٤٥٥٧).

(٣) انظر: جامع البيان (٤/ ٤٣).

فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبى قحافة ﷺ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذاً بالله من ذلك»[١].

٤- قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١١٧).

قال أبو بكر الجصاص: «وقوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ فيه مدح لأصحاب النبى ﷺ الذين غزوا معه من المهاجرين والأنصار وإخبار بصحة بواطن ضمائرهم وطهارتهم، لأن الله تعالى لا يخبر بأنه قد تاب عليهم إلا وقد رضى عنهم ورضى أفعالهم، وهذا نص فى رد قول الطاعنين عليهم والناسبين لهم إلى غير ما نسبهم الله إليه من الطهارة ووصفهم به من صحة الضمائر وصلاح السرائر رضى الله عنهم»[٢].

٥- قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾.

(النمل: ٥٩)

قال ابن جرير الطبرى: «الذين اصطفاهم» يقول: الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذى بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به الجاحدين بنبوة نبيه، ثم ذكر بإسناده إلى ابن عباس فى قوله: ﴿ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ قال: أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم لنبيه»[٣].

وقـــال شـــيخ الإسلام ابن تيمية: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٦٧).
(٢) أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٧١).
(٣) جامع البيان (٢٠/ ٢).

قال: طائفة من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التى قال الله فيها: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾.

(فاطر: ٣٢ - ٣٥)

فأمة محمد ﷺ الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارى وقد أخبر الله تعالى أنهم الذين اصطفى وتواتر عن النبى ﷺ أنه قال: «خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم»[١].

ومحمد ﷺ وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله»[٢].

٦- وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح: ٢٩).

«فالصحابة – رضى الله عنهم – خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه فى سمتهم وهديهم.

وقال مالك ﷺ: بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة، رضى الله عنهم، الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا.

وصدقوا فى ذلك فإن هذه الأمة معظمة فى الكتب المتقدمة وأعظمها أصحاب رسول الله ﷺ»[٣].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٢٦٥٢) ومسلم فى المناقب باب فضائل أصحاب النبى ﷺ (٣٦٥١).

(٢) منهاج السنة (١/ ١٥٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٦٥).

الثناء على الصحابة في السنة النبوية:

١- عن أبى موسى ﷺ قال: صلينا مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلى العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «ما زلتم هنا؟» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلى معك العشاء، قال: «أحسنتم» أو «أصبتم» قال: فرفع رأسه إلى السماء ــ وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء ــ فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابى، فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون، وأصحابى أمنة لأمتى، فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون»[١].

قال النووى: «ومعنى الحديث: أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت فى القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت.

وقوله ﷺ: «وأنا أمنة لأصحابى، فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون».

أى: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا، وقد وقع كل ذلك.

قوله ﷺ: «وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون» معناه: من ظهور البدع والحوادث فى الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ»[٢].

٢- عن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال: «يأتى على الناس زمان يغزو فئام[٣] من الناس فيقال لهم: فيكم من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب بيان أن بقاء النبى ﷺ (٢٥٣١).

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم (١٦/ ٨٣).

(٣) الفئام: الجماعة الكثيرة (النهاية فى غريب الحديث ٣/ ٤٠٦).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير باب: من استعان بالضعفاء والصالحين فى الحرب (٢٨٩٧) ومسلم فى فضائل الصحابة باب: فضل الصحابة رضى الله عنهم ثم الذين (٢٥٣٢).

قال النووى: «وفى هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم»[١].

٣- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أى الناس خير؟ قال: «قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته»[٢].

قال النووى: «اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه»[٣].

٤- عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»[٤].

قال الخطابى: «النصيف بمعنى النصف، كما قالوا: الثمين بمعنى الثمن، والمعنى أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة الذى أنفقوه فى سبيل الله مع شدة العيش والضيق الذى كانوا فيه أوفى عند الله وأزكى من الكثير الذى ينفقه من بعدهم»[٥].

٥- عن أبى عبد الرحمن الجهنى قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ جلوس إذ طلع راكبان فقال رسول الله ﷺ «كنديان[٦] مذحجيان[٧]» حتى أتياه فإذا رجلان من مذحج قال: فدنا أحدهما ليبايعه، فلما أخذ بيده قال: يا رسول الله أرأيت من رآك وآمن بك واتبعك وصدقك ماذا له؟ قال: «طوبى له» قال: فمسح على يده وانصرف، ثم أتاه الآخر حتى أخذ بيده ليبايعه فقال: يا رسول الله، أرأيت من آمن بك واتبعك وصدقك ماذا له؟ قال: «طوبى له ثم طوبى له»[٨].

---

(١) شرح النووى على مسلم (١٦/ ٨٣).

(٢) أخرجه البخارى فى الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٢٦٥٢) ومسلم فى فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣).

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم (١٦/ ٨٤).

(٤) أخرجه البخارى فى المناقب باب قول النبى ﷺ: لو كنت (٣٦٧٣) ومسلم فى فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضى الله عنهم (٢٥٤٠).

(٥) معالم السنن (٤/ ٢٨٤).

(٦) كندة: بالكسر خلاف كندة باليمن اسم القبيلة (معجم البلدان: ٤/ ٤٨٢).

(٧) مذحج: قبيلة من قبائل العرب وهم: ولد أود بن زيد بن يشجب مرة (معجم البلدان: ٥/ ٨٨).

(٨) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده برقم (١٧٣٨٨) والطبرانى فى الكبير (٢٢/ ٧٤٢) والبزار كشف الأستار (٢٧٦٩) والحديث أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ١٨) وقال: إسناده حسن.

قال ابن كثير: «وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عباس ومغيث بن سمى وأبى إسحاق السبيعى وغير واحد من السلف أن طوبى شجرة فى الجنة فى كل دار غصن منها»(١).

والحاصل أن الأحاديث الواردة فى فضلهم كثيرة ومشتهرة، بل متواترة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذه الأحاديث مستفيضة، بل متواترة فى فضائل الصحابة والثناء عليهم وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون والقدح فيهم قدح فى القرآن والسنة»(٢).

الثناء على الصحابة فى أقوال السلف والعلماء:

١- قال حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: (إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خص نبيه محمدًا ﷺ بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه فى كل حال، ووصفهم الله فى كتابه فقال: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾.

قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت أعلامه وأذل بهم الشرك وأزال رءوسه ومحا دعائمه وصارت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية والأرواح الطاهرة العالية، فقد كانوا فى الحياة لله أولياء وكانوا بعد الموت أحياء وكانوا لعباد الله نصحاء رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها)(٣).

٢- عن أبى أراكة قال: صلى علىٌّ الغداة ثم لبث فى مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة ثم قال: (لقد رأيت أثرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٨٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٣٠).

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر (٣/ ٧٥) للمسعودى.

أحدًا يشبههم والله إن كانوا ليصبحوا شعثًا غبرًا صفرًا بين أعينهم مثل ركب المعزى قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة فى يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين).

وقال أيضًا: (وأولئك مصابيح الهدى يكشف الله بهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله فى رحمة منه، ليس أولئك بالمذاييع[١] البذر[٢] ولا الجفاة المرائين)[٣].

٣- عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: (من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة وأبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم)[٤].

٤- عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: (إن الله نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ)[٥].

٥- عن أبى صخر حميد بن زياد قال: (قلت لمحمد بن كعب القرظى: أخبرنى عن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما أريد الفتن فقال: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبى ﷺ وأوجب لهم الجنة فى كتابه محسنهم ومسيئهم، قلت له: وفى أى موضع أوجب الله لهم الجنة فى كتابه؟ قال: ألا تقرأ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

---

(١) المذاييع: هو جمع مذياع من أذاع الشيء إذا أفشاه، وقيل: أراد يشيعون الفواحش(القاموس المحيط: ذاع).

(٢) البذر: جمع بذر وهو كثير الكلام (القاموس: بذر).

(٣) انظر: حلية الأولياء (١/ ٧٦، ٧٧).

(٤) حلية الأولياء (١/ ٣٠٥، ٣٠٦).

(٥) المسند (١/ ٣٧٩) وانظر: شرح السنة للبغوى (١/ ٢١٤، ٢١٥).

فقد أوجب لجميع أصحاب النبى ﷺ الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطًا لم يشترطه فيهم، قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان يقول: يقتدون بهم فى أعمالهم الحسنة ولا يقتدون بهم فى غير ذلك، قال أبو صخر: لكأنى لم أقرأها قبل ذلك وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علىَّ محمد بن كعب القرظى [(١)].

٦- عن قتادة بن دعامة السدوسى قال: «أحق من صدقتم أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه»[(٢)].

٧- عن أيوب السختيانى قال: «من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى فى أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق»[(٣)].

٨- وقال الإمام مالك بن أنس: «من يبغض أحدًا من أصحاب النبى ﷺ وكان فى قلبه عليه غل فليس له حق فى فىء المسلمين» ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ (الحشر: ٧ - ١٠).

وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾.

ثم قال: «من أصبح فى الناس فى قلبه غل على أحد من أصحاب النبى ﷺ فقد أصابته الآية»[(٤)].

٩- وقال أبو جعفر الطحاوى: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط فى حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[(٥)].

---

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور (٤/ ٢٧٢) للسيوطى.

(٢) رواه الإمام أحمد فى المسند (٣/ ١٣٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٨/ ١٣) لابن كثير.

(٤) انظر: شرح السنة للبغوى (١/ ٢٢٩).

(٥) العقيدة الطحاوية مع شرحها (٥٢٨).

١٠- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠).

وطاعة للنبى ﷺ فى قوله: (لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)[١].

ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون...»[٢].

الثناء على أصناف معينة منهم رضى الله عنهم:

الثناء على السابقين الأولين:

السبق هو التقدم إما فى الصفة أو فى الزمان أو فى المكان.

فالتقدم فى الصفة: يكون لمن سبق إلى الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر واتخذ ما ينفق قربات عند الله عز وجل.

والتقدم فى الزمن: يكون لمن تقدم فى أوان قبل أوان.

والتقدم فى المكان: يكون لمن تبوأ دار النصرة واتخذها بدلاً عن موضع الهجرة وأفضل هذه الوجوه هو السبق فى الصفات[٣].

قال الراغب الأصفهانى: «أصل السبق التقدم فى السير نحو: ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾ (النازعات: ٤).

---

(١) أخرجه البخارى فى المناقب، باب قول النبى ﷺ: لو كنت (٣٦٧٣) ومسلم فى فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣).

(٢) العقيدة الواسطية مع شرحها (لمحمد خليل هراس) (١٤٢ – ١٥١).

(٣) انظر أحكام القرآن لابن العربى (٢/ ١٠٠٢) والجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٨/ ٢٣٧).

ويستعار السبق لإحراز الفضل والتبريز وعلى ذلك ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ (الواقعة: ١٠).

أى: المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة نحو قوله: ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (الأنبياء: ٩٠)»[١]:

ومما يدل على أن السبق بالصفات هو الأفضل قوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع اليهود غدًا والنصارى بعد غد»[٢].

من هم
العشرة المبشرون بالجنة؟

هؤلاء العشرة جمعهم النبى ﷺ فى حديث واحد:

فعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن النبى ﷺ قال: «أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة فى الجنة»[٣].

وعن سعيد بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النبى فى الجنة، وأبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلى فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وسعد فى الجنة، ولو شئت أسمى العاشر ثم ذكر نفسه»[٤].

وقد جمعهم بعضهم بقوله:

للمصطفى خير صحب نص أنهم ... فى جنة الخلد نصا زادهم شرفًا
هم طلحة وابن عوف والزبير ... مع أبى عبيدة والسعدان والخلفا

(١) المفردات (٢٢٨).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة باب فرض الجمعة (٨٧٦) ومسلم فى كتاب الجمعة باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٨٥٥) عن حديث أبى هريرة ﷺ.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٩٤٦) وأحمد برقم (١٦٧٥) وصححه الشيخان أحمد شاكر والألبانى.

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٦٣١) وصححه أحمد شاكر.

والسعدان: سعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد.

والخلفا: هم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين.

وهؤلاء العشرة المذكورون هم أفضل الأمة بعد نبيها محمد ﷺ وأفضل أهل الجنة.

المبشرون وغيرهم: والمبشرون بالجنة غير هؤلاء العشرة كثير وردت فى شأنهم أحاديث صحيحة كثيرة.

من هؤلاء أهل بيعة الرضوان عام الحديبية: وكانوا ألفًا وأربعمائة وقيل: وثلاثمائة وقيل: وخمسمائة، وكلهم استمر على السداد والاستقامة حتى ماتوا رضى الله عنهم أجمعين.

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا بغير حساب تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» فقام عكاشة بن محصن الأسدى يجر ثمرة عليه فقال النبى ﷺ: «اللهم اجعله منهم» ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة» وهذا الحديث قد روى من طرق متعددة تفيد القطع.

وقد قتل عكاشة بن محصن ﷺ شهيدًا على يد طلحة الأسدى، ثم رجع طلحة الأسدى عما كان يدعيه من النبوة وتاب إلى الله وقدم على أبى بكر الصديق وأسلم وحسن إسلامه.

وثبت فى الصحيحين ومسند أحمد من حديث عامر الشعبى عن مسروق عن عائشة فى قصة مسارة النبى ﷺ ابنته فاطمة وإخباره إياها بأن جبريل كان يعارضه بالقرآن فى كل عام مرة، وأنه عارضنى العام مرتين، وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلى فبكت ثم سارها فأخبرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وأنها أول أهله لحوقًا به، وكان كما أخبر، قال البيهقى: واختلفوا فى مكث فاطمة بعد رسول الله ﷺ فقيل: شهران، وقيل: ثلاثة وقيل: سنة، وقيل: ثمانية، قال: وأصح الروايات رواية الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: مكث فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ستة أشهر.

أخرجاه فى الصحيحين.

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبى ﷺ قال: «ألا أخبركم برجالكم فى الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «النبى فى الجنة والصديق فى الجنة، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة، ألا أخبركم بنسائكم فى الجنة؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «كل ودود ولود إذا غضبت أو أسيئ إليها، أو غضب زوجها قالت: هذه يدى فى يدك، لا أكتحل بغمض حتى ترضى»[1].

وعن جابر بن عبد الله قال: أخبرتنى أم مبشر أنها سمعت النبى ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله! فانتهزها، فقالت حفصة: «وإن منكم إلا واردها» فقال النبى ﷺ: «قد قال الله عز وجل فى كتابه: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم: ٧٢)»[2].

(١) **حسن لغيره:** رواه الطبرانى فى «الكبير» قال المنذرى فى (الترغيب: ورواته محتج بهم فى (الصحيح) إلا إبراهيم بن زياد القرشى فإننى لم أقف فيه على جرح ولا تعديل وقد روى هذا المتن من حديث ابن عباس، وكعب بن عجرة وغيرهما. اهـــ. وحسنه الألبانى لغيره فى صحيح الترغيب (١٩٤١، ٢٥٨٠) وانظر السلسلة الصحيحة (٢٨٧، ٣٣٨٠) ومجمع الزوائد (٨/ ١٧٤) و (٤/ ٣١٢).

(٢) رواه مسلم (٦٢٨٧) وبوب عليه فى فضائل: «باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضى الله عنهم» وابن ماجه (٤٢٨١).

أبو بكر الصديق ﷺ

اسمه ونسبه ولقبه وكنيته:

هو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، فهو يلتقى مع الرسول ﷺ فى (مرة) واسم أمه «سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فهى ابنة عم أبيه ولقبها: أم الخير ولقب أبيه (أبو قحافة)»[١].

ولقب بالصديق لمبادرته بتصديق الرسول ﷺ فيما كان يخبر به، وأول ما اشتهر بهذا اللقب صبيحة ليلة الإسراء والمعراج[٢].

ولقد كان ﷺ أول من أسلم من الرجال ولم يتردد لحظة واحدة فى استجابته لدعوة الرسول ﷺ، وأسلم على يده جماعة حينما دعاهم للإسلام لمحبتهم له منهم خمسة من العشرة المبشرين بالجنة، وهم عثمان بن عفان، وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله.

واشترى بماله سبعة من ضعفاء المسلمين بمكة كانوا يعذبون فى سبيل الله وأعتقهم منهم: بلال بن رباح، وعامر بن فهيرة.

وكان ﷺ من أشد الناس ملازمة لرسول الله ﷺ وغيرة على دينه وعلى شخصه وكان له التضحيات العظيمة فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية، ضحى بنفسه وماله ووقته وبكل ما يملك، وكان لرسول الله ﷺ وزيرًا، وكان خليفته بعده ﷺ وقد حضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجة وفضائله لا تحصى.

فضائله

١ – تحمله للأذى والبلاء فى سبيل الله ودفاعًا عن رسول الله

ويتجلى هذا فى عدة مواقف نذكر منها:

١– عن أسماء بنت أبى بكر قالت: جاء الصريخ إلى أبى بكر فقيل له: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم «أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» قال: فلهوا عن رسول الله وأقبلوا إلى أبى بكر.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى (٣/ ٤٢٥) معارف.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٥٤.

فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئًا من غرائزه إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام[١].

٢- وعن أنس قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعنى أدخل قبلك فإن كان حية أو شيء كان لى قبلك، قال: أدخل، فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه كلما رأى حجرًا، قال بثوبه فشقه، ثم ألقمه الحجر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع قال: فبقى حجر فوضع عقبه عليه ثم أدخل رسول الله ﷺ فلما أصبح قال له النبى ﷺ: فأين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بالذى صنع، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة، فأوحى الله عز وجل إليه: أن الله تعالى قد استجاب لك.

٢- إنفاقه فى سبيل الله ماله

قال رسول الله ﷺ: «ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر»[٢].

وقال عروة بن الزبير: أسلم أبو بكر يوم أسلم وله أربعون ألف دينار[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إن منّ أمن الناس علىَّ فى صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام لا تبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر»[٤].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندى فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا قال: فجئت بنصف مالى، قال: فقال لى رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقال: لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا[٥].

وعن قيس قال: اشترى أبو بكر ﷺ بلالاً وهو مدفون فى الحجارة بخمس أواق ذهبًا، فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناك، قال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته[٦].

---

(١) الصفوة لابن الجوزى ج١/ ٩٨.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٣٦٦١) وابن ماجه (٩٤) وأحمد (٥٤٠) صحيح الجامع (٥٨٠٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦) والطبقات لابن سعد (٣/ ١٧٢).

(٤) البخارى (٤٦٦)، (٣٦٥٤).

(٥) صفة الصفوة (١/ ٩٩).

(٦) صفة الصفوة (١/ ٩٩).

وعن أسماء بنت أبى بكر قالت: «لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله معه: خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، قالت: وانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه قال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئًا ولكنى أردت أن أسكت الشيخ بذلك»[1].

وقد أسلم أبو قحافة بعد ذلك، قالت عائشة: ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو بكر[2].

فائدة: أبو بكر هذا الذى ضحى بماله فى سبيل نصرة الدعوة والداعية لما عرض على النبى ﷺ الراحلة للهجرة أبى رسول الله ﷺ قبولها إلا بالثمن واشترك معه فى أجرة الخريت الذى دلهما على الطريق.

فلماذا لم يقبل منه النبى ﷺ الراحلة بغير ثمن؟.

والجواب: نقل السهيلى فى (الروض الأنف) عن بعض شيوخ المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله، فقال: أحب أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه.اهـ.

قلت: وهكذا ينبغى للداعية أن يضحى بماله فى سبيل دعوته فها هو ﷺ لم يقبل من الغلامين أرض مسجده هبة حتى ابتاعها منهما، لئلا يكون لأحد على الله وعلى رسوله منة، والله أعلم.

وعن أبى الدرداء قال: كنت جالسًا عند النبى ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبى ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر» فسلم فقال: إنى كان بينى وبين ابن الخطاب شىء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى على، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر – ثلاثًا – ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبى

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٨) وترتيب مسند أحمد (٢٠/ ٢٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٨).

بكر فقال: أثم أبو بكر؟ قالوا: لا، فأتى إلى النبى ﷺ، فجعل وجه النبى يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله: والله أنا كنت أظلم – مرتين – فقال رسول الله ﷺ: «إن الله أرسلنى إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لى صاحبى؟ – مرتين – فما أوذى بعدها»[١].

٣- ورعه وزهده وعفته وتواضعه

عن أبى سريحة قال: سمعت عليًا ﷺ يقول على المنبر: ألا إن أبا بكر منيب القلب.

وعن أبى عمران الجونى قال: قال أبو بكر الصديق: لوددت أنى شعرة فى جنب عبد مؤمن[٣].

وعن زيد بن أرقم قال: كان لأبى بكر الصديق مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمته.

فقال له المملوك: ما لك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة؟ قال: حملنى على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم، فوعدونى، فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطونى، فقال: أف لك كدت تهلكنى، فأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج.

فقيل: له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بعس من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى به، فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» فخشيت أن ينبت شىء من جسدى من هذه اللقمة[٤].

وعن ابن أبى مليكة قال: كان ربما سقط الخطام من يد أبى بكر الصديق قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟ قال: إن حبى رسول الله ﷺ أمرنى أن لا أسأل الناس شيئًا[٥].

---

(١) رواه البخارى، وانظرصفة الصفوة (١/ ١٠٠).

(٣) صفوة الصفوة (١/ ١٠٢، ١٠٣).

(٤) صفوة الصفوة (١/ ١٠٣) والحديث صحيح: رواه أبو نعيم فى الحلية وصححه فى صحيح الجامع (٩/ ٤٥).

(٥) رواه أحمد كما فى صفوة الصفوة (١/ ١٠٣)

وعن عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غاديًا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالى؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئًا، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة، وما كسوه فى الرأس والبطن، وقال عمر: إلىَّ القضاء، وقال أبو عبيدة: إلىَّ الفىء، فقال عمر: لقد كان يأتى علىَّ الشهر ما يختصم إلىَّ فيه إثنان(١).

وقالت السيدة عائشة: لما استخلف أبو بكر ألقى كل دينار ودرهم عنده فى بيت المال وقال: قد كنت أتجر فيه وألتمس به فلما وليتهم شغلونى(٢).

وقال القاسم عن عائشة: إن أبا بكر حين حضره الموت قال: إنى لا أعلم عند آل أبى بكر غير هذه اللقمة وغير هذا الغلام الصقيل كان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا فإذا مت فادفعيه إلى عمر، فلما دفعته إلى عمر قال عمر: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده(٣).

قال ابن الجوزى: قال علماء السير: وكان أبو بكر يحلب للحى أغنامهم فلما بويع قالت الجارية من الحى: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا، فسمعها فقال: بلى لأحلبنها لله وإنى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خُلق كنت فيه، فكان يحلب لهم(٤).

موقف الصبر والصمود فى حياة الصديق

وهذه المواقف كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

١- **إصراره:** على إرسال جيش أسامة لمقاتلة الروم: قد كان رسول الله ﷺ قد أعد جيشًا قبيل وفاته وأمَّر عليه أسامة بن زيد للإغارة على مشارف الشام للأخذ بثأر شهداء غزوة مؤتة التى قتل فيها زيد بن حارثة والد أسامة.

وعسكر هذا الجيش ظاهر المدينة بمكان يسمى (الجرف) ولم يتحرك حينما وصلته أخبار بمرض الرسول ﷺ وعندما توفى الرسول ﷺ واشتدت الفاجعة على المسلمين

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٣) والطبقات (٣/ ١٨٤، ١٨٥).
(٢) السير (٢/ ٤٧٣).
(٣) السير(٢/ ٤٧٦).
(٤) صفة الصفوة (١/ ١٠٥).

تفرق جيش أسامة، ولكن بعد أن تولى أبو بكر الخلافة كان أول عمل بدأ به خلافته أن أمر بعودة جيش أسامة إلى مكانه بالجرف وأن لا يبقين أحد بالمدينة من هذا الجيش إلا خرج إلى معسكره، وكان عدد هذا الجيش حوالى سبعمائة فرد[١].

تواترت أنباء المرتدين ومانعى الزكاة إلى المدينة فخاطب عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق فى أن يلغى هذا البعث ويستعمله فى حماية المدينة، ولكن أبا بكر رد عليه قائلاً: «لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ» ثم خاطبه عمر مرة أخرى فى أن يولى الجيش رجلاً أقدم سنًا من أسامة الذى لم يتجاوز سنه الثامنة عشرة حينئذ، فأخذ أبو بكر بلحية عمر وقال له: «ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمرنى أن أنزعه»[٢].

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فشيعهم وهو ماش وأسامة راكب فقال له: يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن.

فقال له أبو بكر: والله لا تنزلن ووالله لا أركب وما علىَّ أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة، فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب وسبعمائة درجة ترتفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة ثم استأذنه فى أن يسمح له بإبقاء عمر بن الخطاب معه فأذن له.

وهكذا تكون القيادة السليمة التى تعرف طريقها إلى النجاح والنصر الدائم فأبو بكر وهو خليفة المسلمين كلهم وأميرهم يستأذن من مرءوسه أسامة بن زيد فى أن يدع له عمر بن الخطاب ولا يأخذه معه.

وأبو بكر الصديق بذلك أعطى لأسامة حقه فى القيادة لذلك الجيش وأن أمره مطاع فيهم، وله الكلمة النافذة عليهم وإن كان فيهم عمر بن الخطاب.

بعد ذلك خطب أبو بكر فى الجند خطبة تتجلى فيها مبادئه الإسلامية الصافية ومنهجه العادل السامى فى الرحمة والرقة والرأفة حتى فى أوقات الحروب: قال: «يأيها الناس: قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٢١.

(٢) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٢٦).

تقطعوا شجرًا بثمره ولا تذبحوا شاة ولا بقرة، ولا بعيرًا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شىء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقًا اندفعوا باسم الله»[١].

وبعد حوالى سبعين يومًا عاد جيش أسامة منتصرًا، وقد فرح أبو بكر بقدومه وأذن للجيش بفترة راحة واستجمام حوالى أسبوعين وبعدها أعلن التعبئة العامة لمحاربة المرتدين[٢].

حركة الردة:

بمجرد أن مات رسول الله ﷺ وصعدت روحه الشريفة إلى بارئها وبلغ هذا الآفاق، ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام، ومنعوا الزكاة ولقد كانت حركة الردة مؤامرة صاخبة وفتنة رعناء أسهم فى إشعال نيرانها على مسرح شبه الجزيرة العربية عدد كبيرمن القبائل والإمارات والدول والإمبراطوريات والديانات والجنسيات المختلفة، وكان هدفها الطبيعى هو القضاء على الإسلام وتدمير القوة الإسلامية العربية التى كونها محمد ﷺ وخلفه عليها أبو بكر الصديق ﷺ.

وما أن بلغ خبر القوم أبا بكر حتى نهض لقتالهم واشتد فى ذلك، لقد فهم أبو بكر حقيقة هذه الردة، ولهذا نراه ليشتد كل الشدة فى القضاء عليها ويظهر بمظهر الحازم القوى الصلب، وهو الذى عهدناه لينا سمحًا رحيمًا ولكن عمر ﷺ كان له رأى مخالف.

إذ أشار عمر أن يكف عن قتالهم، وناقش أبا بكر فى ذلك وعمر المشهور بالشدة والقوة، ناقش أبا بكر فى أن يترك هؤلاء المانعين للزكاة فقط ما داموا مقيمين لباقى الفرائض، وقال لأبى بكر: «تألف الناس وارفق لهم فإنهم بمنزلة الوحش».

ولكن أبا بكر يجيبه وكأنه كتلة مشتعلة من الحماس والقوة؟ «رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك، جبارًا فى الجاهلية خوارًا فى الإسلام، بماذا عسيت أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل أو بسحر مفترى، هيهات هيهات، مضى النبى ﷺ وانقطع الوحى، والله

---

(١) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٢٦).

(٢) الخلفاء الراشدون، للدكتور نعمان الطيب (ص٢٢- ٢٤).

لأجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى، وإن منعونى عقالاً، أو عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، فقال له عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله».

فقال له أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال وقد قال: «إلا بحقها».

قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق(١).

وبالفعل: جهز أبو بكر الجيوش لقتال أهل الردة ومانعى الزكاة وعقد أحد عشر لواء وأمر صاحب كل لواء بالتوجه إلى جهته، وتوجه هو على رأس لواء إلى مكان يسمى (ذى القصة).

ولكن عليًا ﷺ أصر عليه وناشده أن يرجع وقال له وقد أمسك بزمام راحلته لم سيفك وأمتعنا بنفسك فوالله لئن نكب المسلمون بك، لن تقوم لهم قائمة بعدك، فعاد أبو بكر وكلف باللواء غيره(٢).

وقد قوى الله شوكة المسلمين وقواهم على عدوهم فحسمت فتنة الردة وخضعت القبائل المانعة للزكاة.

أسباب الردة:

وأسباب الردة كثيرة: من أهمها:

عدم تعمق الإيمان فى قلوب كل القبائل العربية، فقد كان منهم من تستروا بالإيمان إلا أنهم لم يتذوقوا حلاوته، وهم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ (الحجرات: ١٤).

وكانوا يتحينون الفرصة لإظهار عدم ولائهم للإسلام كما حدث من المنافقين فى غزوتى أحد وتبوك.

---

(١) تاريخ الخلفاء ص١١٩ – ١٢٢خلفاء الرسول ص٢٤.

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٦).

وقد ظهرت بوادر حركات الردة قبيل وفاة الرسول ﷺ ولكن الرسول ﷺ بما له من هيبة النبوة وقوة التأثير استطاع أن يخمدها وأن يطفئ نيرانها فى حينها.

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وتولى أبو بكر الخلافة إذا بتلك الحركة تستيقظ وتنشط وتمتد حتى تشتمل شبه الجزيرة العربية كلها فيما عدا أهل المدينة ومكة والطائف الذين ثبتوا على الإسلام وحافظوا على تثبيت دعائمه، وقد ظهر مرتدون ومتنبئون ومانعوا زكاة.

ومن الجدير بالذكر هنا: أن بعض مانعى الزكاة لم يتركوها جحودًا إنما تركوها تأويلاً، فقد قرعوا قول الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (التوبة: ١٠٣).

فقال هؤلاء: إن الخطاب للنبى ﷺ وهو الذى صلاته سكن لنا وليس لولى الأمر من بعده المطالبة بالزكاة.

وقد كان هذا تأويلاً فاسدًا غير سائغ، ولهذا قاتلهم الصديق ﷺ.

أصناف المرتدين:

لقد شملت حروب الردة قتال طوائف دخلت فى عداد المرتدين، وأشهرها ثلاثة المرتدين ــ والمتنبئون ــ ومانعوا الزكاة.

فهم الذين ضاقوا ذرعًا بالقيود التى فرضها عليهم الإسلام لتحديد شهواتهم ونزواتهم البهيمية.

فنبذوا تعاليم الإسلام وعادوا إلى حياتهم، الجاهلية الأولى، يعبدون الأصنام والأوثان تلبية لغرائزهم الدنيا، مثل أهل البحرين.

أما المتنبئون: ومن تبعهم من قبائلهم: الذين اعتقدوا أن السبب المباشر فى سيادة قريش على كل العرب هى نبوة محمد ﷺ إذن فليكونوا أنبياء أو فليكن منهم أنبياء لكى يسودوا العرب ويكونوا ملوكًا.

مثلما ظهر من ادعاء مسيلمة الكذاب فى قومه بنى حنيفة وطليحة بن خويلد الأسدى فى قومه بنى أسد والأسود العنسى فى اليمن ونجاح بنت الحارث فى قومها من بنى تميم، وقد منعهم قومهم تعصبًا لهم مع علمهم بكذبهم.

أما مانعوا الزكاة: فهم الذين كانوا يؤدونها للرسول ﷺ استجابة لأمر الله سبحانه فى كتابه الكريم: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (التوبة: ١٠٣).

واعتقدوا أن الأمر موجه من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم فقط أما وقد مات الرسول ﷺ فليمتنعوا عن دفع الزكاة لغيره، وقد نسوا أن خطاب الله لرسوله إنما هو خطاب لأمته، هذا بالإضافة إلى أن كثيرًا من قبائل العرب ضعاف الإيمان كانوا يرون أن هذه الزكاة إنما هى إتاوة أو جباية يدفعونها مكرهين ويتطلعون إلى اليوم الذى يتخلصون فيه منها.

ولا ننسى تأثير الدول المجاورة لبلاد العرب مثل الفرس والروم والحبشة وكانت لهم مناطق نفوذ فى الجزيرة العربية لذلك فقد مدوا يد المساعدة لهؤلاء المرتدين أضمروا فى نفوسهم نار العصيان والتمرد على الدين الجديد[(١)].

ولا ننسى أيضًا دور العصبيات الجاهلية فى الدعوة إلى الردة، وهذا نلمسه فى قول طلحة النمرى: «أشهد أن مسيلمة كذاب وأن محمدًا صادق ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر»[(٢)].

ونحو قوله، قال الحُطيئة، وعيينة بن حصن الفزارى وغيرهم، وهؤلاء لم ينظروا إلى النبوة على أنها محض اختيار واصطفاء من الله ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾

ولا ننسى أن بعض مانعى الزكاة منعوها ردة وعدم رضا بها ويبدو هذا واضحًا فى حكاية عمرو بن العاص وكان رسول الله ﷺ قد أرسله عقب حجة الوداع إلى عمان، فلما انصرف منها مر على بلاد بنى عامر ونزل على قرة بنى هبيرة فذبح له وأكرم مثواه ثم خلا قرة بعمرو بن العاص وقال: «يا هذا إن العرب لا تطيب لكم نفسًا بالإتاوة فإن أعفيتموها من أخذ أموالها فتسمع لكم وتطيع وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع

---

(١) انظر: الخلفاء الراشدون: د/ نعمان ص ٢٦.

(٢) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٨٦).

عليكم، قال عمرو: أكفر، يا قرة؟ أتخوفنى بالعرب؟ فوالله لأوطئن عليك الخليل فى حفش[١] أمك[٢].

وكان النوع الثانى من مانعى الزكاة من تركها تأويلاً.

كما تقدم.

أحداث قتال أهل الردة:

كان الصديق لا يريد أن يعاجل القوم بالقتال حتى يعود جيش أسامة بن زيد لأن فيه معظم القوة الإسلامية، ولكن المرتدين لم يتركوا هذه الفرصة وحاولوا استغلالها وهذا درس يتكرر كثيرًا فى تاريخ المسلمين فأعداء الإسلام لا يتركون فرصة للنيل من المسلمين إلا اغتنموها.

وقد تحقق هذا عندما حرض طليحة الأسدى من تبعه من قبائل: عبس وذبيان، وغطفان وفزارة وطيئ على مهاجمة المدينة.

فسارت هذه الجموع حتى نزلت على مقربة من المدينة فافترقوا فرقتين: فرقة نزلت بذى القصة (أقرب محلة من المدينة على طريق نجد على بعد حوالى ٣٥كم).

وفرقة أقامت بالأبرق من الربذة على بعد نحو ١٢٠ كم من المدينة وأرسل رؤساء هذه الجموع وفودًا منهم إلى المدينة وطلبوا من أبى بكر أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فكان جواب أبى بكر: «والله لو منعونى عقالاً لجاهدتهم عليه»[٣].

وردهم فرجعت هذه الوفود إلى من بعثوهم وقد اطلعوا على عورة المدينة وعرفوا أنها مكشوفة ليس بها من يدافع عنها.

وأدرك أبو بكر منهم ذلك فجمع الناس وقال لهم: «إن الأرض كافرة ــ أى مظلمة ــ وقد رأى وفدهم منكم قلة وإنكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهارًا؟وأدناهم منكم على بريد وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم.

---

(١) الحفش: حقيبة المرأة تضع فيه زينتها، يريد تحقيره.

(٢) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٥٩) والكامل لابن الأثير (٢/ ٢٣٨).

(٣) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٤٤) والكامل لابن الأثير (٢/ ٢٣٢).

ثم إنه دعا إليه عليًا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود وغيرهم وجعلهم على مداخل المدينة، وأمر أهل المدينة بملازمة المسجد فى عدة القتال خوف الغارة من العدو فلم تمض إلا أيام ثلاثة حتى طرق العدو المدينة غارة من الليل وخلفوا بعضهم بذى حسى[١] ليكون لهم رداء.

فلما كانوا على أبواب المدينة صدهم على وأصحابه ووصل الخبر إلى أبى بكر فخف للقائم مع من كان بالمسجد فردوا العدو واتبعه حتى بلغوا (ذا حسى) فخرج عليهم أهل الردة بأنحاء[٢] قد نفخوها ربطوا فيها حبالاً ودحرجوها بأرجلهم على الأرض فنفرت منها إبل المسلمين ورجعت بهم إلى المدينة.

وظن المرتدون أنهم قد انتصروا فبعثوا إلى من (بذى القصة) فقدموا عليهم وبات أبو بكر يعبئ المسلمين وخرج على تعبئته يمشى فما طلع عليهم الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد دون أن يسمع لهم العدو همسًا أو حسًّا وما شعروا بالمسلمين حتى وضع المسلمون فيهم السيوف وأمعنوا فيهم القتل حتى ولى العدو الأدبار وغنم المسلمون إبلهم.

وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصة وكان الفتح ووضع بها النعمان بن مقرن فى عدد من المسلمين ورجع أبو بكر إلى المدينة[٣].

وقد كان لانتصار المسلمين فى هذه المعركة أثر طيب للغاية فقد وقف أهل المدينة وعلى رأسهم أبو بكر وهم قلة أمام هذه الجموع الفقيرة من عبس وذبيان وغطفان وفزارة وطيئ.

وقد برهنت المعركة للعرب أن فى مقدور المسلمين أن يصدوا كل معتد حتى فى غيبة جيش أسامة ومعه زهرة شباب المسلمين.

---

(١) هى المعروفة الآن بأبيار على.

(٢) الأنحاء: جمع نحى وهى أوعية من الجلود.

(٣) انظر تاريخ الطبرى (٣/ ٢٤٥) والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٢).

وأرجعت بعض القبائل للإسلام، وأقبل كثير من وفود القبائل يؤدون الزكاة إلى خليفة رسول الله، وكان من أول الذين أقبلوا يؤدون الزكاة: صفوان بن صفوان، والزبرقان بن بدر من رؤساء بنى تميم وعدى بن حاتم الطائى من رؤساء طيئ [١].

ولم تمض عدة أيام حتى رجع جيش أسامة فى رجب سنة ١١ هـ سبتمبر ٦٣٢هـ غانمًا منتصرًا [٢] وبعد أن اطمأن إلى أن جيش أسامة أخذ قدرًا من الراحة ــ حوالى أسبوعين ــ أعلن النفير العام والتعبئة الشاملة لمحاربة المرتدين وخرج بنفسه إلى ذى القصة.

وتجمع حوله المسلمون فى كل مكان، وأراد أن يضرب المرتدين جميعًا فى وقت واحد، فقسم الجيش إلى أحد عشر لواء وعين لكل لواء قائدًا، وعين له الجهة التى يتجه إليها.

وقد راعى أبو بكر فى التوزيع أن تتكافأ القوة فى عددها وفى قيادتها مع قوة القبائل التى وجهت إليها، وهذه هى الألوية:

١- **اللواء الأول:** وعلى رأسه خالد بن الوليد، وقد وجهه لقتال طلحة بن خويلد الأسدى ببزاخة [٣] فإذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة زعيم بنى تميم بالبطاح.

وكان بنو أسد وبنو تميم أقرب القبائل المرتدة إلى المدينة، فكان طبيعيًّا أن يبدأ المسلمون بهم لتفت هزيمتهم فى أعضاد غيرهم.

كان هذا اللواء هو أمنع الألوية الأحد عشرة وأقواها، وكان من خيرة المقاتلين من المهاجرين والأنصار.

٢- **اللواء الثانى:** على رأسه عكرمة بن أبى جهل ووجهه لقتال مسيلمة باليمامة.

٣- **اللواء الثالث:** على رأسه شرحبيل بن حسنة، وأمره بمعاونة عكرمة بن أبى جهل على مسيلمة فإذا فرغا منه لحق شرحبيل بقضاعة مددًا لعمرو بن العاص.

---

(١) تاريخ الطبرى (٣/ ٢٤٧) والكامل (٢/ ٢٣٣).

(٢) ولم يقتل فرد واحد من جيشه وقد فرح أبو بكر بقدومه لأنه أتى فى وقت هو فى أشد الحاجة إليه.

(٣) بزاخة: ماء لطيئ بأرض نجد، وقيل: لبنى أسد.

٤- **اللواء الرابع:** على رأسه المهاجر بن أبى أمية ووجهه لقتال أتباع الأسود العنسى باليمن، ولقتال عمرو بن معديكرب الزبيدى وقيس بن المكشوح المرادى ورجالهما.

فإذا فرغ منهم قصد إلى كندة بحضرموت ليقاتل الأشعث بن قيس والمرتدين معه.

٥- **اللواء الخامس:** على رأسه سويد بن مقرن، ووجهه إلى تهامة باليمن.

٦- **اللواء السادس:** وعلى رأسه العلاء بن الحضرمى، ووجهه إلى البحرين لقتال الحطم بن ضُبيعة.

٧- **اللواء السابع:** وعلى رأسه: حذيفة بن محصن، وجهه لقتال ذى التاج لقيط بن مالك المتنبئ فى عمان.

٨- **اللواء الثامن:** وعلى رأسه عرفجة بن هرثمة ووجهه إلى مهرة وأمره أن يلتقى مع حذيفة.

٩- **اللواء التاسع:** وعلى رأسه عمرو بن العاص ووجهه لقتال قضاعة فى الشمال.

١٠- **اللواء العاشر:** وعلى رأسه: طريقة (وقيل: معن) ابن حاجر السلمى ووجهه لقتال بنى سليم ومن معهم من هوازن.

١١- **اللواء الحادى عشر:** وعلى رأسه خالد بن سعيد بن العاص ووجهه إلى مشارف الشام.

وقبل أن تخرج هذه الجيوش لتشتبك مع المرتدين أرسل الصديق كتابًا لهم يدعوهم فيها إلى الإسلام والرجوع إلى الحق وبين لهم خطأهم وضلالهم.

وقد استجاب بعض هؤلاء لتلك الكتب بينما استمر الآخرون على ضلالهم فخاضت جيوش المسلمين معهم حروبًا ضارية استمرت سنة كاملة عقد فيها النصر للإسلام والمسلمين وكان أبو بكر خلالها يشرف على حركات الجنود فى مختلف الميادين ويتلقى كتب القواد ويرد عليهم ويوجهه بعضهم لمساعدة البعض الآخر إذا دعا الأمر إلى ذلك.

أسباب انتصار المسلمين فى حروب الردة:

١- قوة العقيدة الإسلامية فى نفوس أصحابها فهؤلاء ثبتوا على إسلامهم وجاهدوا فى الله حق جهاده فكان لهم النصر.

٢- صدق عزيمة أبى بكر الصديق ﷺ وعلو همته وحسن تدبيره فى مواجهة الأحداث.

٣- حسن القيادة فى جيوش المسلمين وشجاعة المقاتلين ثم التخطيط المحكم الذى جعل المسلمين يحاربون فى عدة جبهات فى وقت واحد مع توفير الإمدادات اللازمة فى شتى الميادين.

٤- فساد المبادئ التى قامت عليها الردة جعلت بعض المرتدين يرجع عن ردته إذ لم يكن للمرتدين هدف يجتمعون حوله ويضحون فى سبيله.

وقد أظهرت هذه الحروب حقيقة هامة مفادها:

أن الأمة لو ارتدت بينما استقام ولى أمرها سهل بإذن الله ردها إلى الله بينما يختلف الأمر كثيرًا إذا كفر الحاكم وارتد.

الفتوح خلال عهد أبى بكر

فى مطلع السنة الثالثة عشرة جهز الخليفة أبو بكر الصديق أربعة جيوش وجعل على رأس كل منها قائدًا ووجهه إلى جزء معين من بلاد الشام وهذه الجيوش هى:

١- جيش أبى عبيدة بن الجراح، لفتح حمص.

٢- جيش يزيد بن أبى سفيان، لفتح دمشق.

٣- جيش شرحبيل بن حسنة، لفتح وادى الأردن.

٤- جيش عمرو بن العاص، لفتح فلسطين.

كما جهز جيش خالد بن سعيد ليكون ردءًا (احتياطيًا)[1].

وخرجت هذه الجيوش لملاقاة الروم فى أرض الشام، وكان خطة الروم أنهم قسموا جنودهم إلى أربعة أقسام كبيرة للقاء جيوش المسلمين الأربعة، الأمر الذى أضعف تقدم

---

(١) تاريخ الطبرى (٣/ ٣٩٤) والكامل لابن الأثير (٢/ ٢٧٦ - ٢٧٨).

الجيش الإسلامى لأن عدد الروم أكبر فقد وصل عددهم إلى ٢٤٠ ألف مقاتل على حين كان عدد المسلمين نحو ٢٧ ألف مقاتل.

وقد وقعت بين المسلمين والروم عدة معارك على عدة جبهات من أشهرها معركة اليرموك[1] فى جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ.

وكتب الله النصر للمسلمين، وأخذ جنود الروم فى السقوط بأرض المعركة وكان سقوط بعض المقيدين بالسلاسل كافيًا لإسقاط المجموعة كلها وانجلى الموقف عن هزيمة مريرة للروم وانتصر المسلمون بقيادة خالد بن الوليد، وقد قتل من الروم أكثر من مائة ألف مقاتل بينما قتل من المسلمين نحو ثلاثة آلاف.

وقد أضعفت المعركة من معنويات الروم فلم يثبتوا بعد ذلك فى قتال رغم كثرتهم وتوالت هزائمهم أمام المسلمين.

جمع القرآن الكريم

لقد أضاف أبو بكر ﷺ إلى أعماله الجليلة عملاً يعد أعظم أعماله كليًا لأنه ترتب عليه الحفاظ على مبادئ الإسلام وتعاليمه فى غاية النقاء والصفاء إلى يوم الدين، ذلك العمل هو: جمع القرآن الكريم فى مصحف واحد.

فإنه بعد أن انتهت حروب الردة جاءت الأنباء بأن عددًا كبيرًا من قراء القرآن قد قتلوا فعن زيد بن ثابت ﷺ قال: «أرسل إلىَّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر الصديق ﷺ: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإنى أخشى إن استمر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىَّ مما أمرنى به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون

---

(١) اليرموك: واد فى الجنوب الشرقى من الشام.

شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، ولم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

فتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجل حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها عند أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ (التوبة: ١٢٨) حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند حياته ثم عند حفصة بنت عمر ﷺ[١].

وقد كان سبب هذا الجمع أن عمر بن الخطاب ﷺ ذهب إلى أبى بكر بعد إخماد حركة الردة وقال له: «إن القتل قد استحر ــ أى كثر ــ يوم اليمامة بالناس فى حروب الردة وإنى لأخشى أن يستمر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن، إلا أن يجمعوه وإنى لأرى أن يجمع القرآن».

وقد رتبت الآيات فى السور وكذلك السور وفقًا لقراءة النبى ﷺ ثم حفظت تلك الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر بن الخطاب حتى توفاة الله ثم عند ابنته حفصة أم المؤمنين حتى أخذها منها عثمان بن عفان ﷺ.

وهكذا أدى جمع القرآن الكريم حرفيًا إلى حفظه من الخلط والتأويل مثلما حدث فى الكتب السماوية الأخرى.

حتى ليقول عنه المستشرق الإنجليزى (وليم): «والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن الكريم ظل اثنى عشر قرنًا كاملاً بنص هذا مبلغ صفائه ودقته»[٢].

وقد تولى عمر ﷺ القضاء فى خلافة أبى بكر فكان قاضيًا على المدينة وقد مكث سنة كاملة لم يتخاصم أمامه اثنان[٣].

وأبو بكر ﷺ: هو أول من اتخذ بيت المال، وقد جعل عليه أبا عبيدة بن الجراح[٤].

---

(١) رواه البخارى (٤٩٨٧).
(٢) الفاروق عمر (ج١/ ٨٤) الخلفاء الراشدون ص٣١.
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٢٩، ١٣٠.
(٤) السابق.

وكان أبو بكر ليساوى بين الناس فى العطاء ولا يبقى من المال شيئًا وكان هو يأخذ عطاءه كرجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم[١] أى لم يعط نفسه الحق فى أية ميزة يمتاز بها عن غيره كحاكم كما نراه اليوم فى عالمنا المعاصر.

مكانة أبى بكر عند النبى ﷺ

إن فضائل أبى بكر ﷺ لا تخفى فهو من أول الناس إسلامًا وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأول الخلفاء الراشدين ورفيق النبى فى هجرته وغير ذلك.

روى البخارى عن عمار بن ياسر قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر.

قال ابن حجر: «أما الأعبد فهم: بلال وزيد بد حارثة وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية بن خلف، وأما الخامس فيحتمل أن يفسر بشقران، وذكر بعض شيوخنا بدل أبى فكيهة عمار بن ياسر وهو محتمل.اهـ.

وروى البخارى عن عبد الله بن عمرو قال: كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم.

وروى البخارى عن عمرو بن العاص أنه سأل النبى ﷺ فقال له: أى الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» فقال: من الرجال؟ قال: «أبوها».

وفى البخارى أيضًا قوله ﷺ: «إن أمنَّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخًا خليلاً عير ربى لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر».

وروى البخارى قوله ﷺ: «إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواسانى بنفسه وماله».

وروى الترمذى بسند صحيح أنه ﷺ قال لأبى بكر: «أنت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار» وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ

---

(١) السابق.

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠).

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ أن أبا بكر الصديق حدثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن فى الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما).

وقد أشار النبى ﷺ إلى خلافته.

فقد روى البخارى عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة للنبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت؟ قال رسول الله ﷺ: «إن لم تجدينى فأتى أبا بكر» وأشار أيضًا إلى ذلك بقوله: «لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر».

وقد شهد أبو بكر مع رسول الله مشاهده كلها وكان يحمل رايته فى آخر غزواته وهى غزوة تبوك، وأمره الرسول ﷺ أن يحج بالمسلمين فى السنة التاسعة من الهجرة.

أولاده وزوجاته:

تزوج أبو بكر فى الجاهلية قتيلة ابنة عبد العزى فولدت له: عبد الله وأسماء، وتزوج أيضًا فى الجاهلية أم رومان بنت عامر فولدت له عبد الرحمن وعائشة، وتزوج فى الإسلام أسماء بنت عميس فولدت له محمد بن أبى بكر، وتزوج أيضًا فى الإسلام حبيبة بنت خارجة، وكانت حاملاً حين توفى أبو بكر فولدت له بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم.

بدء الفتوح الإسلامية الكبرى[١]:

ما إن انتهت حروب الردة وتحققت وحدة الدولة الإسلامية مرة أخرى حتى بدأ المسلمون يستعدون لدفع خطر الفرس والروم، والجهاد فى سبيل نشر الإسلام.

وعندما نقرأ التاريخ ندرك كيف أن الفرس والروم كانا يقفان موقفًا معاديًا من الإسلام منذ بدأت دعوته.

---

(١) سيرة الخلفاء الراشدين: ط وزارة الأوقاف المصرية ص ٥٩ – ٧٩.

فالبنسبة للروم: حدثت عدة مواجهات بينهم وبين الرسول ﷺ هى معركة مؤتة سنة ٨هـ، ومعركة تبوك سنة ٩هـ.

وكان الرسول قد أعد جيشًا لمواجهة أخرى مع الروم سنة ١١ هـ واختار قائدًا لهذا الجيش هو أسامة بن زيد إلا أن هذا الجيش لم يخرج للمواجهة إلا فى عهد الصديق ﷺ كما أشرنا من قبل.

وكان حكام الروم والخاضعين لسيطرتهم سبب هذه المعارك لأنهم سخروا من دعوة الرسول، واعتدوا على رسله، وقتلوا أصحابه، ووقفوا سدًا منيعًا بين شعوبهم وبين الإسلام مصرين أن لا تبلغ دعوته إلى آذان الجماهير.

وفى هذا الإطار نذكر أن الحارث بن شمر الغسانى ملك الغساسنة استهان برسالة الرسول إليه ومزق الرسالة التى أرسلها إليه الرسول يدعوه فيها إلى الإسلام.

كما سخر شرحبيل الغسانى حاكم البلقاء من الحارث بن عمير الأزدى مبعوث الرسول إليه وأمر بقتله فكان هذا الحدث سببًا لمقاتلة الغساسنة فى غزوة مؤتة[١].

بالنسبة للفرس: لم يكن الفرس أقل تعصبًا من الروم فى عدائهم للإسلام فحينما نقرأ صفحات التاريخ تتأكد لنا هذه النفسية المتعالية، والعقلية المتغطرسة للفرس، فحينما أرسل رسول الله ﷺ إلى كسرى فارس رسالة يدعوه فيها للإسلام استنفره الغضب وملكه الغرور واستعظم أن يخاطبه محمد ﷺ فقال: «يكتب إلىَّ هذا وهو عبدى» ثم مزق الرسالة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن يبعث إلى هذا الرجل بالحجار رجلين من عنده ليذهبا به إلى كسرى.

ولما بلغ الرسول ما صنع كسرى ابرويز بكتابه قال: «مزق الله ملكه» وقد استجاب الله دعوة نبيه فتمزق الملك إذ سلط الله على كسرى ابنه شيرويه فقتله وتبوأ عرشه[٢].

(١) انظر الزرقانى: شرح المواهب ج٢ ص ٣٠٩.

(٢) انظر الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص ٦٥٥، ٦٥٦.

وبعد أن قُبض رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى واختار المسلمون أبا بكر قام الفرس والروم بمد يد المساعدة إلى المرتدين ولكن المسلمين قضوا على هذه الحركة وأصبح عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم ودينهم ودولتهم فكان ما كان من صراع ومعارك ضد إمبراطوريتى الفرس والروم.

إن المعارك التى بدأها أبو بكر الصديق ﷺ ضد الفرس والروم لم تكن معارك اعتداء وهجوم، وإنما كان القصد منها دفع العدوان، وحماية النفس والدين، والتصدى للقوى المستبدة الطاغية والتى تقف حائلاً دون انتشار الإسلام، وإتاحة الفرصة أمام المسلمين ليقوموا بواجب الدعوة إلى الله، ونشر الإسلام.

ومن المعروف أن دعوة الرسول ﷺ عامة تشمل النتاس جميعًا وأن القيام بهذه الدعوة مسئولية الأمة المسلمة إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (الحج: ٧٨).

ويقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة: ١٤٣).

والشهادة على الناس: هى القيام على أمانات الدين وإبلاغ عقائده وعباداته وأخلاقه ومعاملاته[١].

ويقول الله تعالى مخاطبًا رسوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ (سبأ:٢٨).

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (التوبة: ٣٣).

ويقول: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ ﴾ (التوبة: ٣٦).

ويقول تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١).

---

(١) محمد الغزالى: هذا ديننا ص ١٤٣.

ويقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

فالهدف إذن هو نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها إلى الأمم دون إكراه على اعتناقها، ودفع الأذى وكسر شوكة الحكام المتكبرين الذين يقفون حائلاً فى سبيل تبليغ هذه الدعوة.

ولقد كان الرسول ﷺ يخبر أصحابه بفتح فارس والروم فى كثير من الأحاديث.

من ذلك ما رواه عدى بن حاتم الطائى قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه رجل فشكا إليه قطع السبيل فقال: يا عدى هل رأيت الحيرة؟.

قلت لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: لئن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ما تخاف أحدًا إلا الله تعالى، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى.

قلت: كنوز كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز.

وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز[١].

وروى مسلم عن عمرو بن العاص قال الرسول: «إذا فتحت عليكم خزائن الفرس والروم أى قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نكون كما أمرنا الله تعالى، فقال ﷺ: بل تتنافسون وتتحاسدون ثم تتدابرون وتتباغضون»[٢].

وقال الرسول: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، فوالذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله تعالى»[٣].

كما روى البخارى عن الرسول ﷺ: «أن الله سيفتح عليكم بعدى مصرًا فاستوصوا بقبطها خيرًا فإن لهم رحمًا وذمة»[٤].

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) رواه البخارى

وقد وعد الله رسوله والمؤمنين بنصره قال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (النور: ٥٥).

ولذلك خرج أصحاب رسول الله ﷺ من بعده يفتحون بلاد الله لينشروا فيها دينه وليقوموا بالأمانة التى حملهم الله إياها.

وهذه بعض الأضواء: السريعة التى نلقيها عن أبرز المعارك والفتوحات التى تمت خلال عهد أبى بكر الصديق ﷺ.

١- **الجبهة الفارسية:** كان الفرس يسيطرون على مناطق واسعة تبدأ من بادية الشام فى الغرب وشمال جزيرة العرب من الجنوب وتتوسع منطقتهم فى الغرب وتتناقص حسب انتصارهم على الروم أو هزيمتهم أمامهم.

فتارة يتوسعون وقد وصلوا إلى سواحل البوسفور ثم ارتدوا حتى حدود الفرات وكان عدد من القبائل العربية تقيم فى المناطق التى يسيطر عليها الفرس سواء فى منطقة السوداء أم على ضفاف الفرات والجزيرة.

ومن هذه القبائل تغلب وبكر وشيبان وربيعة وطيئ، وبعضها كانت منتصرة فى أغلبها كتغلب.

وكانت طيئ تعلو ويقيم رئيسها فى بلدة الحيرة[١].

على مقربة من الفرات ويعمل الفرس على توطيد سلطانهم فى تلك الأنحاء[٢].

كان العرب يرون بلاد الفرس أصعب من بلاد الروم ومن ثم كانوا يتهيبون غزوها[٣].

وقد جرت المناوشات الأولى بين العرب المسلمين والفرس على يد المثنى بن حارثة الشيبانى بعد أن انتهى من حروب المرتدين فى البحرين وقد استطاع أن يحرز بعض الانتصارات على الرغم من قلة ما معه من العدد والعدة.

---

(١) الحيرة: بالكسر ثم بالسكون مدينة كانت ثلاثة أميال من الكوفة، ياقوت: معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٢٨.

(٢) محمد شاكر: التاريخ الإسلامى جـ ٣ ص ٨١، ٨٢.

(٣) انظر ابن الطقطقى: الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٦٣ مكتبة غريب القاهرة.

ثم أمده الخليفة أبو بكر بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل على رأسه خالد بن الوليد[١].

وتولى خالد القيادة فى المحرم سنة ١٢ هـ مارس ٦٣٣م.

كما طلب الخليفة ﷺ من عياض بن غنم أن يتوجه إلى العراق بعد ان يخضع فى طريقه دومة[٢] الجندل التى كانت مرتدة عن الإسلام وذلك لمساندة الجبهة هناك.

وعند الحدود العراقية قسم خالد بن الوليد الجيش إلى ثلاث فرق: جعل المثنى بن حارثة على رأس واحدة، وعدى بن حاتم ومعه عاصم بن عمرو على رأس الفرقة الثانية.

وقاد خالد بنفسه الفرقة الثالثة وجعل بين مسير كل فرقة والتى تليها مسيرة يوم واحد على أن يلتقوا جميعًا بالحفير[٣].

موقعة ذات السلاسل[٤] صفر ١٢هـ:

وكانت من أهم المعارك التى خاضها خالد بن الوليد وقد سميت بهذا الاسم لأن الفرس ربطوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا من المعركة[٥].

وقبل البدء بالقتال كتب خالد بن الوليد إلى أمير المنطقة الفارس هرمز يقول: له «أما بعد فأسلم تسلم، أو اعقد لنفسك وقومك الذمة واقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»[٦].

فاختار هرمز القتال فدارت رحى المعركة (ذات السلاسل) وخرج هرمز ودعى خالدًا إلى البراز واتفق مع أصحابه على الغدر بخالد ولكن خالد بن الوليد تمكن من قتله.

---

(١) انظر الطبرى: تاريخ الرسل جـ٣ ص٣٤٣ – ٣٤٦، ابن الأثير الكامل جـ ٢٢ ص ٢٦٢.

(٢) دومة الجندل: فى شمال جزيرة العرب ومكانها اليوم مدينة الجوف، انظر عاتق بن غيث اللادى: معجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية ص ١٢٧ دار مكة المكرمة.

(٣) انظرالطبرى: تاريخ الرسل جـ٣ ص٣٤٦ ـ ٣٤٨ ابن الأثير الكامل جـ٢ ص ٣٦٢.

(٤) سميت الموقعة كذلك «كاظمة» نسبة إلى أقرب قرية من المكان الذى وقعت فيه.

(٥) انظرابن الأثير: الكامل جـ٢ص ٢٦٢.

(٦) انظر الطبرى: تاريخ الرسل جـ٢ ص٣٤٧، ٣٤٨.

واندفع القعقاع بن عمر وأحد أبطال المسلمين باتجاه المجموعة المدافعة عن القائد الفارس فأبادهم، ثم استمرت المعركة طيلة النهار وحتى الليل وانتهت بتبديد القوة الرئيسية لجيش هرمز وانهزام المتبقى منها فطاردها المثنى بن حارثة للقضاء عليها[١].

وقد فرح العرب الذين يقيمون فى هذه البلاد بمقتل هرمز لأنه كان أسوأ أمراء الثغور معاملة للعرب حتى كانوا يضربون به المثل فى الخبث فكانوا يقولون: أخبث من هرمز، و «أكفر من هرمز»[٢].

موقعة المذار صفر ١٢ هـ[٣]:

أعاد الفرس تنظيم صفوفهم وأمدهم ملكهم أرد شير بقوات جديدة تحت إمرة قائده قارن بن فريانس الذى التقى مع المسلمين فى موقعة المذار.

وقد اتبع خالد بن الوليد فيها نفس الأسلوب الذى استعمله فى المعركة السابقة، وهو البدء بقتل القائد لما لهذه الخطة من أثر فى إضعاف الروح المعنوية عند العدو وارتفاعها عند المسلمين.

وبالفعل اندفع المسلمون نحو قارن حتى قتلوه وارتفعت حدة القتال حتى هرب الفرس ولم ينج منهم إلا من ركب السفن إلى الشاطئ الآخر لنهر الفرات وكان عدد القتلى من الفرس ثلاثين ألفًا سوى من غرق فى النهر.

ثم تقدم المسلمون فأحرزوا عدة انتصارات وهم فى طريقهم نحو الحيرة.

معركة الولجة صفر ١٢هـ[٤]:

بعد موقعة المذار رأى ملك الفرس أن يحارب العرب بالعرب لأنهم أعلم بخططهم فجمع جيشًا من نصارى بكر بن وائل وغيرها من القبائل التى ترى أن تبعيتها للفرس أفضل من خضوعها للمسلمين وكان هذا الجيش بقيادة الأندر زغر ولكى لا يكون للعرب كل فخار من النصر أقام ملك الفرس قائدًا من أقدر قواده هو بهمن جاذويه على

---

(١) انظر الطبرى: تاريخ الرسل جـ ٣ ص ٣٤٩ – ٣٥٠ ابن الأثير الكامل جـ٢ ص ٢٦٢.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل جـ٣ ص ٣٤٨، ابن الأثير الكامل جـ٢ ص ٣٦٢.

(٣) المذار: على نهر دجلة الضفة اليسرى تقع بين البصرة وواسط بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام، انظر ياقوت: معجم البلدان ج٥، ص ٨٨، وقد سمى ابن الأثير هذه المعركة وقعة الثنى والعرب تسمى كل نهر ثنى انظر فى هذه الموقعة الطبرى: تاريخ الرسل ج٣ ص٣٥١، ٣٥٢ ابن الأثير الكامل ج٢ ص ٢٦٢.

(٤) الولجة: فى شمال المذار موضع وسط البواد قريبة من كسكر، ياقوت: معجم البلدان ج٥ ص ٣٨٣ وعن هذه المعركة انظر الطبرى: تاريخ الرسل ج ٣ ص ٣٥٣، ٣٥٤ ابن الأثير: الكامل ج ٢ ص ٢٦٣، ٢٦٤.

جيش من الفرس ووجهه فى أثرها وعسكروا بالولجة ولما علم خالد بهذا الجمع سار إليهم من الثنى «المذار» فلقيهم بالولجة.

ورتب الهجوم عليهم من ثلاث جهات من الأمام ومن الخلف بواسطة كمائن جعلها خلف الجيش الفارسى.

ونازل خالد العدو من الأمام منازلة شديدة وظن الفريقان أن الصبر قد نفد وأن المعركة لن تنتهى إلى غاية وأنهم لكذلك إذ خرج كمين المسلمين من ناحيتين من وراء الفرس فى حين كان خالد يشتد فى الضغط عليهم من الأمام فانهزم الفرس ومن معهم من العرب ومضى الأندر زغر فى طريقه منبهرًا حتى مات عطشًا فى الصحراء.

وقد قتل فى هذه الموقعة كثير من قبيلة بكر وسبى خالد ذرية المقاتلة وأعطى الأمان للفلاحين فصاروا أهل ذمة.

معركة أليس ربيع الأول ١٢هـ[١]:

لما قتل فى الموقعة السابقة الكثير من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم واستحثوا ملك الفرس أرد شير ليمدهم بجيش يساعدهم على قتال المسلمين، وإجتمعت الجموع من بنى بكر وعجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة بأليس.

وكتب أرد شير إلى بهمن جاذويه يأمره بالقدوم على نصارى العرب لمساعدتهم ففعل، ولما علم خالد بتجمع العرب والفرس بأليس سار إليهم بعد أن ترك حامية قوية فى الحفير لتحمى ظهره.

ودار قتال عنيف بين الفريقين واستبسل المسلمون وتوالت هجماتهم فلم يستطع الفرس الثبات ففروا وأسر المسلمون أعدادًا كبيرة منهم وبلغ عدد القتلى سبعين ألفًا فلما فرغوا من هذه المعركة سار خالد إلى أمغيشيا فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله.

قال أبو بكر ﷺ حين وصلته أخبار هذه الانتصارات: «يا معشر قريش عدا أسدكم فعليه علىَّ خرانيله[٢] عجزت النساء أن يلدن مثل خالد؟[٣].

---

(١) أليس: فى أول أرض العراق من ناحية البادية من قرى الأنارس، ياقوت: معجم البلدان ج١ ص ٢٣٨ وعن هذه المعركة انظر الطبرى: تاريخ الرسل ج ٣ ص ٣٥٥ – ٣٥٨ ابن الأثير: الكامل ج٢ ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) الخراذيل: قطع اللحم واحده خرذولة، انظر الطبرى: تاريخ الرسل ج٣ ص ٣٥٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج٢ ص ٢٦٥.

معركة الحيرة ربيع الأول ١٢ هـ[١]:

تقدم خالد بن الوليد بعد ذلك نحو الحيرة عاصمة العراق العربى ليستولى عليها، واضطرب أمر الفرس وعرب موزيان الحيرة وهو الأذابة واضطر أهلها أن يتحصنوا بقلاع المدينة وبأسوارها فألقى خالد عليها الحصار ثم هاجمهم المسلمون واقتحموا مدينتهم فاستسلموا وقبلوا بدفع الجزية فصالحهم خالد على مائة وتسعين ألف درهم تدفع كل سنة وقبل على مائتين ألف وتسعين ألف.

وبعد فتح الحيرة صلى خالد صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يسلم فيهن اعترافًا بفضل الله عليه واتخذ الحيرة مقرّا له وترك لأهلها إدارة شئون المدينة وحفظ عليهم حقوقهم وتركهم يعملون فى أراضيهم وأعمالهم بعد أن خلصهم من ظلم الفرس فاطمئنوا له.

ولما علم أهل البلدان المجاورة بهذه المعاملة الطيبة أقبلوا عليه يصالحونه فصالحهم خالد على دفع الجزية ومنحهم نفس الشروط التى منحها لأهل الحيرة.

فتح الأنبار[٢]:

زحف خالد بن الوليد بعدئذ بجيشه نحو الشمال تاركًا القعقاع بن عمرو فى الحيرة فتمكن من فتح الأنبار وعقد مع أهلها صلحًا واستخلف عليها الزبرقان بن بدر[٣].

فتح عين النمر[٤]:

ثم تجمع الفرس وبعض القبائل العربية الموالية للفرس بموقع عين النمر إلا أن خالد بن الوليد استطاع أن يهزمها بعد أن أسر قائدها عقة بن أبى عفة.

ولما علم بالأمر حاكم تلك المنطقة مهران بن بهرام الفارسى فر من الحض مع جنده واستسلم الأهلون[٥].

---

(١) الحيرة: تقع فى الجنوب الغربى من العراق على بعد ثلاثة أميال من الكوفة الحالية وقد أقام الملوك المناذرة فى الحيرة منذ القرن الثالث الميلادى دولة مستقلة تدين بالولاء للدولة الفارسية، وعن هذه المعركة انظر الطبرى: تاريخ الرسل ج٣ ص ٣٦٠، ٣٦٨ ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ٣٦٥ – ٣٦٨.

(٢) الأنبار مدينة على نهر الفرات وهى فى غرب بغداد انظر ياقوت: معجم البلدان ج١ ص٢٥٧.

(٣) انظر الطبرى تاريخ الرسل ج٣ ص٢٣٧، ابن الأثير الكامل ج ٢٦٩.

(٤) بلدة قريبة من الأنبار إلى الغرب منها، ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ١٧٦.

(٥) انظر الطبرى: تاريخ الرسل ج٣ ص ٣٧٦ ابن الأثير الكامل ج٢ ص ٢٦٩ إلى ٢٧٠.

معركة الفرائض[١]:

ثم توجه خالد إلى الفرائض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة وقد تجمع بها الروم والفرس والعرب من تغلب وإياد النمر فقاتلهم خالد ودارت بينهم وبين المسلمين معركة حامية انتصر فيها المسلمون انتصارًا ساحقًا حتى قتلوا منهم ألفًا وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتى عشرة[٢].

وبذلك نستطيع أن نقول إن خالد بن الوليد اقتطع من بلاد الفرس حوض نهر الفرات من الأبلة إلى الفرائض.

خالد بن الوليد يتوجه إلى الشام:

بعد معركة الفرائض التى تحقق فيها النصر للمسلمين طلب الخليفة أبو بكر من خالد بن الوليد أن يتوجه إلى الشام لأن سير المعارك على الجبهة الرومانية لم يسر على النحو الذى كان يأمله الخليفة فأراد أن يدعم الجبهة الرومانية بخبرة وكفاءة خالد ابن الوليد العسكرية، فسلم خالد قيادة الجيش فى العراق إلى المثنى بن حارثة الشيبانى بعد أن مكث أربعة عشر شهرًا تمكن فيها المسلمون من فتح غرب الفراس «العراق العربى» وأرسل ملك الفرس بعد رحيل خالد بن الوليد جيشًا عظيمًا يقوده هرمز فلم يقو المثنى بن حارث الشيبانى على الوقوف فى وجه الفرس فارتد إلى أطراف الجزيرة، وتمكن رستم القائد الفارسى من استعادة أجزاء لدولة الفرس كان المسلمون قد غنموها بالفتح.

غير أن سير المعارك فى العراق سيتغير مرة أخرى خلال عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كما سنعرف فيما بعد إن شاء الله.

(ب) الفتوح فى الشام خلال عهد أبى بكر:

فى مطلع السنة الثالثة عشرة جهز الخليفة أبو بكر الصديق أربعة جيوش وجعل على رأس كل منها قائدًا ووجهه إلى جزء معين من بلاد الشام وهذه الجيوش هى:

١- جيش أبى عبيدة بن الجراح لفتح حمص.

---

(١) الفرائض: موضع بين الشرق من البوكمال على بعد٤٠ منها قريبة من الحدود بين العراق وسورية اليوم انظر محمود شاكر: الخلفاء الراشدون ص ٨٨.

(٢) انظر الطبرى: تاريخ الرسل ج٣ ص ٣٨٣، ٣٨٤ ابن الأثير: الكامل ج٢ص٢٧٤.

٢- جيش يزيد بن أبى سفيان لفتح دمشق.

٣- جيش شرحبيل بن حسنة لفتح وادى الأردن

٤- جيش عمرو بن العاص لفتح فلسطين

كما جهز جيش خالد بن سعيد ليكون رداء «احتياطيًا»[١].

بدأت الجيوش زحفها حسب خط السير المرسوم وحدثت بعض المعارك والمناوشات بين الفريقين أثناء توجه كل جيش إلى الجهة التى حددت له، وأعد الروم العدة للقاء المسلمين بكل ما لديهم من قوة.

وكانت خطة الروم أنهم قسموا جنودهم إلى أربعة أقسام كبيرة للقاء جيوش المسلمين الأربعة الأمر الذى أضعف تقدم الجيش الإسلامى لأن عدد الروم أكبر فقد وصل عددهم إلى ٢٤٠ ألف مقاتل على حين كان عدد المسلمين نحو ٢٧ ألف مقاتل.

معركة اليرموك جمادى الآخرة سنة ١٣هـ[٢]:

وشعر قادة المسلمين بخطورة تفرقهم وتكاتبوا فى ذلك فأرسل لهم أبو بكر وقال لهم إن مثلكم لا يؤتى من قلة وإنما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب فاحترسوا منها واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه[٣].

فنزل المسلمون باليرموك وبلغ ذلك هرقل فأمر قواده بأن يجتمعوا وأن ينزلوا منزلاً واسعًا لطعن ضيق المهرب فنزلوا الواقوصة، ولما نزل الروم منزلهم هذا انتقل المسلمون ونزلوا بحذائهم فى مكان لم يكن للروم طريق إلا عليه فقال عمرو بن العاص: أبشروا فقد حصرت والله الروم وقلما جاء محصور بخير[٤].

وبقى المسلمون على ذلك لا يقدرون من الروم على شىء نحو ثلاثة أشهر من صفر سنة ١٣هـ إلى نهاية ربيع الثانى فأصدر أبو بكر الصديق ﷺ أمره إلى خالد بن

---

(١) انظر الطبرى: تاريخ الرسل ج٣ ص ٣٩٤، ابن الأثير: الكامل ج٢ ص ٢٧٦ - ٢٧٨ ياقوت: معجم البلدان ج٥ ص ٤٣٤.

(٢) اليرموك: واد فى الجنوب الشرقى من الشام، ياقوت: معجم البدان ج٥ ص ٤٣٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج٢ ص٢٧٨.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق.

الوليد الذى كان يقود جيوش الفتح فى العراق آنذاك أن يتوجه إلى الشام وأن يتولى قيادة الجند هناك[١].

ووصل خالد إلى الشام فى شهر ربيع الآخر وقرر أن يتجمع جيوش المسلمين ـ التى بلغت حوالى (٣٦) ألفًا على رواية و (٤٠) ألفا على رواية أخرى ـ تحت أمير واحد.

بينما كانت جيوش الروم (٢٤٠) ألفًا على رواية و (١٠٠) على رواية أخرى[٢].

وعندما قال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين، قال خالد: «ما أكثر المسلمين وأقل الروم إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال»[٣].

وفى جمادى الآخرة سنة ١٣هـ دار القتال بين المسلمين وبين الروم وقام المسلمون بهجوم عنيف أظهروا فيه كل ألوان الشجاعة والإقدام حتى لقد قاتلت النساء ومن بينهن خولة بنت الأزور، وكذلك جويرية بنت أبى سفيان[٤].

وأخذ جنود الروم فى السقوط بأرض المعركة وكان سقوط بعض المقيدين بالسلاسل كافيًا لإسقاط المجموعة كلها، وانجلى الموقف عن هزيمة حريرة للروم، وانتصر المسلمون بقيادة خالد بن الوليد الذى تنحى عن القيادة من قبل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ خشية أن يفتتن الناس به فى هذه المعركة الحاسمة التى قررت مصير بلاد الشام وسقوطها بيد المسلمين وحتى يعلم الناس أن النصر من عند الله[٥].

وقد قتل من الروم أكثر من مائة ألف مقاتل بينما قتل من المسلمين نحو ثلاثة آلاف[٦].

وكان لهذه المعركة أثر عميق فى نفوس الروم حيث أضعفت من روحهم المعنوية فلم يثبتوا للمسلمين بعد ذلك فى قتال رغم كثرتهم وتوالت هزائمهم أمام المسلمين.

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج٢ ص٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) انظر ابن الأثير: الكامل ج٢ ص٢٨١.

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل ج٣ ص ٣٦٧، ٣٦٨، ابن الأثير: الكامل ج٢ ص ٢٨٢.

(٤) انظر الطبرى: تاريخ الرسل ج٣ ص ٤٠١.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٣ ق١ ص ٢٠٤.

(٦) ابن الأثير: الكامل ج٢ ص ٢٨٤.

مرض أبى بكر واسخلافه لعمر:

كان أكبر أمر شغل به أبو بكر فى أثناء مرضه هو من يلى أمر المسلمين بعده؟ وذلك لأن الحرب الضارية قائمة بين المسلمين وكل من الفرس والروم، خوفًا من الاختلاف بين المسلمين فى هذه الأوقات الصعبة والظروف الحرجة ولذا فكر الصديق وألهمه الله الرأى فى وجوب الاستخلاف من الذى يستخلفه؟.

إن أحدًا لا يملك هذا الحق وحده ولكنه حق الأمة واختيارها وتذكر لنا الروايات التاريخية أن الصديق رأى عمر بن الخطاب هو أجدر من يحمل أعباء الخلافة ويتولى أمور المسلمين فى هذا الظرف الدقيق، فأخذ ﷺ يستشير كبار الصحابة ويتحسس أراءهم حول هذا الاختيار.

فاستدعى عبد الرحمن بن عوف:

وقال له: أخبرنى عن عمر بن الخطاب؟.

فقال عبد الرحمن: ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى.

فقال أبو بكر: وإن.

فقال عبد الرحمن: يا خليفة رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة.

قال أبو بكر: ذلك لأنه يرانى رقيقًا ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه.

يا أبا محمد قد رمقته فرأيته إذا غضب على الرجل فى الشىء أرانى الرضا عنه وإذا لنت له أرانى الشدة عليه.

ولا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئًا.

قال: نعم.

ثم دعا عثمان بن عفان وقال له: يا أبا عبد الله أخبرنى عن عمر.

قال عثمان: أنت أخبر به، فقال: على ذلك يا أبا عبد الله.

فقال: اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله فقال أبو بكر: رحمك الله يا أبا عبد الله والله لو تركته ما عدوتك ولعلى تاركه والخيرة له ألا يلى من أموركم شيئًا ولوددت أنى كنت خلوًا من أموركم وإنى كنت فيمن مضى من سلفكم.

وطلب منه أن يكتم هذا فقال: أفعل[١].

ثم استشار بعدهما سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار.

فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضى، ويسخط للسخط، الذى يسر خير من الذى يعلن ولم يلِ هذا الأمر أحد أقوى عليه منه[٢].

ودخل بعض الصحابة على أبى بكر وقد علموا باستشارته فى عمر، فقال أحدهم وهوطلحة بن عبد الله: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن إستخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟.

فقال أبو بكر: أجلسونى، فلما جلس قال: أبالله تخوفنى؟ خاب من تزود من أمركم بظلم.

أقول: اللهم استخلف عليهم خير أهلك، ثم قال للقائل: أبلغ عنى ما قلت من ورائك[٣].

ولما اطمأن أبو بكر أن هناك إجماعًا أو ما يشبه الإجماع حول عمر دعا أبو بكر الصديق ﷺ عثمان بن عفان ﷺ وكان يكتب له فقال: اكتب، وأملاه: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، أنى أستخلف من بعدى عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، وأنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خيرًا، فإن عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم، والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله»[٤].

---

(١) انظر الطبرى: تاريخ الرسل ج٣ ص ٤٢٨، ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٣ ق ١ ص ١٤١، ابن الأثير: الكامل ٢ ص٢٩١، ٢٩٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات ج٣ ق١ ص ١٤١، ١٤٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ق١ ص ١٤٢.

(٤) ابن سعد: المصدر السابق.

ثم أمر بالعهد فقرئ على المسلمين وقد أطل عليهم أبو بكر فقال لهم: أترضون من أستخلف عليكم فإنى والله ما آلوت من جهد الرأى ولا وليت ذا قرابة وأنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب واسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعا وأطعنا[١]، وأقروا بذلك جميعًا ورضوا به وبايعوا.

ولما بايع الناس عمر دعاه أبو بكر فأوصاه بما أوصاه به[٢].

وفاة أبى بكر ﷺ:

واستمر مرض أبى بكر مدة خمسة عشر يومًا.

«جاءت عائشة إلى أبى بكر وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه فى صدره فتمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى   إذا حشرجت وضاق بها الصدر

فنظر أبو بكر إلى عائـشة كالغضبان ثم قال: ليس كذاك يا أم المؤمنـين ولـكن ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴾ (سورة ق: ١٩).

وإنى قد كنت نحلتك حائطًا وإن فى نفسى منه شيئًا فرديه إلى الميراث، قالت: نعم، فرددته فقال: أما أنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل دينارًا ولا درهمًا ولكنا قد أكلنا من جرين طعامهم فى بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وليس عندنا من فىء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشى وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة.

فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر وابرئى منهن ففعلت فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل فى الأرض ويقول: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[٣].

وكان آخر ما تكلم به أبو بكر ﷺ: «توفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين».

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل ج٣ ص ٤٢٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات ج٣ ق١ ص١٤٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٣ ق ١ ص ١٣٩.

ثم لحق ﷺ بالرفيق الأعلى يوم الاثنين لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة ثلاث عشرة من الهجرة (١٣ أغسطس ٦٣٤م).

وكانت سنه ثلاثًا وستين سنة.

وغسلته زوجته أسماء بنت عميس حسب وصيته.

وتولى عمر صلاة الجنازة ثم نقل الجثمان إلى القبر ودفن فى حجرة عائشة مع رسول الله ﷺ وجعل رأسه عند كتفى رسول الله ﷺ.

وبهذا بدأت خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

فمن هو عمر بن الخطاب الذى تولى أمر المسلمين بعد أبى بكر؟[1] تعالوا بنا نتعرف على بعض ملامح هذا العبقرى الذى يقل نظيره فى عالم الرجال ودنيا البشر.

---

(١) بذا تكون خلافة أبى بكر ﷺ سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٣ ق١ ص١٤٤.

الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ﷺ
ثانى العشرة المبشرين بالجنة

الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ ١٣ - ٢٣هـ:

اسمه ونسبه:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل من بنى عدى بن كعب بن لؤى.

وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة من بنى مخزوم، فهو فرشى أصيل ويكنى بأبى حفص ويلقب بالفاروق وهو أول من سمى بأمير المؤمنين[١].

وقد ولد بعد مولد الرسول ﷺ بثلاثة عشر عامًا، واشتهر بالشجاعة والشهامة والجرأة والصرامة.

أسلم ﷺ فى السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة[٢] وكان من أوائل الناس إسلامًا فقد أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، فما هو إلا أن أسلم فظهر الإسلام بمكة وفرح به المسلمون.

وهو أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين وأحد أصهار رسول الله ﷺ وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم.

وفضائله لا تحصى وأخباره لا تستقصى وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ والمقصود هنا ذكر صور من حياته للعبرة والأسوة.

شجاعته:

أخرج ابن عساكر عن على قال: ما علمت أحدًا هاجر إلا متخفيًا إلا عمر بن الخطاب فإنه لما همَّ بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهمًا وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعًا، ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال: شاهت الوجوه، من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى، فما تبعه منهم أحد[٣].

---

(١) انظر: مروج الذهب ص٤١٧ للمسعودى.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٨٩.

(٣) تاريخ الخلفاء ١/ ٩٤.

اهتمامه برعيته

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر إلى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجى وترك صبية صغارًا والله ما ينضجون كراعًا ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت عليهم الضبع وأنا ابنة خفاف بن إيماء الغفارى وقد شهد أبى الحديبية مع النبى ﷺ، فوقف معها عمر ولم يمض وقال: مرحبًا بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا فى الدار فحمل عليه غرارين ملأهما طعامًا، وجعل بينهما نفقة وثيابًا ثم ناولها خطامه فقال: اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها.

فقال عمر: ثكلتك أمك والله إنى لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه ثم أصبحنا نستفىء سهامنا فيه[1].

وعن الأوزاعى أن عمر بن الخطاب خرج فى سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتًا ثم دخل آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى البيت ذلك فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا، يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى، قال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع[2].

وعن ابن عمر قال: قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن ابن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبى فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقى الله وأحسنى إلى صبيك ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاؤه فعاد إلى أمه فقال لها مثل لك ثم عاد إلى مكانه فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال لها: ويحك إنى لأراك أم سوء ما لى أرى ابنك لا يقر منذ الليل؟ قالت: يا عبد الله قد أبرمتنى منذ الليلة، إنى أريغه عن الفطام فيأبى، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطم، قال: وكم له؟ قالت: كذ وكذا شهرًا، قال: ويحك لا تعجلين، فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلم قال: يا بؤسًا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر مناديًا فنادى أن لا تعجلوا

---

(١) رواه البخارى وانظر صفة الصفوة (١/ ١١٣).

(٢) صفة الصفوة (١/ ١١٣، ١١٤).

صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود فى الإسلام[(١)].

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان عمر يصوم الدهر، وكان زمان الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد فى الزيت إلى أن نحروا يومًا من الأيام جزورًا فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها، فأتى به فإذا قدر من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ قالوا: أمير المؤمنين من الجزور التى نحرنا اليوم، قال: بخ بخ! بئس الوالى أنا إن أكلت أطيبها وأطعمت الناس كراديسها، ارفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام.

فأتى بخبز وزيت فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز ثم قال: ويحك يا يرفأ، ارفع هذه الجفنة حتى تأتى بها آهل بيت بثمغ فإنى لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين فضعها بين أيديهم[(٢)].

وأخرج ابن عساكر عن أبى صالح الغفارى: أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزًا كبيرة عمياء فى بعض حواشى المدينة من الليل، فيسقى لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبى بكر الذى يأتيها ــ وهو يومئذ خليفة ــ فقال عمر: أنت هو لعمرى[(٣)].

وأخرج عبد الرزاق فى «مصنفه» عن قتادة والشعبى قالا: جاءت عمر امرأة فقالت: زوجى يقوم الليل ويصوم النهار، فقال عمر: كيف؟ قال: تزعم أنه ليس لها من زوجها نصيب، قال: فإذا قد فهمت ذلك فاقض بينهما.

فقال: يا أمير المؤمنين أحل الله له من النساء أربعًا فلها من كل أربعة أيام يوم، ومن كل أربع ليال ليلة.

وأخرج عن ابن جريج قال: أخبرنى من أصدقه أن عمر بينما هو يطوف سمع امرأة تقول:

---

(١) صفة الصفوة (١/ ١١٣، ١١٤)

(٢) صفة الصفوة (١/ ١١٤) ويرفأ: خادم لعمر.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٦٥ فى ترجمة أبى بكر.

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقنى أن لا خليل ألاعبه
فلولا حذار الله لا شىء مثله لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر: ما لك؟ قالت: أغزيت زوجى منذ أشهر وقد اشتقت إليه، قال: أردت سوءًا؟ فقالت: معاذ الله.

قال: فاملكى عليم نفسك فإنما هو البريد إليه.

فبعث إليه ثم دخل على حفصة فقال: إنى سائلك عن أمر قد أهمنى فافرجيه عنى؟ كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها واستحيت، قال: فإن الله لا يستحيى من حق، فأشارات بيدها: ثلاثة أشهر وإلا فأربعة أشهر.

فكتب عمر: أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر [1].

أخرج ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال: كنا جلوسًا بباب عمر فمرت جارية فقالوا: سرية أمير المؤمنين.

فقال: ما هى لأمير المؤمنين بُسرية ولا تحل له إنها من مال الله، فقلنا: فماذا يحل له من مال الله تعالى؟ قال: إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتين: حلة للشتاء وحلة للصيف وما أحج به وأعتمر وقوتى وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا بعد رجل من المسلمين.

وأخرج ابن سعد عن البراء بن معرور أن عمر خرج يومًا حتى أتى المنبر وكان قد اشتكى شكوى فنعت له العسل وفى بيت المال عُكة «وهى وعاء صغير يوضع فيه السمن، فقال: إن أذنتم لى فيها أخذتها وإلا فهى علىَّ حرام، فأذنوا له بها [2].

وأخرج عن ابن عمر قال: كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شىء تقدم إلى أهله فقال: لا أعلمن أحدًا وقع فى شىء مما نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة [3].

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ١١٥.
(٢) السابق ص١١٣.
(٣) السابق ص ١١٣.

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر أمر عماله فكتبوا أموالهم منهم سعد بن أبى وقاص فشاطرهم (قاسمهم أموالهم بالنصف) عمر فى أموالهم، فأخذ نصفًا وأعطاهم نصفًا[(١)].

وأخرج عن الشعبى أن عمر كان إذا استعمل عاملاً كتب ماله.

وأخرج عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال: مكث عمر زمانًا لا يأكل من بيت المال شيئًا حتى دخلت عليه فى ذلك خصاصة[(٢)] فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم فقال: قد شغلت نفسى فى هذا الأمر فما يصلح لى منه؟ فقال على: غداء وعشاء، فأخذ بذلك عمر.

وأخرج عن ابن عمر أن عمر حج سنة ثلاث وعشرين فأنفق فى حجته ستة عشر دينارًا، فقال: يا عبد الله أسرفنا فى هذا المال[(٣)].

زهده وتواضعه:

كان عمر ﷺ مثلاً أعلى فى الزهد والتواضع وأخباره فى ذلك كثيرة:

وهذه جمل منها:

١- روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب عن طريق عمر: فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صب الماء بدم الفرخين، فأصاب عمر فأمر عمر بقلع الميزاب، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابًا غير ثيابه، ثم جاء فصلى بالناس فأتاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذى وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهرى حتى تضعه فى الموضع الذى وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس[(٤)].

٢- وقال الحسن: خطب عمر الناس وهو الخليفة وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة.

٣- وقال أنس: كان بين كتفى عمر ثلاث رقاع.

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ١١٤.

(٢) الخصاصة: الفقر والحاجة وسوء الحال.

(٣) السابق ص ١١٤.

(٤) صفة الصفوة ١/١١٥.

٤- وعن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لعمر: يا أمير المؤمنين لو اكتسيت ثوبًا هو ألين من ثوبك، وأكلت طعامًا هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير؟ فقال: إني سأخاصمك إلى نفسك.

أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش، وكذلك أبو بكر؟ فما يزال يذكرها حتى أبكاها، فقال لها: أما والله لأشاركنهما فى مثل عيشهما الشديد لعلى أدرك عيشهما الرضى[١].

٥- وعن عبد الله بن عيسى قال: كان فى وجه عمر خطان أسودان من البكاء[٢].

٦- وعن عبد الله بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب يقول: لو مات جدى بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر[٣].

٧- وعن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يحب الصلاة فى جوف الليل، يعنى فى وسط الليل[٤].

٨- وقال عكرمة بن خالد: وأصاب الناس سنة (مجاعة) فما أكل عامئذ سمنًا ولا سمينًا[٥].

٩- وقال ابن أبى مليكة: كلم عتبة بن فرقد عمر فى طعامه، فقال: ويحك آكل طيباتى فى حياتى الدنيا وأستمتع بها[٦].

فليت الخلفاء كلهم مثل عمر.

فضائل عمر ومناقبه:

لعمر ﷺ الفضائل العظمى التى لا تستقصى، من ذلك: أن النبى ﷺ دعا له بالإسلام فقال: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب»[٧].

---

(١) رواه أحمد وانظر صفة الصفوة (١/ ١١٤، ١١٥).

(٢) المصدر السابق (١/ ١١٥).

(٣) السابق.

(٤) السابق.

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٢٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٢٠).

(٧) صحيح رواه ابن ماجه، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ١٩١) وتاريخ الخلفاء ص ١٧٨.

وقال رسول الله ﷺ لعمر: «والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجّا قط إلا سلك فجا غير فجك» رواه البخارى.

عن ابن مسعود قال: «كان إسلام عمر عزّا وهجرته نصرًا وإمارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر»(١).

وروى البخارى عن ابن مسعود قال: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر».

وروى البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم شربت ـــ يعنى اللبن ـــ حتى أنظر إلى الرى يجرى فى ظفرى أو فى أظفارى ثم ناولته عمر» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم».

وروى البخارى عن أبى هريرة عنه ﷺ قال: «لقد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل رجال يتكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر».

وروى أبو داود بسند صحيح عنه ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه».

وكان الصحابة يعرفون له فضله، قال ابن مسعود: إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا فى دين الله.

وقال أيضًا: «لو أن علم عمر وضع فى كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لرجح عمر بعلمهم».

وقال حذيفة ﷺ: كان علم الناس مدسوسًا فى حجر مع عمر.

وقال ابن عمر: تعلم عمر البقرة فى اثنتى عشرة سنة فلما تعلمها نحر جزورًا.

خلافته:

ولى عمر ﷺ الخلافة بعهد من أبى بكر فى يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشرة من الهجرة.

وفى عهده اتسعت الفتوح الإسلامية اتساعًا هائلاً، وكثرت الأموال وفتح بيت المقدس وتسلم بيده مفاتيح المسجد الأقصى.

---

(١) الطبقات (٣/ ١٩٣) وتاريخ الخلفاء (ص١٨٦).

وعمر ﷺ هو: أول من سمى أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ من الهجرة.

وأول من اتخذ بيت المال، وأول من جمع الناس على قيام رمضان بعد رسول الله، وأول من تفقد أحوال الناس بالليل، وأول من اتخذ الديوان، وأول من اتخذ الدرة وأول من مصر الأمصار: الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر والموصل، وأول من فتح الفتوح.

وهو الذى اتخذ دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه، يعين به المنقطع، ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به، وهوالذى أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام، وأخرج أهل نجران إلى الكوفة، وهو الذى أخر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم وكان ملصقًا بالبيت فأخره حتى يفسح طريقًا للطائفين.

وقد استمرت فترة خلافته عشر سنوات وستة أشهر وأربعة أيام.

زوجاته وأولاده:

تزوج عمر ﷺ زينب بنت مظعون فولدت له عبد الله وحفصة وعبد الرحمن الأكبر.

وتزوج مُليكة الخزاعية فولدت له عبيد الله، وتزوج أم حكيم بنت الحارث المخزومية فولدت له فاطمة.

وتزوج جميلة بنت ثابت فولدت له عاصمًا وتزوج أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء وأصدقها أربعين ألفًا.

فولدت له زيدًا الأكبر ورقية.

وتزوج (لُهية) امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الأصغر، وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.

عهد عمر(١)

لما نزل بأبى بكر الموت واستخلف عمر بعد مشورة المسلمين ودخل طلحة بن عبيد الله فقال: استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه من غلظه وأنت معه وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك؟.

فقال أبو بكر: أجلسونى، فأجلسوه، فقال: أبالله تخوفنى إذا لقيت ربى فسألنى قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك، ثم إن أبا بكر أحضر عثمان خاليًا ليكتب عهد عمر فقال له اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين ثم أغمى عليه، فكتب عثمان أما بعد: فإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم أقصر.

ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ على فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال: جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا، وتوفى أبو بكر مساء الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاثة عشر فاستقبل عمر بخلافة يوم صبيحة موت أبى بكر.

الأمير النموذج

لم يزل عمر بن الخطاب ﷺ هو الأمير الأنموذج عند أهل الدنيا وأهل الآخرة، فلقد انطبعت هذه الحقيقة فى الأذهان حتى غدت بديهية، فقد كان وما يزال ثالث هذه الأمة فى الفضل والخيرية بعد نبيها والصديق وعلى ذلك إجماع السلف والخلف من أهل السنة والجماعة.

كان بالحق ناطقًا، وبالعدل معروفًا، وبالشجاعة موصوفًا، وبالعبادة والخشوع والجهاد ملتزمًا ومرفوعًا، بالإلهام اللائق بالأولياء مخصوصًا، قال ابن عمر: «كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم» (٢).

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة ص ٢٦ – ٣٩ تأليف الأستاذ/ محمد صالح عوض.

(٢) سبق تخريجه.

وقال أهل العلم: لما أسلم عمر عز الإسلام، وهاجر جهرًا، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض، وشهد له بالجنة [١] والشهادة [٢] وبما سيكون على يده من الخير ووصفه بالعبقرى (لم أر عبقريًا يفرى فريه) [٣] وبين أنه إن كان فى الأمة محدث فهو عمر بن الخطاب [٤].

كان مقربًا من رسول الله ﷺ يستشيره فى المهمات وقد صاهره بالزواج من ابنته حفصة، وأخبر أن الشيطان يفر منه [٥].

ومن مناقبه موافقته للقرآن فى خمسة عشر موضعًا، قال على: إن كنا لنرى أن فى القرآن لكلامًا من كلامه ورأيًا من رأيه، وقال ابن عمر: «ما نزل بالناس أمر فقالوا فيه وقال عمر إلا نزل القرآن بوفاق قول عمر» [٦].

ومن مناقبه أنه أول من جمع الناس لقيام رمضان، وأول من تسمى بأمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ من الهجرة.

وأول من عسَّ فى عمله وحمل الدرة وأدب بها ووضع الخراج، ومصَّر الأمصار، واستقضى القضاة، ودون الدواوين، وفرض الأعطية وحج بالناس عشر حجج متوالية، وحج بأمهات المؤمنين فى آخر حجة حجها، وقد ذل لوطأته ملوك فارس والروم وعتاب العرب، قال بعضهم: كانت دُرة عمر أهيب من سيف الحجاج ــ والدرة هى العصا ــ وبلغ من هيبته أن الناس تركوا الجلوس على الأفنية، وكان الصبيان إذا رأوهو هم يلعبون فروا مع أنه لم يكن جبارًا ولا متكبرًا، بل كان حاله بعد الولاية كما كان حاله قبلها... بل زاد تواضعًا، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أم شبابًا ومن مناقبه: محاسبة الولاة وفق مبدأ من أين لك هذا؟ ومنعهم من أذى الرعية، وفتح بابه أمام شكاوى الناس وكان ربما حمل القِربة على ظهره لأرامل

---

(١) صحيح البخارى ٣٦٧٤.

(٢) صحيح مسلم ١٨٨.

(٣) صحيح البخارى ٣٦٨٢.

(٤) صحيح البخارى ٣٦٨٩.

(٥) صحيح البخارى ٣٦٨٣.

(٦) صحيح سنن الترمذى ٢٩٠٨.

المدينة، ويحمل لهم صلتهم من بيت المال، ويحلب لهم شياههم، وربما أوقد تحت قدورهم ونفخ النار وصلى حرها ودخانها، وكان يسير منفردًا من غير حرس ولا حجاب، ولم تغره الإمرة، ولم تبطره النعمة ولا استطال على مؤمن بلسانه، ولا حابى أحدًا فى الحق لمنزلته، وكان يقول للمسلمين: إنما أنا ومالكم كوالى اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت... وهذا غيض من فيض من مناقيه!!.

رجل رفض الدنيا

قال طلحة بن عبيد الله: «ما كان عمر بن الخطاب بأولنا إسلامًا وبأقدمنا هجرة، ولكنه كان أزهدنا فى الدنيا وأرغبنا فى الآخرة»(١) وقال أصحاب السير: «قالت حفصة بنت عمر لأبيها: قال يزيد: إنه قد أوسع الله الرزق وفتح عليك الأرض وأكثر من الخير فلو طعمت طعامًا ألين من طعامك، ولبست لباسًا ألين من لباسك، قال عمر: سأخاصمك إلى نفسك، أتذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش فما كاد يذكرها حتى أبكاها... ثم قال: إنى قد قلت لك إنى والله لئن استطعت لأشاركنهما فى عيشهما الشديد لعلى ألقى معهما عيشهما الرضى يقصد الرسول ﷺ والصديق.

وكان حفص بن أبى العاص يحضر طعام عمر فكان لا يأكل، فقال له عمر: «ما يمنعك من طعامنا؟ قال: إن طعامك خشن غليظ وإنى راجع إلى طعام لين قد صنع لى فأصيب منه، قال عمر: أترانى أعجز أن آمر بشاة فيلقى عنها شعرها وآمر بدقيق فينخل فى خرقة ثم يصب فى خرقة ثم آمر به فيخبز خبزًا رقاقًا، وآمر بصاع من زبيب فيقذف فى سُعن(٢) ثم يصب عليه من الماء فيصبح كأنه دم غزال؟ فقال حفص: إنى لأراك عالمًا بطيب العيش فقال عمر: أجل! والذى نفسى بيده لولا أخشى أن تنتقص حسناتى لشاركتكم فى لين عيشكم»(٣).

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٠٧.

(٢) السُّعن: قربة ينبذ فيها ويستقى بها... لسان العرب مادة سعن ٦/ ٢٧١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢١٦.

واشتهى عمر سمكًا طريًّا فأخذ يرفأ ــ خادمه ــ راحلة فسار ليلتين مقبلاً ومدبرًا، واشترى مكتلاً وجاء به وقام يرفأ إلى الراحلة يغسلها من العرق، فنظر إليها عمر وقال: «عذبت بهيمة من البهائم فى شهوة عمر؟ والله لا يذوق عمر ذلك»[1].

ودخل ذات مرة على ابنه عبد الله، وإذا عندهم لحم فقال: «ما هذا اللحم؟ فقال: اشتهيته، قال: أوكلما اشتهيت شيئًا أكلته... كفى بالمرء سرفًا أن يأكل كل ما اشتهاه»[2].

وأتى عمر بمال فوضع فى المسجد فخرج إليه يتفحص وينظر إليه فهملت عيناه، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين ما يبكيك؟ فوالله إن هذا لمن مواطن الشكر، فقال عمر: «إن هذا المال ما أعطيه قوم قط إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء»[3].

ووفد على عمر مسك وعنبر من البحرين فقال: «والله لوددت أنى وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد ابن عمرو: أنا جيدة الوزن فهلم أزن لك، قال: لا، قالت: لم؟ قال: إنى أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا، وأدخل أصابعه فى صدغيه، وتمسحين به عنقك فأصيب فضلاً من المسلمين»[4].

وعن أنس قال: «تقرقر بطن عمر وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان حرم عليه السمن، فنقر بطنه بإصبعه، قال: تقرقر تقرقرك إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس»[5] ولله در حافظ إبراهيم حين قال:

إن جاع فى شدة قوم شركتهم ... فى الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته ... فى الزهد منزلة سبحان موليها

---

(١)مناقب العشرة ٤٠٨.
(٢)أحمد فى الزهد ١٥٣.
(٣)أحمد فى الزهد ١٤٩.
(٤)أحمد فى الزهد ١٤٩.
(٥)الطبقات لابن سعد ٣/ ٦٣٨.

فمن يبارى (أبا حفص) بسيرته ... أو من يحاول للفاروق تشبيهًا
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها ... من أين لى ثمن الحلوى فأشريها
لا تمتطى شهوات النفس جامحة ... فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به ... أولى فقومى لبيت المال رديها
كذلك أخلاقه العليا وما عهدت ... بعد النبوة أخلاق تحاكيها!

عن السائب بن يزيد قال: «رأيت عمر فى زمن الرمادة وعليه إزار فيه ست عشرة رقعة وهو يقول: اللهم لا تجعل هلكة أمة محمد على رجلى»[(١)].

وعن عامر بن ربيعة قال: «خرجت مع عمر حاجًا إلى مكة من المدينة إلى أن رجعنا فما ضرب له فسطاطًا ولا خباءً، بل كان يلقى الكساء أو النطع على الشجرة فيستظل تحته»[(٢)].

وعن الحسن قال: «مر عمر على مزبلة فاحتبس عندها فكأنه شق على أصحابه وتأذوا منها فقال: هذه دنياكم التى تحرصون عليها»[(٣)].

ورعه وخوفه من الله

كان عمر يتاجر وهو خليفة وقد جهز عيرًا إلى الشام فبعث إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يستقرض منه أربعة آلاف درهم فقال للرسول قال له يأخذها من بيت المال ثم يردها، فلما جاءه الرسول وأخبره بما قال فشق ذلك عليه فلقيه عمر فقال له: أنت القائل ليأخذها من بيت المال؟ فإن مت قبل ان تجىء قلتم أخذها أمير المؤمنين دعوها له وأؤاخذ بها يوم القيامة، لا ولكن أردت أخذها من رجل حريص شحيح، فإن مت أخذها من مالى»[(٤)].

وعن المسور بن مخرمة قال: «كنا نلتزم عمر نتعلم منه الورع»[(٥)].

---

(١) الطبقات لابن سعد ٣/٢٤٣.
(٢) الطبقات ٣/ ٢١١.
(٣) أحمد فى الزهد ١٤٧.
(٤) الطبقات الكبرى ٣/ ٢١١.
(٥) الطبقات٣/ ٢٣٠.

وعن عبد الله الأشعرى أنه خرج إلى عمر فنزل ضيفًا عليه وكان لعمر ناقة يحلبها، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبنًا فأنكره فقال: «ويحك من أين هذا اللبن؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الناقة انفلت عليها ولدها فشرب لبنها فحلبت لك ناقة من مال الله، فقال عمر: ويحك سقيتنى نارًا! ادع لى على بن أبى طالب، قال: فدعاه فقال: إن هذا عمد إلى ناقة من مال الله فسقانى لبنها أفتحله لى؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، هو حلال لك ولحمها» (١).

وعن قتادة قال: «قدم بريد ملك الروم على عمر فاستقرضت امرأة عمر دينارًا فاشترت به عطرًا، وجعلته فى قوارير وبعثت به مع البريد إلى امرأة ملك الروم، فلما أتاها فرغتهن وملأتهن جواهر، وقالت: اذهب به إلى امرأة عمر، فلما أتاها فرغتهن على البساط، فدخل عمر، فقال: فأخبرته فأخذ عمر الجوهر فباعه، ودفع إلى امرأته دينارًا، وجعل ما بقى فى بيت المال» (٢).

إن عمر ليكاد يذوب ويتحلل كلما حومت حوله من بعيد ومضة من ومضات ربه ذى الجلال والإكرام، وكان لا يفتأ يردد لنفسه هذا اللحن المهيب: ما تقول لربك غدًا؟ عن عبد الله بن عوف عن أبيه عن جده قال: «صاح على عمر يومًا وعلانى بالدرة فقلت: أذكرك الله، قال: فطرحها وقال: ذكرتنى عظيمًا» (٣).

ما تقول لربك غدًا...؟ عبارة قد تتلوها فى دعة ويسر أما هو فكانت تزلزله زلزالاً شديدًا (٤).

يقول الأحنف بن قيس: كنت مع عمر فلقيه رجل فقال: «يا أمير المؤمنين انطلق معى فأعدنى على فلان فقد ظلمنى... فرفع عمر درته وخفق بها رأس الرجل وقال له: تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم، مقبل عليكم، حتى إذا شغل بأمر المسلمين أتيتموه: أعدنى أعدنى ــ يعنى أنصفنى ــ فانصرف الرجل وهو غاضب، فقال عمر:

---

(١)مناقب عمر لابن الجوزى ١٥٢.

(٢)مناقب العشرة ٤١٩.

(٣)الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٣٥.

(٤)خلفاء الرسول ١٣٧.

على بالرجل، فلما عاد ناوله الدرة وقال له: خذ واقتص لنفسك منى، قال الرجل: لا والله، ولكنى أدعها لله ولك، حتى قال: ليس هكذا، إما تدعها لله إرادة ما عنده، أو تدعها لى فأعلم ذلك، قال أدعها لله، قال: أدعها لله، قال الأحنف: فانصرف ثم جاء يمشى حتى دخل منزله وأنا معه فصلى ركعتين ثم جلس فقال: يا بن الخطاب: كنت وضيعًا فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزك الله ثم حملك على رقاب الناس فجاءك يستعديك فضربته، ما تقول لربك غدًا إذا أتيته؟ قال الأحنف: فجعل يعاتب نفسه حتى ظننت أنه خير أهل الأرض[1].

كان عمر يخاف الله خوف العبد الذى يرهبه قرع العصا ولذع السياط؟ لا، وإنما كان يخشاه خشية الحر الذى يرجو لربه وقارًا، ويضرع إليه إجلالاً وإكبارًا، ويخجل أن يلقاه بتقصير أى تقصير، وهذا هو نشيده دومًا: كنت وضيعًا فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزك الله فما تقول لربك غدًا إذا أتيته...؟[2].

ذات يوم، يقول لجليسه أبى موسى الأشعرى: «يا أبا موسى، هل يسرك أن إسلامنا مع رسول الله وهجرتنا معه، وشهادتنا وعملنا كله يرد علينا، لقاء أن ننجو كفافًا، لا لنا ولا علينا...؟! فقال أبو موسى: لا والله يا عمر، فلقد جاهدنا، وصلينا وصمنا وعملنا خيرًا كثيرًا، وأسلم على أيدينا خلق كثير وإنا لنرجو ثواب ذلك، فيجيبه عمر ودموعه تنحدر على وجنتيه كحبات لؤلؤ منثور: أما أنا والذى نفس عمر بيده لوددت أن ذلك يرد لى، ثم أنجة كفافًا رأسًا برأس..!!».

أنظر إلى أى مدى يهاب الله ويستحى من جلاله!! إن رسول الله ﷺ بشره بالجنة وإنه لأقوى من كل شهوة وذلة، حتى لكأنه معصوم من الخطأ عصمة كاملة، ومع هذا يقف دائمًا من الله موقف الخشية والحذر والحياء...»[3].

وحين دعى للقاء ربه، واقتربت اللحظات التى سيودع فيها دنيا الناس، وكانت مشغلته الكبرى حينئذ اختيار الرجل الذى يسلمه الأمانة والزمام، اقترب منه المغيرة بن

---

(١) أسد الغابة ٣/ ٦٥٤ وانظر خلفاء الرسول ١٣٧.

(٢) خلفاء الرسول خالد محمد خالد ١٣٨.

(٣) خلفاء الرسول ١٣٩.

شعبة قائلاً: أنا أدلك عليه يا أمير المؤمنين، إنه عبد الله بن عمر... هنالك انتفض عمر وقال: لا أرب لنا فى أموركم، وإنى ما حمدتها ــ يقصد الخلافة ــ فأرغب فيها لأحد من أهل بيتى، إن كانت خيرًا أصبت منه، وإن كانت شرًا، فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد... إلا أنى قد جهدت نفسى وحرمت أهلى... وإن نجوت كفافًا لا وزر ولا أجر إنى لسعيد...!!بالله ما أتقاه، وما أنقاه وما أبره، وما أطهره... إنه مهموم بما سيقوله لربه غدًا... وعمر فى شدته حين يشتد وفى لينه حين يلين، إنما يحركه حرصه الشديد أنه يلقى الله صادق اللهجة.

يقول عبد الرحمن بن عوف: يا عبد الرحمن، لقد لنت للناس حتى خشيت الله فى اللين، ثم اشتددت حتى خشيت الله فى الشدة، وأيم الله لأنا أشد منهم فرقًا وخوفًا فأين المخرج..؟ يقول هذا وينتحب باكيًا...فيقول عبد الرحمن بن عوف ــ وهو يمتلى هذا المشهد الفريد ــ: أف لهم من بعدك»[1].

تواضع لا مثيل له

هل سمع الناس فى طول دنياهم وعرضها، بعاهل استحالت كل أبهة السلطان وبذخه أمام ناظريه على حجر ملتهب يتوقاه أكثر ما يكون التوقى، ويحاول الفرار منه لو يجد للفرار سبيلاً..؟ ذات يوم وهو جالس مع أصحابه اقتحم المجلس رجل مكروب تغشاه وعثاء السفر، وإذا به يقترب من الناس فيراهم يقولون لأحدهم يا أمير المؤمنين، فيتجه صوب الأمير، ويقول له فى مرارة: أأنت عمر؟ ويل لك من الله يا عمر!! ثم يمضى لحال سبيله غير وان ولا مكترث ويلحق بعض الحاضرين بالرجل فى غيظ منهم عليه، ولكن عمر يناديهم ويأمرهم أن يعودوا لمجلسهم ويهرول هو وراء الرجل وفؤاده يرتجف، ألم يقل له الرجل: ويل لك من الله يا عمر؟! إنها الطامة إذن، وإنه الهول الذى لا يطيق عمر عليه صبرًا، ويدرك الرجل ثم يعود به ويسأله: ويلى من الله لماذا يا أخا العرب؟ فيجيبه الرجل: لأن عمالك وولاتك لا يعدلون، بل يظلمون، ويسأل عمر: أى عمالى تعنى؟ يقول الرجل: عامل لك فى مصر اسمه عياض بن غنم، ولا

---

(١) خلفاء الرسول ١٣٩.

يكاد عمر يسمع تفاصيل الشكوى حتى يختار من أصحابه رجلين ويقول لهما: اركبا إلى مصر، وائتيانى بعياض بن غنم!! هذا عمر هذا الشامخ العارم الذى يتفجر قوة وبأسًا وجرأة...إذا أردت أن تبصره كعصفور احتواه إعصار... فليس عليك إلا أن تقول له: ألا تتقى الله يا عمر؟ هناك تشهد إنسانًا قامت يساره وكتابه منشورًا أمام عينيه والأفق كله يدوى فى سمعه»[١].

﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء: ١٤).

ولقد كان معه تواضعه... حتى وهو مشرف على الرحيل عن الدنيا... وساعة كان يستقبل الموت يقول لابنه عبد الله: يا عبد الله خذ رأسى عن الوسادة وضعها فوق التراب لعل الله ينظر إلىَّ فيرحمنى...!!.

رآه زيد بن ثابت وعلى عاتقه قربة ماء وهو يتخلل الناس، فقال: «يا أمير المؤمنين، فقال لى: لا تتكلم وأقول لك، يقول زيد: فسرت معه حتى صبها فى بيت عجوز، وعدنا إلى منزله، فقلت له فى ذلك، فقال: إنه حضرنى بعد انصرافك رسول الروم ورسول الفرس فقالوا: لله درك يا عمر، قد اجتمع الناس على علمك وفضلك وعدلك فلما خرجوا من عندى تداخلنى ما يتداخل البشر فقمت ففعلت بنفسى ما فعلت»[٢].

ويسأل كل من يلقاه فى لهفة وجد: قل لى بربك ولا تكذبنى كيف تجد عمر...؟.

أتحسب الله راضيًا عنى...؟أتراني لم أخف الله ورسوله فيكم...؟ عن أنس قال: «سمعت عمر يومًا وقد خرجت معه حتى دخل حائطًا فسمعته وهو يقول: عمر أمير المؤمنين بخ بخ والله يا بن الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك»[٣].

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة: «صحبت عمر من المدينة إلى مكة فى الحج ثم رجعنا فما ضرب فسطاطًا، ولا كان بناء يستظل به، وإنما كان يلقى كساءه على الشجرة فيستظل تحته»[٤].

---

(١) خلفاء الرسول ١٤٦.

(٢) الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى ٤٢٢، وانظر خلفاء الرسول ١٤٦.

(٣) أحمد فى الزهد ١٤٤، وانظر خلفاء الرسول ١٤٦.

(٤) الطبقات لابن سعد ٣/ ٢١١.

عدله واهتمامه برعيته

وأما عن عدله واهتمامه برعيته فسوف نلتقى به فى دروب التاريخ ونحاول أن نعيش معه لحظات، ونأخذ من المشهد المكتوب عوض ما فاتنا من المشهد الحى، والمشهد المسطور من تاريخه لا يكاد يختلف عن المشهد الحى إلا فى غياب البطل عن حاسة البصر»[١].

ولنبدأ فى عرض بعض المشاهد:

فى عام الرمادة، وكان عام مجاعة قاتلة بالمدينة، أمر يومًا بنحر جزور وتوزيع لحمه على أهل المدينة، وقام المختصون بالمهمة، بيد أنهم استبقوا لأمير المؤمنين أطيب أجزاء الذبيحة... وعند الغذاء، وجد عمر أمامه سنام الجزور وكبده، وهما أطيب ما فيه!! فقال: من أين هذا...؟ قيل: من الجذور الذى ذبح اليوم، فقال وهو يريحه بيده: بخ بخ، بئس الوالى أنا، إن طعمت طيبها وتركت للناس عظامها... ثم نادى خادمه أسلم وقال له: ارفع هذه الجفنة وائتنى بخبز وزيت...!!.

وذات يوم يتلقى من أحد ولاته هدية من الحلوى، ولا تكاد توضع بين يديه حتى سأل من جاء بها: ما هذا؟ قال: حلوى يصنعها أهل أذربيجان، فذاقها عمر، فوجد لها مذاقًا شهيًا فعاد يسأل من جاء بها... أوكل المسلمين هناك يطعمون هذا؟ قال الرجل: لا... وإنما هو طعام الخاصة... فأعاد عمر إغلاق الوعاء جيدًا وقال للرجل: أين بعيرك...؟ خذ حملك هذا، وارجع به لعتبة، وقل له: عمر يقول لك: اتق الله، وأشبع المسلمين مما تشبع منه...!![٢].

ويعقبه على ذلك الأستاذ خالد محمد خالد فى كتابه «خلفاء الرسول» فيقول: هذا الحاكم لا نلقاه فى مكان الصدارة ولا فى مقدمة الموكب إلا حين تكون المخاطر داهمة... أما دون هذا، فقد اختار مكانه دومًا هناك..آخر المقعد.. فى آخر صف... ليحرس القافلة وليتأكد إذا كانت ثمة نعمة مقبلة أنها لم تبلغه إلا بعد أن قد مرت بالناس جميعًا!!.

---

(١) خلفاء الرسول بتصرف ١٤٥.

(٢) خلفاء الرسول ١١٦.

ونوالى عرض المشاهد:

لو رأيناه وهو يعاتب ولده عبد الله لرأينا عجبًا.. مع أن عبد الله كان إمامًا فى الورع والزهد والتقى... فقد كان يتبع خطى أبيه ولم تكن نفسه لتزين له شبهة من سوء، ومع هذا، فما كاد عمر يراه يستروح نعمة متواضعة من نعم الدنيا إلا قال له: لأغنك ابن أمير المؤمنين تأكل لحمًا، والناس فى خصاصة: إلا خبزًا وملحًا، إلا خبزًا وزيتًا...؟[1].

ويخرج إلى السوق يومًا فى جولة تفتيشية، فيرى إبلاً سمانًا، تمتاز عن بقية الإبل بنموها وامتلائها، فيسأل: إبل من هذه؟ قالوا: إبل عبد الله بن عمر، وانتفض عمر، كأنما القيامة قامت، وقال: عبد الله بن عمر..؟ بخ بخ يا بن أمير المؤمنين..!! وأرسل فى طلبه من فوره، وأقبل عبد الله يسعى... وحين وقف بين يديه، أخذ عمر يفتل سبلة شاربه، وقال لابنه: ما هذه الإبل يا عبد الله...؟ فأجاب: إنها إبل هزيلة اشتريتها بمالى وبعثت بها إلى المرعى أتاجر فيها، وأبتغى ما يبتغى المسلمون، فعقب عمر فى تهكم لاذع ويقول الناس حين يرعونها.... ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين... وهكذا تسمن إبلك، ويربو ربحك يا بن أمير المؤمنين!!ثم صاح به: يا عبد الله بن عمر خذرأس مالك الذى دفعته فى هذه الإبل واجعل الربح فى بيت مال المسلمين!!»[2].

إن الحدث الذى لا يكاد يحثه أكثر الناس يقظة وتحفزًا وإنسانية كان عمر يرتجف منه ويحتشد له ويقيس عليه الأشباه والنظائر ثم يضع تشريعًا ويسن قانونًا[3]، ولنلمح هذا المشهد:

وفى المقام الذى لقى الله فيه، كان على موعد مع نفسه أن يطوف بجميع الأمصار ليتفقد أحوال الناس ويبلو أخبارهم، ولقد قال يومًا لأصحابه: لئن عشت إن شاء الله، لأسيرن فى الرعية حولاً، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى... أما ولاتهم فلا

(١) خلفاء الرسول ١١٦.
(٢) خلفاء الرسول ١١٦.
(٣) المصدر السابق بتصرف يسير.

يرفعونها إلىَّ، وأما هم فلا يصلون إلىَّ... أسير إلى الشام فأقيم شهرين وبالجزيرة شهرين، وبمصر شهرين وبالبحرين شهرين، وبالكوفة شهرين، وبالبصرة شهرين... والله لنعم الحول هذا...!! ولكن لم يسعفه القدر ولم يمهله(١).

إنما أنقل هذه المشاهد بدون ترتيب... لنرى ملامح هذه الشخصية من كافة جوانبها ولنرى معًا هذا المشهد: «وفد على عمر وفد من أهل حمص فسألهم عن واليهم عبد الله ابن قرط... فقالوا: خير أمير لولا أنه قد بنى لنفسه دارًا فارهة... ويهمهم عمر: دارًا فارهة... يتشامخ بها على الناس؟ بخ بخ لابن قرط... ثم أوفد إليه رسولاً، يقول له: ابدأ بالدار فأحرق بابها ثم ائت به إلى أمير المؤمنين!!.

ويعود الرسول إلى عمر بوالى حمص ويمتنع عمر عن لقائه ثلاثة أيام، ثم فى اليوم الرابع يستقبله ويختار للقائه مكانًا يسمى الحرة حيث تعيش إبل الصدقة وأغنامها ولا يكاد الرجل يقبل، حتى يأمره أن يخلع حُلته، ويلبس مكانها لباس الرعاة ويقول له: هذا خير مما كان يلبس أبوك... ثم ناوله عصا وقال له... وهذه خير من العصا التى كان أبوك يهش بها على غنمه... ثم يشير بيده إلى الإبل ويقول له: اتبعها وارعها يا عبد الله...!! وبعد حين يستدعيه عمر، ويقول له معاتبا: هل أرسلتك لتشيد وتبنى...؟ ارجع على عملك ولا تعد لما فعلت أبدًا...!!.

ألا ترون أننا أمام أسطورة... بل لو كانت أسطورة يصعب تصديقها... ولكن لحسن حظ البشرية أن (عمر) لم يكن أسطورة، بل كان حقيقة ملأت الزمان والمكان... وكان هدى من الله للناس يقول لهم: هكذا حاولوا أن تكونوا...»(٢) قال إياس بن سلمة: «مرعمر فى السوق ومعه الدرة، فوجدنى واقفًا فى طريق الناس، فضربنى خفيفة أصابت طرف ثوبى، وقال: ابتعد عن الطريق حتى يستطيع الناس السير، فلما كان العام المقبل لقينى وقال: يا بن سلمة هل تريد الحج؟ فقلت: نعم، فأخذ بيدى فذهب إلى بيته، فأعطانى ستمائة درهم وقال: استعن بها على حجك واعلم أنها بالضربة التى

---

(١) نفس المصدر.

(٢) خلفاء الرسول ١٧٢.

ضربتك، قلت يا أمير المؤمنين، إنى لا أذكرها، قال عمر: وأنا ما نسيتها..!![١]
وتتزاحم المشاهد...وتتقاذف سراعًا... ويحتار قلمى أى المشاهد يسجل وأى المشاهد يصور...وأترك لقلمى العنان.

عن مولى عثمان بن عفان قال: «بينما أنا مع عثمان فى مال له فى مكان يسمى العالية، وفى يوم صائف قائظ يذيب حره الجبال، إذ رأيت رجلاً يسوق بكرين من الإبل صغيرين قال عثمان: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد؟ ثم دنا الرجل فنظرت فإذا هو رجل معمم بردائه.. فإذا بى أعرفه... إنه أمير المؤمنين عمر... فأخرج عثمان رأسه من كوة صغيرة متوقيًا سخونة الريح، ونادى: من أخرجك هذه الساعة يا أمير المؤمنين...؟ فأجاب عمر: بكران من إبل الصدقة تخلفا عن المرعى، وخشيت أن يضيعا، فيسألنى الله عنهما...!! فقال عثمان: هلم إلى الماء والظل، ونحن نكفيك هذا الأمر...فقال له عمر: عد إلى ظلك يا عثمان، قال عثمان: عندنا من يكفيك هذا الأمر يا أمير المؤمنين... فقال عمر: عد إلى ظلك يا عثمان... ومضى إلى حال سبيله... والحر يصهر الصخر...!![٢].

ويصعد المنبر يومًا فيقول: يا معشر المسلمين، ماذا تقولون لو ملت برأسى إلى الدنيا هكذا...؟ فيشق الصفوف رجل ويقول وهو يلوح بذراعه كأنهما حسام ممشوق: إذن نقول بالسيف هكذا... فيسأله عمر: إياى تعنى بقولك...؟ فيجيب الرجل: نعم إياك أعنى بقولى...! فتضىء الفرحة وجه عمر، ويقول: رحمك الله والحمد لله الذى جعل فيكم من يقوم عوجى...!!.

لم يكن هذا الموقف من أمير المؤمنين استعراضيًا، فعمر أكثر قوة وأمانة من أن يلجأ لمثل هذه المواقف وإنما كان سلوكًا صادقًا ونهجًا تلقائيًا مخلصًا وينشد عمر من ورائه الوصول إلى الحق والطمأنينة... على أن يحكم الأمة من الأسود لا قطيعًا من النعاج»[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢١٦.
(٢) أسد الغابة ٣/ ٦٦٨ وانظر خلفاء الرسول ١٨٠.
(٣) خلفاء الرسول ١٩٠ وما بعدها.

وكان ﷺ فى سفر قريب من الروحاء فسمع صوت راع فى جبل فعدل عمر إليه فلما دنا منه صاح: «يا راعى الغنم، يا راعيها، فأجابه الراعى فقال: إنى قد مررت كأن هو أخصب من مكانك وإن كل راع مسئول عن رعيته»[١].

وها هو شبح قادم من بعيد... من مصر يستغيث بأمير المؤمنين... أتذكرونه؟ إنه المصرى الذى ضربه ابن والى مصر آنذاك عمرو بن العاص يقول: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك... إن محمد بن عمرو بن العاص قد ضربنى لأن سابقنى فسبقته فعلا ظهرى بالسوط وهو يقول: خذها وأنا ابن الأكرمين...!.

يقول أنس بن مالك ﷺ وقد كان حاضرًا هذا المشهد... فوالله ما زاده عمر على أن قال: اجلس، ثم كتب إلى عمرو: إذا جاءك كتابى هذا فأقبل وأقبل معك بابنك محمد... فقدما على عمر... قال أنس: فوالله إذ نحن بعمرو بن العاص وقد أقبل فى إزار ورداء فجعل عمر يتلفت باحثًا عن ابنه محمد، فإذا هو خلف أبيه، فقال عمر: أين المصرى؟ فقال: ها أنا ذا يا أمير المؤمنين... قال عمر: خذ الدرة واضرب ابن الأكرمين، فضربه حتى أثخنه... فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين!! ثم قال عمر: أجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه... قال المصرى: يا أمير المؤمنين، قد استوفيت، واشتفيت وضربت من ضربنى... قال عمر: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه، ثم التفت إلى عمرو وقال: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا... والتفت إلى المصرى وقال: انصرف راشدًا، فإن رابك شىء فاكتب إلى...!!»[٢].

ونقف أمام هذا المشهد بدون تعليق... فهو أبلغ من أى تعليق...!!.

وقد أوسع العدل فى عهده أهل الرباط فى ثغورهم، وبقية المسلمين أيًّا كانت أماكنهم حتى العجائز والأرامل... ولقد كان يقول: لئن سلمنى الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى أحد بعدى أبدًا»[٣].

ولقد اهتزت الأرض فى عهده فضربها بالدرة وقال: «ويحك، ألم أعدل عليك؟!».

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٢١.

(٢) خلفاء الرسول ١٩١ وما بعدها.

(٣) عبد الله بن سبأ وأثره فى إحداث الفتنة فى صدر الإسلام سليمان العودة ٢٥.

حدث فى خلافة عمر

لقد كانت خلافة الفاروق حافلة بجلائل الأعمال.. فقد قوض الله على يديه أعظم إمبراطوريتين فى ذلك العصر: الروم وفارس، وتمت فى عهده فتوحات واسعة تسير جيوشه مكللة بأكاليل النصر والظفر، لا تنكس لها راية، ولا يطوى لها لواء ناشرة عقيدة التوحيد، حاملة مبادئ الخير والعدل والرحمة إلى كل الأقطار والأمطار.

ففى سنة أربع عشرة: فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة، وفيها جمع عمر الناس على صلاة التراويح.

الفتوحات الإسلامية فى عهد عمر(١)

أولاً: على الجبهة الفارسية «فتح العراق وفارس»:

كانت الفتوحات الإسلامية قد بدأت فى آخر عهد أبى بكر وكان المسلمون قد حققوا الانتصارات على الجبهة الفارسية واستولوا على بلاد الفرس وكان القائد العام لجيوش المسلمين على هذه الجبهة هو خالد بن الوليد ولما استدعى خالد لقيادة جيوش المسلمين على الجبهة الرومانية فى بلاد الشام استخلف على جند المسلمين فى العراق المثنى بن حارثة الشيبانى بأمر من أبى بكر وترك معه نصف الجنود وأخذ النصف الآخر لمساعدة المسلمين فى حرب الروم ولما رأى ملك الفرس ذلك حشد جيشًا كبيرًا لإجلاء العرب عن البلاد التى احتلوها، وقد حاول المثنى الاحتفاظ بالمناطق التى استولى عليها المسلمون ولكنه لم يستطع فانسحب إلى أطراف الجزيرة العربية ثم سارع بمفرده إلى المدينة حتى يطلع الخليفة أبا بكر على حقيقة الوضع ويطلب منه الردء فوجده فى نزعه الأخير فأوصى الخليفة عمر بأن يمد جيش المثنى بما يطلبه فنفذ عمر وصية أبى بكر على الفور فأخذ فى ندب المسلمين لقتال الفرس كما ذكرنا حتى بلغ عدد المنتدبين خمسة آلاف على رأسهم أبو عبيدة: بن مسعود الثقفى، وصل المثنى بن حارثة إلى ميدان القتال وتبعه أبو عبيدة بمن معه من المسلمين والتقت الجيوش بالحيرة وشنت الحرب على الفرس، وكان الفرس قد تولت أمرهم (بوران) التى استعانت فى تثبيت

---

(١) الخلفاء الراشدين تأليف جماعة من العلماء د/ نعمان الطيب سليمان حسن دويدار، د/ محمد عبد الوهاب فضل، د/ محمد حسب الله ص ٦٠ – ١٨٠.

ملكها والدفاع عند بالقائد (رستم) الذى تولى قيادة جيوش الفرس فكتب إلى دهامنين السواد بأن يثوروا على المسلمين ودس فى كل رستاق رجلاً ليثور بأهله حتى ثار أهل الرساتيق كلها من أعلى الفرات إلى أسفله حيث نزل الفرس (بالنمارق) وعليهم (جابان) فالتقى بهم المسلمون ودارت بينهم معركة حامسة انتصر فيها المسلمون وهزم الفرس وأسر قائدهم جابان، وتسمى هذه الموقعة بموقعة النمارق[١].

ومما يدل على سماحة المسلمين ووفائهم أن بعض المسلمين أشاروا على أبى عبيدة بقتل جابان وعدم الاعتداد بالأمان الذى أعطاه له من أسره، فقال: إنى أخاف الله أن أقتله وقد أمنه رجل مسلم، والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم، ثم أطلق سراحه.

وقد حدثت بعد هذه الموقعة موقعة (السفاطية) قرب كسكر وفيها هزم الفرس أيضًا وكانوا تحت قيادة (الجالينوس).

موقعة الجسر (المروحة) ١٣ هـ[٢]:

ساءت أنباء هذه الهزيمة رستم فسأل: أى العجم أشد على العرب فيما ترون؟ فقالوا: بهمن جاذويه المعروف بذى الحاجب فوجهه للقتال مع العرب ومعه الجالينوس وقال له: إن انهزم جالينوس ثانية فاضرب عنقه، وأعطاه الراية العظمى للفرس أو راية كسرى وكانت تسمى درفش كابيان[٣].

وسار بهمن حتى نزل فى مكان يسمى (قس الناطف) على الضفة الشرقية لنهر الفرات بينما سار أبو عبيدة الثقفى حتى نزل (بالمروحة) على شاطىء الفرات قرب الكوفة.

وبذلك أصبح الفرس فى مكان، يمكنهم من مهاجمة قواعد جيوش المسلمين حتى يشغلوهم عن مهاجمة المدائن عاصمة الفرس، وأرسل قائد الفرس لأبى عبيدة يقول:

---

(١) تقع على بعد عشرة أميال من الحيرة.

(٢) يقال لهذه المعركة: معركة الجسر والمروحة وكذلك قس الناطف.

(٣) كانت هذه الراية بمثابة علم للفرس وكانت مصنوعة من جلد النمر وعرضها ثمانية أذرع وطولها اثنا عشر ذراعًا.

(إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم) فاستشار أبو عبيدة أصحابه كما أمره بذلك عمر فأشاروا عليه بعدم العبور إلى الفرس وأن يتركهم يعبرون هم، فأبى ذلك وقال: «لا يكونون أجرأ على الموت منا» وأمر بعقد جسر من السفن حتى يعبر عليه المسلمون ونزل المسلمون فى منزل ضيق المطرد والمذهب ودارت رحى المعركة بين المسلمين والفرس ورجحت كفة المسلمين فى بدايتها حيث قتلوا من الفرس ستة آلاف[١].

ولكن خيول المسلمين أخذت تنفر من الفيلة فترجل أبو عبيدة والفرسان ومشوا إليهم فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم، فنادى أبو عبيدة: احترشوا الفيلة وقطعوا وضنها[٢].

وسقطت الجنود على الفيلة بعد قطع وضنها وقصد أبو عبيدة الفيل الأبيض الكبير الذى كان يتقدم الفيلة ولكنه بعد أن قطع وضانه تمكن من الفيل فوطئه بقدميه بعد أن تعب فأهلكه فاضطرب المسلمون فأمسك باللواء من بعده سبعة من ثقيف وقاتلوا حتى قتلوا ثم أخذ اللواء المثنى بن حارثة وحاول الانسحاب بالمسلمين حتى ينظم صفوفهم بعد أن ظهر تفوق الفرس، ولكن معظمهم كان قد انهزم وفروا عنه، فقام عبد الله بن مرشد الثقفى بقطع الجسر حتى يمنع ذلك قائلاً: أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا ولكن ذلك زاد الطين بلة حين اضطرب المسلمون وأصبحت حالتهم سيئة ودفع كثيرًا منهم إلى عبور الفرات فتفرقوا بعد أن رأوا تقدم الفرس.

ولكن المثنى ومن معه من الفرسان تمكنوا من حماية المسلمين فى انسحابهم بعد أن أعيد الجسر مرة أخرى، وكان من هلك من المسلمين يومئذ نحو أربعة آلاف قتيل وغريق وهرب ألفان وبقى ثلاثة آلاف بينما قتل من الفرس نحو ستة آلاف، وأراد بهمن ان يعبر وراء المسلمين فأتاه الخبر بأن الفرس ثاروا على رستم فرجع إلى المدائن عاصمتهم وكان هذا من كرم الله على المسلمين فى ذلك اليوم، ومرجع أسباب

---

(١) الطبرى ج٣ ص ٤٥٥.

(٢) **الوضن**: جمع وضان وهو حزام القلب.

الهزيمة التى منى بها المسلمون فى موقعة الجسر إلى مخالفة قائدهم أبى عبيدة لرأى الأغلبية وعبوره إلى الفرس تدفعه فى ذلك الحماسة والنخوة والشجاعة العربية قبل الحكمة والعقل ثم تسرع عبد الله بن مرثد فى قطع الجسر تدفعه فى ذلك الحماسة والحمية قبل أن يحكم عقله، مما عاق سرعة انسحاب المسلمين.

وقد أثارت هذه الهزيمة الخليفة عمر وقائده المثنى حيث لم يتبق فى العراق من المسلمين سوى عدد قليل لا يستطيع الدفاع عن نفسه وعما فتحه المسلمون من بلاد الفرس ولكنه عالج الأمر بحكمة وحنكة حيث حاول أن يعيد الثقة إلى المسلمين الذين فروا من المعركة فأظهر أنهم لم يفروا وإنما انحازوا إليه ومن فئتهم وكان لذلك أثره البالغ فيهم حيث أظهروا بطولات نادرة فى المواقع التالية حيث قال: «عباد الله اللهم إن كان مسلم فى حل منى أنا فئة كل مسلم يرحم الله أبا عبيدة لو كان عبر واعتصم بالخيف أو تحيز إلينا ولم يستقتل لكنا له فئة»[١].

موقعة البويب رمضان سنة ١٣ هـ[٢]:

استمر عمر فترة بعد يوم الجسر لا يغزو فارس نظرًا لما حدث ولكنه بدأ يعاود غزوها خوفًا، من ضياع البلاد التى فتحها المسلمون فى عهده وهو الحريص على نشر الإسلام فسارع يندب الناس إلى المثنى بن حارثة وبعث بمن خرج إلى المثنى الذى كان ينتظر على الجانب الغربى للفرات بمن بقى معه من الجنود (ثلاثة آلاف) حتى يأتيه المدد، فعسكر بهم فى البويب على ضفة الفرات الغربية[٣].

وعلم رستم بذلك فأرسل مهران الهمزانى بجيش لقتال المسلمين نزل به على ضفة الفرات الشرقية وكاتب مهران المثنى «إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم، وكان طبيعيًّا أن يطلب المثنى منهم العبور بعد ما حدث فى يوم الجسر فعبر الفرس وعبأ المثنى جيش المسلمين الذين انضم إليهم بعض النصارى العرب من تغلب ومن النمر وقالوا

---

(١) الطبرى ج٣ ص٤٥٧، ٤٥٨.

(٢) تسمى هذه الموقعة أيضًا بيوم مهران أى النخيلة أو الأعشار.

(٣) البويب: نهر صغير كان بالعراق موضع الكوفة يأخذ من الفرات.

حين رأوا نزول العرب بالعجم: نقاتل مع قومنا «يعنون العرب»[١] واشتد القتال وكانت الحرب فى هذه الموقعة أشد ما صادفه المسلمون لكثرة الفرس ولكن الله نصرهم عليهم ولحق بهم ما لحق بالمسلمين يوم الجسر سبق المثنى إلى جسر البويب فقطعه فلم يتمكنوا من العبور فتشتتوا فى البلاد ودب الاضطراب الشديد فى صفوفهم وقتل منهم عدد كبير ــ على رأسهم مهران ــ قدره البعض بنحو عشرة آلاف وقيل مائة ألف، وقد أبلى المسلمون فى هذه المعركة بلاء حسنًا وارتفعت روحهم المعنوية حتى قال المثنى: «قد قاتلت العرب والعجم فى الجاهلية والإسلام والله لمائة من العجم فى الجاهلية كانوا أشد على من ألف من العرب، ولمائة اليوم من العرب أشد على من ألف من المعجم، إن الله أذهب قوتهم برد كيدهم فلا يروعنكم زهام ترونه[٢] «ولا سواد ولا قوس فج[٣]: ولا نبال طوال فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت» وقد سميت البويب بيوم الأعشار لأنهم أحصوا مائة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة من الفرس.

وعلى الرغم من انتصار المثنى فى هذه المعركة إلا أنه اعترف بخطئه حين أمر بقطع الجسر فقال: «لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى إياهم إلى الجسر وقطعه حتى أخرجتهم فإنى غير عائد فلا تعودوا ولا تقتدوا بى أيها الناس فإنها من زلة لا ينبغى إخراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع، وهذه هى صفات القواد العظام لا تمنعهم انتصاراتهم من الاعتراف بأخطائهم وتحذير الناس من الوقوع فيها وتكرارها.

أيا ما كان فقد عدت هذه المعركة من المعارك الكبرى لأنها أوقعت الرعب فى قلوب الفرس فتمكن المسلمون من الإغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة ولا يخافون كيدًا ولا يلقون مانعًا ولا يقف فى وجههم أحد وبذلك عادت العراق إلى المسلمين وأغارت بعض فرقهم على عاصمة الفرس وعادت ببعض الغنائم كما استولوا على بغداد وكانت حينذاك قرية صغيرة وكذلك استولوا على تكريت بلا عناء[٤].

---

(١) تاريخ الطبرى ج٣ ص ٤٦٤.

(٢) الزهام: كثرة العدد.

(٣) قوس فجاء ومنفجر أى بان وترها عن كيدها.

(٤) تكريت تقع فى أقصى شمال العراق.

موقعة القادسية (المحرم سنة ١٤هـ)

نظر الفرس بعد هزيمتهم فى البويب فى أمرهم فوجدوا أن سبب ذلك هو ما عليه قوادهم من اختلاف بسبب الملك والسلطان وبخاصة بن القائدين رستم والخيزران فدفعهم ذلك إلى محاولة توحيد صفوفهم حتى يتمكنوا من دفع المسلمين الذين أصبحوا يهددون عاصمتهم المدائن وألقوا باللائمة على قوادهم وهددوهم قائلين: «والله ما جر علينا هذا الوهن غيركم فإما أن تجتمعوا وإلا فنحن حرب عليكم فقد عرضتموها للهلكة والله لولا أن فى قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة ولئن لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم».

فاستقر رأيهم على إسناد الأمر إلى يزدجرد من ولد شهرين بن كسرى وكان شابًّا فى الحادية والعشرين وملكوه عليهم، وتباروا فى طاعته ومعونته، وتحمس الملك الشاب لطرد المسلمين فأعد الجيوش العظيمة التى بلغ عددها مائة وعشرين ألف جندى أسند قيادتها إلى رستم أعظم قواد الفرس.

وقد استطاعت هذه الجيوش أن تسترد من المسلمين كثيرًا من الأرض والأملاك التى استولوا عليها بل إنها اقتربت من الحيرة.

وزاد الطين بلة والأمر سوءًا أن أهل السواد قد ارتدوا وانضموا إلى الفرس مما أدى إلى ضعف وضع المسلمين[1].

وإزاء هذا لم يسع المثنى إلا للجلاء عن الحيرة والتقهقر بجيوشه القليلة فعسكر بذى قار[2] وأرسل يخبر الخليفة بذلك فطلب منه عمر أن يخرج بالمسلمين من بين ظهرانى الأعاجم وأن يرابط فى مناطق المياه التى تليهم على الحدود وأن يدعو الفرسان وأهل النجدات، وكتب إلى عماله العرب بأن يبعثوا إليه من يستطيع القتال، وتوافدت القبائل على المدينة فلما تكامل العدد خرج بهم عمر فى أوائل المحرم سنة ١٤هـ فعسكر فى حراز على بعد ثلاثة أميال من المدينة، وولى عليهم سعد بن أبى وقاص ولم يدع عمر رئيسًا ولا ذا رأى ولا ذا شرف أو سلطة، ولا خطيبًا ولا شاعرًا

---

(١) الكامل لابن الأثير ج٢ ص ٢٠٥، تاريخ الأمم الإسلامية للخشنى ج١ ص ١٩٩ وما بعدها.

(٢) موضع على حدود بادية العرب كانت به موقعة شهيرة بهذه بين العرب والفرس فى الجاهلية.

إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغرورهم(١) وبذلك بلغ عدد الجيش بضعة وثلاثين ألفًا.

وأوصى عمر سعدًا بألا يغتر بنفسه أو بقرابته للرسول، وأن يلزم ما رأى عليه النبى، وتوجه سعد إلى العراق يقود أكبر جيش إسلامى توجه لقتال الفرس حتى وصل إلى زرود ــ مكان على الطريق إلى الكوفة ــ فنزل بها بجيشه حتى تأتيه أوامر الخليفة، وكان المثنى بن حارثة ينتظر قدومه للانضمام إليه بمن معه ولكن لم يقدر لهما أن يلتقيا فقد توفى المثنى متأثرًا بجراحه يوم الجسر (٢).

غير أنه قبل موته بعث إلى سعد بوصية تحمل خلاصة تجاربه فى حروبه الطويلة ضد الفرس مع أخيه المعن بن حارثة يقول فيها: «قاتل الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم فإن يظهر المسلمون عليهم فإنهم وما وراءهم وإن تكن الأخرى فاءوا إلى فئة يكونون أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم»(٣).

وقد فقد المسلمون بوفاة المثنى قائدًا ماهرًا لا يقل عن خالد بن الوليد فى الشجاعة والتدبير الحربى، ثم سار سعد بعد ذلك إلى (شراف) فنزلها وأخذ ينظم قواته استعدادًا للمعركة الفاصلة، فقسم الجند إلى عشائر جعل على كل عشرة أميرًا وقسم الجيش كله إلى فرق بحيث تكون جنود كل فرقة من قبيلة واحدة وكل قبيلة يرأسها أميرها وجعل داعية الجيش سلمان الفارسى وجعل على القضاء عبد الرحمن الباهلى ولما انتهى من ذلك سار إلى القادسية التى كانت تقع على الطريق بين بلاد الفرس والعرب وأقام بها شهرًا يرسل طلائعه للإغارة على اهل السواد وكسكر والأنبار فكانت تأتى بما يستكفى به الجيش مدة، كما بث عيونًا إلى الحيرة وصلوبا ليأتونه بأخبار الفرس ومنهم علم أن رستم قائدهم قد نزل بساباط.

---

(١) الطبرى ج٣ ص ٤٨٧.

(٢) وقيل: نتيجة حمى أصابته.

(٣) الطبرى ج٣ ص ٤٩٠.

وبينما كانت الاستعدادات الحربية تجرى على قدم وساق فى صفوف الفرس والمسلمين بعث الخليفة إلى سعد برسالة يأمره فيها بأن يرسل وفدًا إلى يزدجر ملك الفرس للاتفاق على منع الحرب والإعراب عما يقصده المسلمون فى فتوحاتهم، فاختار سعد عشرين من المسلمين على رأسهم النعمان بن مقرن منهم الأشعث بن منسى، وعمرو بن معديكرب والمغيرة بن شعبة وذهب هذا الوفد إلى يزدجر فأذن له وجمع وجوه رجاله لمناظرته وقال لهم: (ما جاء بكم؟ وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا؟ من أجل تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فلا يغرنكم منا ذلك، وإن كان الجوع دعاكم فرضنا لكم قوتًا وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكنا يرفق بكم، فرد عليه النعمان مبينًا بعثة الرسول وتاريخ الدعوة الإسلامية وأهدافها وموقف العرب منها ثم انضوائهم تحت لوائها، وأن الرسول أمرهم بأن يبدءوا بمن يليهم من الأمم فيدعوهم إلى دينهم ثم دعاه وقومه إلى الإسلام أو الجزية، وإلا فالقتال والمناجزة، فغضب يزدجرمن تلك الجرأة وقال له: لولا أن الرسل لا تقتل لقمت بقتلكم، لا شيء لكم عندى إلا التراب وأمر بوقر من تراب فقال: احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن وهددهم بإرسال رستم قائده إليهم ليدفنهم فى خندق سابور بالقادسية[1]، وينكل بهم، وقد تفاعل الوفد بذلك الوقر وبشر سعدًا بالنصر، سار رستم بجيش عدده مائة ألف رجل فعسكر عند بلدة النجف قبالة حصن قديس الذى عسكر عنده سعد بجنوده وبعث سعد الطلائع لتأتيه بأخبار الفرس وبرجل منهم، فعامر طليحة الأسدى — الذى كان قد ادعى النبوة ثم أسلم وحسن إسلامه وأصبح جنديًا مخلصًا — ودخل إلى المعسكر معسكر جيش الفرس ليلاً فتجول فيه ونظر فى عَدده وعُدده ثم أبصر فرسًا فاره المنظر — وكان فرس قائد الفرس — فخرج يعدو به مع فرسه فأحسن به جند الفرس فخرج ثلاثة منهم وراءه من خيرة الفرسان، فقتل أحدهما ثم لحق به الثانى فقتله ثم لحق به الثالث فأخذه أسيرًا إلى سعد ليستفسر منه عن أخبار جيش الفرس واعتنق هذا الفارس الإسلام وسمى نفسه (مسلمًا) وأبلى بلاءً حسنًا مع المسلمين.

---

(١) المرجع نفسه ج٣ص ٤٩٨ وبعدها كان سعد قد نزل بقرب حصن يسمى (حصن قدس) بالقرب من القادسية.

وقد مكث رستم نحو أربعة أشهر لا يقاتل المسلمين رجاء أن يرجعوا من غير قتال راضين من الغنيمة بالإياب، وترددت الرسل بينه وبين سعد رغبة فى الصلح وكان المغيرة بن شعبة هو المتحدث بلسان وفد المسلمين ولكن رستم لما وجد أفراد المسلمين وتعجل أسرى الحرب قال: لا صلح بيننا وبينكم، فقال المغيرة: إما أن تعبروا إلينا أو أن نعبر إليكم، فقال رستم: بل نعبر إليكم وعبأ لكل من القائدين جنوده للقتال ودارت رحى المعركة (معركة القادسية) بن الفريقين استمرت أربعة أيام سمى اليوم الأول منها (بيوم أرماث) وفيه رجحت كفة الفرس بسبب ذعر خيول المسلمين من فيلة الفرس وسمى بذلك لاختلاط أمر المسلمين فيه وسمى الثانى (بيوم أغواث): وقد ابتدئ فيه بدفن القتلى وحمل الجرحى من المسلمين إلى من يقوم بتمريضهم من النساء، وقد وصل إلى المسلمين فيه مدد من الشام بقيادة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص فشد ذلك من أزر المسلمين، وفى هذا اليوم لجأ المسلمون إلى الحيلة فكان على المقدمة القعقاع بن عمرو فأراد أن يرهب الفرس فلم يدخل الجيش دفعة واحدة بل دفعات وكلما طلعت طلعة من أصحابه كبر وكبر المسلمون ويحمل ويحملون كما جاء المسلمون بالإبل فوضعوا على وجهها البراقع فصار لها شكل غريب أخافت خيول الفرس وطافت بها خيول المسلمين تحميها فلقيت خيول الفرس فى هذا اليوم ما لقيته خيول المسلمين من الفيلة فى اليوم الأول وكانت كفة المسلمين أرجح فى هذا اليوم حيث قتل من الفرس عشرة آلاف واستشهد من المسلمين نحو الألفين ويعرف هذا اليوم بأغواث لورود الغوث أو المدد فيه إلى المسلمين وفى اليوم الثالث ويعرف بيوم (عماس) التقى الجيشان وعادت فيلة الفرس تفعل فعلها فى خيول المسلمين فوجه المسلمون رماحهم إلى عيونها ومشافرها فنفرت وأوقعت الخلل والاضطراب فى صفوف الفرس وولت الأدبار وأضعف ذلك من قوة جيوش الفرس وظل القتال دائرًا طول الليل لا يسمع فيه إلا صليل السيوف وهدير الفرسان حتى جاء اليوم الرابع وهو اليوم الفاصل الذى سمى بيوم القادسية، وفيه مكن الله المسلمين من الانتصار الساحق على الفرس وقتل قائدهم رستم على يد هلال بن علقمة ولم يلق المسلمون موقعة أشد منها هولاً لا مع الفرس ولا مع غيرهم، وكتب سعد إلى الخليفة يخبره بذلك الانتصار العظيم وكان عمر قلقًا

يخرج كل يوم إلى طريق العراق يسأل الركبان عن أهل القادسية حتى ينتصف النهار حتى لقيه البشير برسالة سعد التى تبشر بانتصار المسلمين وبما أفاء الله به عليهم»[١].

نتائج موقعة القادسية

تعد موقعة القادسية من المواقع الفاصلة بين الفرس والمسلمين فقد كان انتصار المسلمين فيها عظيمًا من الناحية المادية والمعنوية وكانت هزيمة الفرس فيها شديدة حيث حشدوا لها كل إمكاناتهم التى لم يستطيعوا حشدها من بعد، وقد أضعفت ذلك من روحهم المعنوية وحطم قوتهم المادية فى مقابل رفع روح المسلمين المعنوية، وتمكينهم من استرسال الحيرة وما والاها من المدن ثم الاستيلاء على عاصمتهم (المدائن) بعد ذلك هذا وفضلاً عما تمنحه المسلمون من غنائم كثيرة لم يغنموها من قبل حتى إن كل جندى من جنود المسلمين خصه من الغنائم ستة آلاف قطعة من نقود فارس.

هذا بالإضافة إلى أن كثيرًا من القبائل العربية بالعراق قد سارعت إلى اعتناق الإسلام، ولقد كانت الجزيرة العربية كلها تنتظر نتيجة هذه المعركة الفاصلة بين الفرس والعرب وقدر الله أن يكون النصر فى هذه المعركة للمسلمين ليكون ذلك إيذانًا بزوال الكربة إلى الأبد.

فتح المدائن ١٦ هـ صفر[٢]:

ظل سعد يقيم بالقادسية بعد النصر لمدة شهرين حسبما أمره عمر ليريح جنده ويستجمع نشاطه وقوته حتى يستطيع مطاردة فلول الفرس وتطهير العراق حتى يتسنى

---

(١) الطبرى ج٣ ص ٥٨٢ من الأحداث الهامة التى يذكرها التاريخ فى هذه الموقعة أن أبا محجن الثقفى أحد مشاهير أبطال المسلمين شرب الخمر فضربه سعد وحبسه ولما قامت المعركة حزن أبو محجن لعدم اشتراكه فيها فطلب من أم ولد لسعد أن تطلق سراحه وتعيره فرسًا حتى يشترك فى المعركة وأقسم لها أنه سيرده لها عقب المعركة فوافقت على ذلك ورأى المسلمون بطلاً مغمورًا فقال سعد: لولا أن أبا محجن فى السجن لظننت أنه هذا الفارس وقبل انتهاء المعركة عاد أبو محجن للسجن وعلم سعد بذلك فقال: والله ما أجلدنك، قال: لا أشربها.

(٢) المدائن هى عاصمة الدولة الفارسية وكانت عبارة عن مدينتين متقابلتين على نهر دجلة إحداهما تقع على شاطئه الغربى وهى المدائن الدنيا أو بهرسير أو سلوسيا وقد بناها السلوقيون خلفاء الاسكندر الأكبر وكان يسكنها عامة الفرس، والثانية تقع على الشاطئ الشرقى لدجلة وهى المدائن العليا أو طيفون أو المدائن القصوى وقد بناها ملوك الفرس وكان يسكنها ملوك الفرس وخاصتهم وكان بها إيوان كسرى المسمى بالقصر الأبيض الذى كان من عجائب الدنيا ظل قائمًا حتى أيام الخليفة العباسى المكتفى بالله سنة ٢٩٠م.

له بعد ذلك فتح بلادهم وكان الفرس الفاوين قد توجهوا نحو عاصمتهم المدائن وعندما أتى أمر الخليفة لسعد بالمسير تقدم إلى بابل فلقيته بقربها بعض فلول الفرس فهزمهم وأتاه رؤساء المقاطعات فى أثناء تقدمه يطلبون الدخول فى الإسلام أو يرغبون فى دفع الجزية.

واستمر سعد يخضع بلاد العراق حتى دانت كلها للإسلام، وأقام صيف تلك السنة فى السهل الواقع بين النهرين ــ دجلة والفرات ــ حتى أتته أوامر الخليفة بالتقدم نحو عاصمة الفرس (المدائن) واصل سعد تقدمه حتى وصل إلى المدائن الدنيا فحاصرها ثم سئم أهلها الحصار فتركوها ونزلها سعد بجنوده وأقام بها أيامًا، ثم أخذ يعد العدة للعبور إلى المدائن العليا فدله بعض أهل البلاد على مخاضة يعبر منها إلى الضفة الشرقية لدجلة لعدم وجود مراكب فأمر جنوده بالعبور على عجل تحت حماية خمسمائة من الرماة وكان الدافع له على ذلك أنه علم أن يزدجرد يعمل على نقل كل ما فى المدائن العليا، من نفائس وذخائر، ولما رأى أهل المدائن العليا ما يفعله المسلمون تركوا بيوتهم وفر يزدجرد هاربًا إلى حلوان، فدخل سعد المدائن العليا دون أن يلقى مقاومة تذكر وأمن من بقى من أهلها وأقاموا بها راضين بالجزية والذمة وكان ذلك فى صفر سنة ١٦هـ.

وكان المسلمون عندما نزلوا المدائن الدنيا قد شاهدوا إيوان كسرى (القصر الأبيض) على الضفة الأخرى لدجلة فقال ضرار بن الخطاب أخو عمر: الله أكبر هذا أبيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله وكبر المسلمون وراءه حتى أصبحوا وتذكروا الأثر القائل: (وعصبة من المسلمين يفتحون البيت الأبيض بيت كسرى) فتهافت نفوسهم إلى أن يتم ذلك على أيديهم وقوى ذلك من روحهم المعنوية إلى درجة كبيرة ونزل سعد بالقصر الأبيض (إيون كسرى) وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ (الدخان: ٢٥ - ٢٨) وصلى فيه صلاة الفتح فى غير جماعة ثمانى ركعات لا يفصل بينهن واتخذه مسجدًا.

وأقام به أول جمعة فى صفر سنة ١٦هـ وهى أول جمعة صليت بالعراق ثم جمع ما فى خزائن كسرى من الأموال والنفائس وقسمها على المسلمين فكان نصيب الفارس منهم اثنى عشر درهمًا ثم قسم (دور المدائن) على المسلمين فاستوطنوها واتخذوها قاعدة لهم فىء بلاد العراق، وأرسل بخمس الغنائم إلى الخليفة فى المدينة فقسمها بين المسلمين [1].

فتح جلولاء وحلوان
ذو القعدة سنة ١٦هـ

أقام سعد بالمدائن فى صيف سنة ١٦هـ حسب رأى عمر الذى رأى أن يقتصر المسلمون على ما فتحوه وعدم الزحف نحو الجهات الجبلية التى تفصل السواد عن العراق العجمى وأذربيجان ولكن الفرس عملوا على استدراج المسلمين لقتالهم فى المناطق الجبلية معتقدين أنهم لا يستطيعون القتال فيها فاحتشدوا فى منطقة (جلولاء) وحفروا خندقًا كبيرًا اجتمعوا فيه وولوا قيادتهم (مهران الرازى وكان يزدجرد ملكهم قد نزل منطقة حلوان وأخذ يمدهم بالمؤن والرجال وأخبر سعد الخليفة بذلك فأمره بأن يرسل لهم جيشًا بقيادة (هاشم بن عتبة) وسار هاشم فى اثنى عشر ألف جندى حتى وصل جلولاء فحاصرها قرابة شهرين ولكنه لم يصل إلى نتيجة حاسمة فطلب المدد من سعد فأرسل إليه نجدة وبعد أن طال أمد الحصار قرروا الهجوم على الخندق واقتحامه وتم لهم ذلك واستولواعلى جلولاء عنوة بعد معركة عنيفة ورأى يزدجرد أن بقاءه فى حلوان أصبح غير ممكن فنفر إلى (الرى) فسار القعقاع بن عمرو التميمى إلى حلوان فاستولى عليها فى ذى القعدة سنة ١٦هـ، وكانت الغنائم من حلوان كبيرة حتى خص كل مقاتل تسعة آلاف درهم وقيل أكثر.

---

(١) كان من بين هذه الغنائم بساط كسرى الثمين وطوله ستون ذراعًا فى مثلها ويقال: إن ملوك الفرس كانت تعده للشتاء وإذا هبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم فى رياحين وكانت العرب تسميه القطيف ويروى أن سعدًا أراد إخراج الخمس منه فلم يستطع قسمته فأرسله إلى عمر فاستقر رأيه على قسمته فخص على بن أبى طالب قطعة منه باعها بعشرين ألف درهم ولم تكن أجود القطع فيما روى (ابن الأثير ج٢ ص ٣٥٤ وبعدها والبلاذرى ص٢٦٢، ٢٦٣).

فتح نهاوند (فتح الفتوح) سنة ٢١هـ[(١)]:

بعد هذه الهزائم المتكررة التى منى بها الفرس قرر يزدجرد أن يخوض معركة كبيرة مع المسلمين لعله يتمكن من هزيمتهم وطردهم من الأقاليم التى استولوا عليها، فجمع من الولايات المتحدة الباقية على طاعته جيشًا كبيرًا بلغ تعداده مائة وخمسين ألف وولى قيادته قائدًا عظيمًا يسمى (القيرزان) وحرص على ألا يهرب الجنود فقيدهم بالسلاسل وتقدم الفرس إلى نهاوند وعسكروا فيها.

وبلغت أنباء هذه الحشود الخليفة فولى النعمان بن مقرن قيادة جيوش المسلمين بدلاً من سعد حيث لم يرض عمر عن بعض تصرفاته بالكوفة[(٢)]، ووصل عدد المسلمين فى هذه الموقعة نحو ثلاثين ألف جندى، وعندما وصلوا إلى نهاوند وجدوا الفرس متحصنين فى حصون قوية، وقد استطاع المسلمون إخراجهم منها بخدعة حربية وهى خروج فرقة من المسلمين لهم وإظهار أنهم منهزمون فيتبعهم الفرس طمعًا فى هزيمتهم ثم ينقض عليهم المسلمون، وقام القعقاع بن عمرو بذلك، فأنشب القتال معهم ثم تقهقر فظنها الفرس هزيمة فخرجوا يتبعونه فأمر النعمان بالهجوم عليهم بعد أن هز اللواء ثلاث مرات وهو يكبر ويقول: «اللهم إنى أسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل الكفار ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة».

وقد حمل المسلمون على العدو حملة قوية فما كان أحد منهم يبغى الرجوع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر، ودارت رحى المعركة حامية الوطيس فما كان يسمع إلا صليل السيوف ووقع الحديد على الحديد، حتى أصيب المسلمون يومئذ بمصائب عظيمة ولكنهم صبروا حتى نصرهم الله على الفرس الذين كانوا مقيدين بالسلاسل فكان إذا وقع واحد منهم يقع معه سبعة بعضهم على بعض فيقتلون جميعًا.

وقد قتل قائد المسلمين (النعمان بن مقرن) فأخفى أخوه معقل خبر موته، وحمل اللواء من بعده حذيفة بن اليمان حتى تحقق للمسلمين النصر فكتب إلى عمر بالفتح

---

(١) **نهاوند:** مدينة كبيرة تقع على جنوب همذان بينهما ثلاثة أيام (١٤ فرسخًا) وهى من أقدم بلاد الفرس، وقيل كانت سنة ١٩، أو ٢٠ هـ.

(٢) الطبقات الكبرى ج٣ ص٧٩.

والنصر يقول: «أبشر أمير المؤمنين بفتح أعز الله به الإسلام وأهله، وأذل به الكفر وأهله» فحمد عمر الله ثم قال للرسول: هل بعثك النعمان؟ فقال: احتسب النعمان يا أمير المؤمنين فبكى عمر واسترجع[١] وقال: ومن ويحك! قال: فلان وفلان حتى عد له أناسًا كثيرًا ثم قال: وأخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم فقال عمر وهو يبكى: لا يضرهم ألا يعرفهم عمر ولكن الله يعرفهم[٢].

نتائج نهاوند:

وسمى فتح نهاوند بفتح الفتوح لأنه كان فتحًا عظيمًا ونصرًا كبيرًا للمسلمين حيث لم تقع بعد هذه الموقعة مواقع كبيرة بينهم وبين الفرس، فكانت نهاوند هى المعركة الفاصلة فى الحرب بين المسلمين والفرس، وكانت هزيمة الفرس فيها ساحقة حين فقدوا نحو ثلاثين ألفًا، وغنم المسلمون فى هذه الموقعة غنائم عظيمة، حتى استولوا بعدها على همذان والرى وفر يزدجرد ملك الفرس إلى خراسان ثم إلى أقصى الحدود الشرقية وأخذ يعمل على استرجاع ملكه ولكن دون جدوى[٣].

كما جاء إلى المسلمين جميع ولاة غرب فارس يطلبون الدخول فى طاعتهم على أن يدفعوا الجزية واعتنق كثير من الفرس الإسلام بعد هذه المعركة حيث انطلق المسلمون يستولون على جميع أراضيهم حتى تم إخضاعها لهم كالأهواز وقم وكاشان وأذربيجان فدخل كثير منهم فى الإسلام وتعلموا العربية واندمجوا فى المجتمع الإسلامى وعرفوا باسم الموالى وكان لكثير منهم منزلة كبيرة فى جميع النواحى السياسية والاجتماعية والعلمية.

---

(١) قال إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) الطبرى ج ٤ ص ١٢٠.

(٣) لم يستطع يزدجرد أن يقاتل المسلمين قتالاً ناجحًا وظل أمره فى نقصان حتى قتل بخراسان سنة ٣١هـ. فى خلافة عثمان وبموته انتهت دولة آل ساجان.

ثانيًا: على الجبهة الرومانية (فتح الشام ومصر)

فتح دمشق سنة ١٤هـ:

بعد أن تم للمسلمين النصر على الروم فى موقعة اليرموك فى نهاية خلافة أبى بكر، لجأ الروم المنهزمون فى اليرموك إلى (فحل) من بلاد الأردن كما أتى مدد من الروم من حمص إلى دمشق، فكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر ــ وكان قد تولى القيادة مكان خالد بن الوليد الذى أصبح مجرد جندى فى صفوف المسلمين ــ بأيهما يبدأ بفحل أم بدمشق؟ فكتب إليه عمر أن يبدأ بفتح دمشق لأنها حصن الشام وبيت ملكهم، وأن يرسل إلى أهل فحل مجموعة من الفرسان تكون بإزائهم فى نحورهم[1].

وقد نفذ أبو عبيدة خطة الخليفة فوجه بعض القوات إلى فحل، كما وجد قوات أخرى لتكون بين حمص ــ التى كان يقيم فيها هرقل قائد الروم آنذاك ــ وبين دمشق ثم توجه ببقية المسلمين إلى دمشق فحاصرها حصارًا شديدًا استمر سبعين ليلة تخللتها زحوف ورمى بالنبال والمجانيق، وأهل دمشق يعتصمون بها يرجون الغوث من هرقل الذى أرسل لهم خيلاً فمنعتها قوات المسلمين المرابطة بين دمشق وحمص من الوصول إليهم فلما يئس أهل دمشق من وصول العون إليهم وهنوا وانقطع رجاؤهم وزاد أمل المسلمين فى فتح مدينتهم وقد كان خالد بن الوليد ــ سيف الله المسلول ــ أحد القواد المسلمين المحاصرين لدمشق وكان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه شىء من أمور الجبهة التى يحاصرها عيونه ذاكية يحاول أن يعرف ما يدور فى داخل مدينته ولما علم باحتفال أهل دمشق بمولود لأحد قواد الروم وانشغالهم فى الطعام والشراب واللهو والمرح اغتنم تلك الفرصة واستطاع مع بعض جنوده تسلق سور دمشق وفتح الباب الذى يليه ودخل منه جنده وأعملوا السيف فيمن تصدى لهم، وعندما سرى خبر ذلك طلب أهل دمشق من أبى عبيدة قبول الصلح الذى عرضه عليهم من قبل فأبوه، فقبل منهم أبو عبيدة ذلك وفتحوا للمسلمين الأبواب فدخل جند كل باب بصلح مما يليهم بينما كان خالد قد دخل عنوة والتقى الجنود فى وسط المدينة فأجروا الناحية التى دخل منها خالد فجرى الصلح وتم ذلك فى رجب سنة ١٤هـ.

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٤٣٧.

من فحل إلى قنسرين:

بعد أن تم فتح دمشق ترك أبو عبيدة عليها يزيدبن أبى سفيان ليتولى تدبير أمورها ويستولى على الأقاليم المجاورة لها، ثم توجه ببقية الجنود عليهم شرحبيل بن حسنة إلى فحل التى كان يعسكر فيها ثمانون ألفًا من خيرة جنود الروم وكانوا قد أطلقوا مياه الترع والأنهار فأوحلت الأرض وعاقت تقدم المسلمين فتوقفوا.

وحاصرهم ولما طال أمد الحصار خرج الروم لمباغتة المسلمين فوجدوهم على أهبة الاستعداد فدار القتال بين الفريقين وعندما حل الظلام انهزم الروم وهم فى حيرة واضطراب وضلوا الطريق فأسلمتهم الهزيمة إلى الوحل ولحق بهم المسلمون فركبوهم وما يمنعون يد لامس فوخذوهم بالرماح فأصيب الثمانون ألفا لم يفلت منهم إلا الشديد وهكذا كان الوحل الذى استاء منه المسلمون أولاً عونًا كبيرًا لهم على عدوهم ثم توجه جيش المسلمين بعد ذلك إلى بيسان وطبرية فصالحهم أهلها على شروط صلح دمشق بأن يشاطرهم المسلمون فى منازلهم، ويدفعوا عن كل رأس دينارًا فى كل سنة.

تقدم أبو عبيدة بعد ذلك بالمسلمين إلى حمص فحاصرها طول الشتاء وكان الروم يغيرون على المسلمين فى كل يوم بارد وقد أصاب المسلمين بها برد شديد ولكن الله أفرغ عليهم الصبر حتى انقضى فصل الشتاء وهنا أيقن أهل حمص المحاصرين أنه لا أمل فى فك الحصار عنهم ولا رجاء فى انسحاب المسلمين عن مدينتهم فطلبوا الصلح فصالحهم المسلمون على صلح أهل دمشق.

ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد على رأس جيش إلى قنسرين فلما أنزل بالحاضر زحف إليهم الروم بقيادة (متياس) ـ وهو قائد الروم بعد هرقل ـ فقاتل خالد قتال الأبطال وقتل قائد الروم فقاتل جنده على دمه حتى لم يبق منهم أحد.

أما أهل الحاضر فإنهم أرسلوا إلى خالد يلتمسون العفو وأنهم عرب مثله وإنما حشروا فى حربه مع الروم مضطرين ولم يكن من رأيهم حربه فقبل منهم ذلك وتركهم ولما بلغ عمر ذلك قال: أمر خالد نفسه رحم الله أبا بكر قد كان أعلم بالرجال منى وسار خالد حتى بلغ قنسرين فتحصن أهلها منه فقال لهم: إنكم ولو كنتم فى السحاب

لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا، وتذكر أهل قنسرين ما لقيته أهل حمص من حصار المسلمين فصالحوا خالدًا على صلح أهل حمص[١].

وقد كان لهذه الانتصارات المتتالية للمسلمين على الروم أثرها فى بث الوهن والضعف فى نفس هرقل فيئس من بقاء الشام تابعة له فودع سوريا الوداع الأخير ورحل عنها وهو يقول «سلام عليكم يا سورية سلامًا لا اجتماع بعده ولا يعود إليك رومى أبدًا»[٢].

وقد تابع المسلمون بعد ذلك فتح ما بقى من بلاد الشام حتى اتصلت فتوحاتهم فى بلاد الشام بفتوحاتهم فى بلاد العراق.

موقعة أجنادين وفتح بيت المقدس سنة ١٥ هـ:

كان عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة يحاولان فتح فلسطين عندما توجه أبو عبيدة وخالد إلى حمص وقد تمكن معاوية بن أبى سفيان من فتح قيسارية وصالحت بلاد الأردن شرحبيل وزحف عمرو إلى أجنادين وكان على مقدمة جيشه شرحبيل وكان على مقدمة جيش الروم قائدهم (أريتيون) أو أرطبون كما يسميه العرب وكان داهية الروم كما كان عمرو بن العاص داهية العرب.

ولما بلغ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظر عما تنفرج، وقد بقى عمرو مدة لا يقدر من الأرطبون إلى (إيلياء) ونزل عمرو أجنادين ثم توجه بعد ذلك إلى إيلياء (بيت المقدس) التى كانت لها مكانة خاصة عند المسلمين والنصارى فهى القبلة الأولى للمسلمين ومسرى الرسول ﷺ فحاصرها للقضاء على ما بقى للروم فى الشام وفلسطين، وقد ضرب عمرو الحصار على بيت المقدس قرابة أربعة شهور صبر فيها المسلمون كثيرًا لبرد الشتاء وتحملوا كثيرًا من العناء، ولما طال أمد الحصار ترك قائد الروم المدينة وفر إلى مصر وتولى بطريق المدينة (صفرونيوس) مهمة الدفاع عنها حتى أعيته الحيل ويئس فجنح إلى مصالحة المسلمين على أن يتولى الخليفة عمر بن الخطاب عقد الصلح بنفسه وذلك تأكيدًا للأمان

---

(١) فتوح البلدان ص ١٧٢.

(٢) تاريخ الطبرى ج٢ص ٦٠٣.

وزيادة فى توثيق عقد الصلح، وقد كتب عمرو بن العاص بذلك إلى الخليفة، فسار إلى الشام وكانت تلك أول مرة يغادر فيها المدينة إلى مكان آخر وكتب إلى أمراء الشام لمقابلته (بالجابية) فلقوه بها وعقد معهم مؤتمر الجابية وهناك جاءته رسل أهل إيلياء يطلبون السلام فسالمهم وكتب لهم عهد الذمة والأمان التالى: «هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من غيرها ولا من صليبهم ولا من أموالهم شىء، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم وعلى ما هذا الكتاب، عند الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية شعد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان وعبد الرحمن بن عوف وكتب وحضر سنة خمس عشرة»[١] وبعد كتابة هذا الأمان الذى يعتبر مثالاً واضحًا لمدى سماحة المسلمين مع أعدائهم توجه عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس وسار حتى دخل كنيسة القيامة وعندما حان وقت الصلاة قال للبطريك: أريد الصلاة، فقال: صل موضعك، فامتنع أن يصلى داخل الكنيسة وصلى على الدرجة التى أمام بابها منفردًا ولما فرغ من صلاته قال للبطريك: لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون من بعدى وقالوا: هنا صلى عمر، وكتب، وكتب، لهم أن لا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها، ثم قال: أرنى

(١) تاريخ الطبرى ج٣ ص ٦٠٩.

موضعًا أبنى فيه مسجدًا، فقال: على الصخرة أى صخرة بيت المقدس التى يقال إن الله كلم عليها يعقوب فوجد عليها ترابًا كثيرًا فأخذ يتناوله فى ثوبه ويرفعه واقتدى المسلمون به حتى أزالوه فى ثيابهم ثم أمر ببناء المسجد بجانب الصخرة وهو المسجد الذى يسمى بمسجد قبة الصخرة وبفتح بيت المقدس تم للمسلمين فتح بلاد الشام كلها من أنطاكية شمالاً حتى حدود مصر جنوبًا، ولم ينتشر المسلمون بالشام مثلما انتشروا بالعراق ولم يؤسسوا فيها مدنًا مثل الكوفة والبصرة بالعراق وإنما استوطنوا المدن الكبرى بالشام كدمشق وحمص ولذلك لم يختلط أهل الشام بها اختلاطًا كبيرًا مثل الفرس ولم يؤد فتح الشام إلى إنتاج عنصر جديد مثل عنصر الموالى من الفرس.

فتح مصر ٢١هـ

كان لا بد لموجة الفتح الإسلامى التى اكتسحت بلاد الشام أن تأخذ امتدادها كاملاً فتسير إلى مصر لتطرد الروم وسلطانهم من هذه البلاد نهائيًا.

ويرجع التفكير فى فتح مصر إلى عمرو بن العاص الذى زار مصر فى الجاهلية وكانت وقتذاك تابعة للدولة الرومانية وكان الرومان يعتبرونها الدرة العظمى فى تاج امبراطوريتهم فعندما جاء عمر بن الخطاب إلى الجابية ـ عند خروجه لعقد المعاهدة مع بيت المقدس إيلياء ـ استأذنه عمرو فى فتح مصر فتردد فى الأمر غير أنه وافق بعد إلحاح من عمرو الذى أخذ يحسن له ذلك قائلاً: إن مصر أكثر الأرض أموالاً، وإنك إن فتحت مصر كانت عونًا للمسلمين وقوة لهم.

ومما لا شك فيه أن فتح مصر كان ضروريًا للأسباب الآتية:

١- أن مصر هى الامتداد الجنوبى لبلاد الشام فلا يكلف فتحها العرب كثيرًا.

٢- أن موقع مصر المطل على الحجاز من ناحية والمتصل بالشام من جهة وبشمال أفريقية من جهة أخرى يجعل فتحها أمرًا ضروريًا حتى لا يتخذها الروم سبيلاً إلى مهاجمة الحجاز، أو قاعدة لاسترداد بلاد الشام من يد العرب مرة أخرى.

٣- أن خيرات مصر والاستيلاء عليها من شأنه أن يقطع على الرومان المدد والميرة ويساعد المسلمين فى فتوحاتهم الأخرى.

٤- أن هذا الفتح سوف يمنع الرومان من اللجوء إلى مصر كما فعل أرطبون وجنوده واتخاذها قاعدة لمقاتلة المسلمين.

٥- سهولة هذا الفتح لأن مصر غير محصنة تحصينًا قويًّا ولأن الشعب المصرى كانت لديه رغبة فى التخلص من القهر والتسلط والاستغلال الذى ساد فى عهد الرومان، وكانت لديه كراهية للرومان.

٦- تحقيق ما روى عن الرسول ﷺ من أنه قال: «إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرًا فإن لهم رحمًا وذمة»[١].

ولقد كانت الأوضاع السيئة التى سادت الحياة فى مصر فى شتى جوانبها من العوامل التى ساعدت المسلمين على فتح مصر سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية هذا بالإضافة إلى دافع العقيدة الدينية التى استقرت فى نفوس المسلمين، والصلات التجارية التى كانت تربط بين مصر وبلاد العرب منذ القدم.

كيف تم فتح مصر

يذكر المؤرخون عدة روايات عن بداية الفتح يبين بعضها أن الخليفة عمر بن الخطاب هو الذى أمر عمرًا بالتوجه إلى مصر وفتحها، وبعضها يذكر أن عمرًا هو الذى أشار على الخليفة بذلك، كما يذكر فى روايات عن استئذان عمرو للخليفة قبل أن يتوجه إلى مصر أو بعده ثم يرددون روايات عن تردد الخليفة فى فتح مصر.

ويبدو أن هذه كانت عبارة عن مناقشات وأفكار دارت فى مؤتمر الجابية قبل أن يتخذ قرار الفتح، وبعد أن تبين للخليفة أهمية فتح مصر سمح لعمرو بالتوجه إليها وكان ذلك فى نهاية السنة الثامنة عشرة للهجرة.

بداية الفتح:

لم يكد عمرو بن العاص يظفر بموافقة الخليفة حتى سار بمن معه إليها وكان معه أربعة آلاف جندى فقط وانضم إليه فى الطريق نحو خمسمائة من البدو، واستمر عمرو فى مسيره حتى وصل العريش فى ١٠ من ذى الحجة سنة ١٨ هـ (١٠ ديسمبر

---

(١) رواه مسلم (٤٨٦٤).

٦٣٩م) فاستولى عليها دون مقاومة، ثم توجه منها إلى الفرما[١] فضرب عليها الحصار مدة شهر ودار قتال بين المسلمين وبين حاميتها انتصر فيه المسلمون وانتهى باستيلائهم عليها وكانت تعتبر المدخل الطبيعى لمصر من الشرق وتؤمن لهم طريق الإمداد والتموين وكذلك العودة إلى الحجاز وتم فتحها فى أول المحرم سنة ١٩ هـ (يناير سنة ٦٤٠م) ثم واصل عمرو مسيره بالجيش مارًا بمدينة مجدل فالصالحية فوادى الطميلات حتى وصل إلى بلبيس وكان بها أريطيون (أرطبون) قائد الروم الذى فر من بيت المقدس فدار قتال بينه وبين المسلمين انتهى بهزيمته هزيمة كبيرة فقد روى أنه قتل من الروم ألف قتيل وأسر منهم ثلاثة آلاف أسير وكان من بين الأسرى (أرمانوسة) بنت المقوقس بطريرق الإسكندرية وعظيم القبط بمصر فأرسلها عمرو إلى أبيها مكرمة فسر أبوقها من ذلك العمل وقدره، وكانت فى طريقها إلى قيصرية لتزف إلى قسطنطين بن هرقل.

وسار عمرو بعد ذلك حتى وصل إلى أم دنين[٢] التى دار فيها قتال شديد بين المسلمين والبيزنطيين ولما وجد عمرو أن جيشه قد أخذ فى التناقص أرسل إلى الخليفة يطلب المدد فأمده الخليفة باثنى عشر ألفًا من المسلمين على رأسهم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد والمقداد بن الأسود وكان الواحد منهم يعد بألف رجل كما يقول عمر.

وقد تمكن عمرو بن العاص قبل وصول المدد إليه من الاستيلاء على أم دنين ثم عبر النيل إلى الجيزة قاصدًا الفيوم فاستولى على بهنسا وقبل أن يستولى على الفيوم علم بوصول المدد إليه فعاد ليلتقى بهم ويستقبلهم وعسكر فى هليوبوليس (عين شمس)[٣].

---

(١) بلدة على حدود مصر الشرقية تبعد عن البحر المتوسط نحو ميلين شرق بورسعيد يصب بالقرب من فرع النيل (بالدلوزى) واسمها اللاتينى بلوزيم والقبطى فرمون وهى مدينة السويس حاليًا.

(٢) مكانها الآن حديقة الأزبكية.

(٣) **هليوبوليس:** لفظ يونانى معناه مدينة الشمس أطلقه اليونانيون على مدينة (آرن) عاصمة المقاطعة الثالثة عشرة من مقاطعات مصر وكانت تقع قرب المطرية حاليًا، وكانت فى العصر الفرعونى مقر عبادة الإله رع إله الشمس فأخذ اليونانيون هذا المعنى فجعلوا اسمها عندهم هليوبوليس واحتفظ العرب بهذا المعنى أيضًا فسموه عين شمس.

موقعة عين شمس:

بعد أن التقى عمرو بالمدد نظم صفوفه وأخذ يستعد لمقابلة الرومان، وأعد خطة حربية متكاملة فاستدرجهم إلى القتال بعيدًا عن حصن بابليون حيث التقى بهم فى صحراء العباسية وأعد كمينًا لهم فى الجبل الأحمر شرق العباسية وآخر قريبًا من أم دنين ثم هاجمهم ببقية جيشه.

وعندما لاقى قائدهم يتودور واشتد القتال خرج الكمينان فصار الرومان بين ثلاثة جيوش إسلامية فاختل نظامهم وتشتت شملهم وحلت بهم الهزيمة وأسرعوا بالفرار طالبين النجاة ولاذوا بالحصن بعد أن قتل منهم عدد كبير.

فتح حصن بابليون[١]:

مهدت معركة عين شمس السبيل أمام المسلمين لمحاصرة حصن بابليون فحاصروه وقت الفيضان فطال الحصار مدة سبعة أشهر لقلة معدات الحصار لدى المسلمين وقوة أسوار الحصن ومنعته.

وطالت المناوشات بين الفريقين ولم تؤد إلى نتيجة حاسمة ورأى عمرو ذلك فطلب من الخليفة المدد فأمده بأربعة آلاف ولما أتى المدد إلى عمرو شدد الحصار على الحصن وأيقن الروم بتصميم المسلمين على فتح الحصن واعتقد فيرس (المقوقس) حاكم مصر أن العرب لن يتراجعوا عن عزمهم مهما كلفهم ذلك من تضحيات فتداول معه قواده فى مفاوضة العرب فوافق البعض ورفض البعض، فخرج المقوقس فيمن وافقه على المفاوضة إلى جزيرة الروضة وأرسل إلى عمرو فى طلب الصلح فخيره عمرو بين الإسلام أو الجزية أو القتال وعادت رسل المقوقس إليه فسألهم عن حال المسلمين فقالوا له: «رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد.

---

(١) حصن بابليون: حصن منيع يقع على النيل وموضعه اليوم فى مصر القديمة ويسمى باسم (قصر الشمع) نظرًا لإيقاد الشموع عنده فى بداية كل شهر ويسمى كذلك حصن باب أرباب أليون وهو منسوب إلى بابل بناه الرومان وحبس به بعض الأسرى البابليين فنسب إليهم وكان مقرًا لحامية الروم فى مصر وكان سمك أسواره ثمانية عشر قدمًا تتخللها عدة أبراج.

وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون فى صلاتهم، فقال المقوقس: والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من وضعهم»[١].

وترددت الرسل بين المقوقس وعمرو فى شأن الصلح ورضى بدفع الجزية دينارين على كل نفس بالغة وبعث إلى هرقل يطلب منه الموافقة على ذلك ولكن هرقل رفض هذا الصلح ولام المقوقس وطلب منه الحضور إلى القسطنطينية وحكم عليه بالنفى.

ولما وصل خبر ذلك إلى المسلمين استأنف القتال وكان النيل قد بدأ ينخفض وجاءت الأنباء بموت هرقل فى مارس سنة ٦٤١هـ فيئست حامية الحصن وقوى أمل المسلمين وعزم الزبير بن العوام وجماعة من المسلمين على تسلق أسوار الحصن وفتح أبوابه ونصبوا سلمًا على السور وصعدوا عليه وكبروا ولما سمع الروم ذلك ظنوا أن المسلمين اقتحموا عليهم الحصن طلبوا الصلح فقبل عمرو ذلك على الرغم من معارضة الزبير ومن معه الذين كانوا على وشك فتح الحصن بالقوة.

وسقط حصن بابليون فى يد العرب وخرج الروم منه حاملين ما يكفيهم من القوت تاركين الأسلحة والذخائر للمسلمين، وكان ذلك فى المحرم سنة ٢٠ هـ (إبريل ٦٤١م) وبسقوط حصن بابليون فقد الروم مصر (نصف مصر) وأصبح العرب يسيطرون عليه.

فتح الإسكندرية:

بعد أن تم للمسلمين الاستيلاء على حصن بابليون توجه عمرو بالجيش إلى الإسكندرية التى كانت عاصمة مصر آنذاك وكانت ذات أهمية كبرى تجارية مصرية وبرية ولا يتم فتح مصر نهائيًا إلا بالاستيلاء عليها، وفى طريقة إليها خاض بعض المعارك مع حاميات الروم فى طرنوط ونقيوس وسلطيس والكريونوا ستولى عليها.

---

(١) ابن عبد الحكم: فتح مصر ص ٩٧.

ولما وصل عمرو إلى الإسكندرية وجدها محصنة تحصينًا قويًا فحمل عليها بمجرد وصوله إليها ولكنه لم يفز بطائل فرأى أن يترك جيشًا كافيًا للمرابطة أمامها ومحاصرتها، وأن يسير فى سيرته إلى بلاد مصر السفلى قبل مجيء موسم الفيضان فسار إلى الكريون ومنها إلى دمنهور ثم إلى الغربية حتى يصل إلى سخا ومنها إلى طوخ ثم إلى دمسيس وبعد هذه الرحلة الطويلة التى استغرقت نحو سنة عاد إلى الإسكندرية.

وكانت الظروف قد أصبحت مواتية لفتحها فقد أرجع الإمبراطور(هرقلوناس) المقوقس حاكمًا على مصر مرة أخرى وفوضه فى الصلح مع العرب وكانت الانقسامات الدينية والسياسية قد احتدمت بين الرومان فى الإسكندرية كل هذا أضعف من همم الرومان فاتفقوا على مصالحة العرب وكانت معاهدة الإسكندرية.

معاهدة الإسكندرية ٦٤١هـ:

عقدت هذه المعاهدة بين المقوقس وبين عمرو حيث سار المقوقس إلى عمرو فأكرمه وبعد مفاوضات طويلة اتفق الطرفان على بنود الصلح التالية:

١- الهدنة بين الطرفين لمدة أحد عشر شهرًا تنتهى فى شهر بابه (٢٨سبتمبر ٦٤٢م).

٢- أن يبقى العرب فى مراكزهم مدة الهدنة ولا يقوموا بأى عمل حربى ضد الإسكندرية وأن يكف الجنود الرومان عن أى عمل عدائى ضد العرب.

٣- ألا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء ولا يتدخلوا فى شئون النصارى.

٤- أن ترحل حامية الإسكندرية الرومانية فى البحر وأن يحمل الجنود معهم متاعهم وأموالهم ومن أراد منهم الرحيل بطريق البر فله ذلك بشرط دفع الجزية شهريًا مدة بقائه فى مصر.

٥- ألا تحاول الروم استرداد مصر ولا تعود إليها قوة حربية رومانية.

٦- أن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين فى كل عام.

٧- يباح لليهود البقاء فى الإسكندرية.

٨- أن يكون لدى المسلمين مائة وخمسون جنديًّا رومانيًّا وخمسون مدنيًّا رهينة لحين تنفيذ المعاهدة، ويتم الجلاء فى آخر سنة ٢١ هـ سبتمبر سنة ٦٤٢م.

وحمل المقوقس شروط هذه المعاهدة إلى تيودور قائد الجيش الرومانى الأعلى فوافق عليها ثم أرسلت إلى الإمبراطور فأقرها.

ولكن الروم بعد ذلك فى سنة ٢٥هـ نقضوا هذه المعاهدة فأرسل ملكهم قسطنطين الذى خلف هرقلو ناس جيشًا فسار إليهم عمرو من الفسطاط التى اتخذها عاصمة لمصر وقاتلهم وأخرجهم منها صاغرين وكان عندما وصله خبر غزو الروم لها قد حلف لئن تم له فتحها ليهدمن سورها ويخربها حتى تؤتى من كل جانب فمكنه الله منها وبر بقسمه وكان هذا الفتح الثانى عنوة أما الأول فكان صلحًا.

موقف المصريين من المسلمين أثناء الفتح:

تضاربت الأقوال من المؤرخين عن موقف القبط من المسلمين بالنسبة لفتح مصر فالبعض يذهب إلى أن الأقباط ساعدوا المسلمين أثناء الفتح نظرًا لكراهيتهم للرومان وحكمهم المستبد، والبعض ينفى ذلك، والذى نعتقده هو أن القبط كانوا فى الأعم الأغلب على الحياد أو سلبيين بالنسبة للمسلمين والروم على السواء فلم يساعدوا فريقًا أو ينضموا إلى جانبه ضد الآخر، ولكن عندما كان المسلمون يستولون على مدينة أو قرية وتصبح تحت سلطانهم فإن أهلها بحكم سلطان المسلمين عليهم كانوا ينفذون ما يطلب منهم من أمور تساعد المسلمين فى فتحهم وتحركاتهم وسير جيوشهم وتنفيذ أغراضهم فى بسط سلطانهم على البلاد، والأمر كذلك بالنسبة لمن كانوا تحت سلطان الروم من القبط أثناء الفتح.

نتائج الفتح الإسلامى لمصر:

صارت مصر بعد الفتح العربى لها ولاية تابعة للخلافة الإسلامية فى المدينة وتولى عمرو بن العاص إدارة شئونها وتصريف أمورها فأحدث بها تغييرات بالغة وإصلاحات هامة أظهرت لأهلها الفرق الواضح بين حكم المسلمين وحكم الروم، فقد أطلق عمرو الحرية الدينية لسكان مصر من مسيحين ويهود وكتب أمانًا للبطريق بنيامين وأعاده إلى مركزه بعد أن نفاه الرومان فى الصحراء مدة ثلاث عشرة سنة

وأعطاه السلطات الواسعة لإدارة الشئون فى الكنيسة المصرية وكان لذلك أثره البالغ فى نفوس المصريين وأباح للمصريين تولى المناصب المختلفة فى الدولة كما اهتم بالإصلاحات الإدارية فنشر الأمن والنظام فى البلاد وعين القضاة وشق الترع والقنوات وأنشأ الأحواض والقناطر والجسور، وبنى المقاييس ووضع خطة عادلة لجباية الخراج تربط بدرجة فيضان النيل واهتم بشئون الملاحة والتجارة فحفر الخليج الذى سمى بخليج أمير المؤمنين فربط بذلك بين مصر وبلاد الحجاز.

وقد خفف عمرو الضرائب عن كاهل المصريين فأصبح مجموع ما يجبى لا يتجاوز اثنى عشر مليونًا ينفق منها على مرتبات الموظفين والجند وعلى أعمال الإصلاحات والإنشاءات بينما كان الرومان يجبون من المصريين نحو عشرين مليونًا كما أصبح جميع السكان أمام حكم الإسلام سواء فأبطلت الامتيازات التى كان يتمتع بها بعض الأفراد والطبقات وصار الناس سواسية فنعمت مصر فى عهد المسلمين بحياة آمنة مستقرة.

مكتبة الإسكندرية

يحسن بنا فى ختام الحديث عن فتح مصر أن نتحدث عن قصة تتصل بعصر الفتح العربى (الإسلامى) لمصر وهى قصة حرق مكتبة الإسكندرية التى يرمى بها عمرو بن العاص والخليفة عمر لنكون على حذر منها وسماعها، وهى قصة مختلقة أريد بها رمى الإسلام والمسلمين بالقسوة والهمجية والتعصب، ومن الخطأ الشائع القول بها أن المؤرخين المعاصرين للفتح الإسلامى لمصر سواء كانوا من الأقباط أو المسلمين لم يذكروا عنها شيئًا ولا يمكن أن يكونوا فقد اتفقوا على عدم ذكرها.

فأوتيخا المؤرخ القبطى المعاصر للفتح والذى وصف مصر ولم يذكرها ولو كانت قد حدثت لكان أول من ذكرها كقبطى يهمه أمرها ولشنع على العرب فى ذلك.

وأول مرة وردت الإشارة إليها كانت فى كلام عبد اللطيف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩هـ فى كتابه (الإفادة والاعتبار فى ذكر الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) الذى زار مصر فى العصر الأيوبى وذكر آثارها ورحلته فيها وكان ذلك عرضًا عند كلامه عن عمود السوارى بالإسكندرية ثم جاء من بعده جمال الدين

القفطى المتوفى سنة ٦٤٦هـ فذكرها فى كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) ثم جاء من بعدهما أبو الفرج الملطى المكنى بابن العبرى المتوفى سنة ٦٧٥هـ فذكرها فى كتابه (تاريخ مختصر الدول).

ولقد أيد المثبتون لهذه القصة رأيهم بأن بالمسلمين رغبة وحرص شديدين فمحوا كل كتاب غير القرآن والسنة، وبأن المسلمين أحرقوا كتب الفرس المجوس كما ذكر حاجى خليفة وأن إحراق الكتب فى تلك العصور كان أمرًا شائعًا ومألوفًا يتشفى به كل واحد ممن خالفه، وأن عبد الله بن طاهر أتلف فى سنة ٢١٤هـ مؤلفات المجوس، وجاء هولاكو فألقى بكتب العباسيين فى نهر دجلة.

وأما الذين ينفون هذه القصة فيردون على ذلك بأن الإسلام دين يحث على العلم والتعلم وأن المسلمين يشجعون العلم والمعرفة، وأن البغدادى والقفطى وهما مسلمان ربما أخذا هذه الفرية عن مؤلف معاد للإسلام، وأما ما يذكره حاجى خليفة من حرق كتب الفرس فيرد عليه بأنه من المتأخرين حيث توفى سنة ١٠٦٧هـ ولم يذكر ذلك مؤرخ سابق عليه، وعلى فرض صحة ما نسب إلى ابن طاهر فإن ذلك لا يعتبر حجة على عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب لأنه متأخر عنهما ثم إن كتب المجوس تعتبر شركًا وفى سياق خبر القصة ما يدل على كذب نسبته إلى المسلمين فالمثبتون يذكرون أن هذه الكتب قد وزعت على حمامات الإسكدرية فظلت توقد بها ستة أشهر وكان عددها أربعة آلاف حمام وهذا شيء لا يصدقه عقل ولو قصد المسلمون إحراقها لأعدموها فى الحال حتى لا تتسرب إلى من يرغب فيها من النصارى مثل يوحنا النحوى الراغب الذى مات قبل الفتح الإسلامى بثلاثين أو أربعين سنة فكيف يتأتى له أن يعيش فى عصر الفتح ويكون طرفًا فى هذه القصة؟ وإذا صح هذا فإن الدعوة تكون قد بطلت من أساسها كما أن يوحنا الهنقيوسى (أسقف نقيوس) وهو مؤرخ مصرى لم يتعرض لها وتاريخه هو وأوتيخا من أهم المصادرعن فتح مصر، والحقيقة أن مكتبة الإسكندرية لم تحرق فى عهد عمرو بن العاص ولم تمسها يد المسلمين وإنما أحرقت قبل ذلك مرتين الأول سنة ٤٨ ق.م فى الحريق الذى شب فى مدينة الإسكندرية على إثر حرق أسطول يوليوس قيصر، والثانى سنة ٣٩١م فى عهد القيصر تيودوسيس

حيث قام المسيحيون المتعصبون بحرقها فى جامعة الإسكندرية ولما فيها من تعاليم الوثنية ويذكر المؤرخ (أورازيوس) أنه وجد رفوف مكتبة الإسكندرية خاوية من الكتب عند زيارته لها فى أوائل القرن الخامس الميلادى وإذا ثبت أن المسيحين قد أحرقوا هيكل (سيرابيس) فمن المعقول أن النار قد التهمت كل المكتبة حيث كانت تقع داخله أو بالقرب منه، ولذلك لم يرد ذكر للمكتبة فى القرن الخامس والسادس والسابع الميلادى، وكانت حالة مصر متأخرة فلم يعمل على إعادة المكتبة إلى ما كانت عليه، وعلى فرض أن هذا المكتبة ظلت موجودة حتى عصر الفتح فهل يعقل أن يتركها الرومان للعرب بما فيها من ذخائر ونفائس لماذا لم ينقلوها إلى عاصمتهم القسطنطينية حتى تضاف إلى مكتبتها؟ ولماذا لم يرد ذكر لها فى نصوص معاهدة الإسكندرية ولا يقبل أن يكون العرب الذين كانوا يعتقون الأسير إذا قام بتعليم عشرة من الصبيان القراءة والكتابة هم الذين يفعلون مثل هذا الفعل الشنيع.

أما رواية عبد اللطيف البغدادى فإن ذكره لها كان عرضًا عند حديثه عن عمود السوارى مما يدل دلالة واضحة على عدم تحققه منها وأنه ربما أخذها من ألسنة العوام الذين يرددون الصواب والخطأ دون أن يجهد نفسه فى القيام بالتحقيق منها، تلقفها أبو الفرج الملطى الذى يعتبر متعصبًا ضد المسلمين فأذاعها.

من ذلك يتضح لنا أن مسألة حريق مكتبة الإسكندرية إنما هى محض افتراء وقصة مختلقة لا أساس لها من الواقع أو الصحة، وإنما هى تهمة زائفة يراد إلصاقها بالمسلمين للحط من قدرهم ورميهم بالتعصب والتدمير وإتلاف الحضارات السابقة والعرب منها براء.

إصلاحات عمر بن الخطاب

كانت المدة التى تولى فيها عمر الخلافة فترة عمل ونشاط وإصلاح وإنشاء سواء فى الميدان الخارجى والفتوحات الكثيرة، أو فى الميدان الداخلى الذى شهد كثيرًا من الإصلاحات والإنشاءات وبعد حديثنا عن الفتوحات الإسلامية التى نشطت فى عهد عمر نتحدث عن أهم الإصلاحات التى قام بها فى الداخل.

أولاً: وضع التاريخ الهجرى:

كان العرب يؤرخون بالأحداث الكبرى مثل عام الفيل وحلف الفضول وغيرها، وشعر عمر بأن المسلمين فى حاجة إلى توقيت ثابت يرتبط بحدث جليل من أحداث الإسلام العظمى توحد مشاعرهم فجمع الصحابة واستشارهم فى ذلك فاختلفت آراؤهم: حول التاريخ بمولد الرسول أو بعثته أو هجرته أو وفاته، وبعد تناول هذه الآراء استقر رأى سيدنا عمر على أن تكون هجرة الرسول الكريم هى بداية التاريخ الإسلامى باعتبارها أعظم أحداث الإسلام التى تحقق بفضلها للمسلمين العزة والمنعة وحماية الدعوة وانشارها فجعل المحرم أول العام الهجرى وكان ذلك فى شهر ربيع الأول من السنة السادسة عشرة للهجرة.

ثانيًا: وضع الخراج وتدوين الدواوين:

عمل عمر ﷺ على مسح أرض السواد فى العراق وأرض الجبل ووضع الخراج على الأرضين والجزية على أهل الذمة فيما فتح المسلمون من البلاد فوضع على الغنى ثمانية وأربعين درهمًا وعلى متوسط الحال أربعة وعشرين وعلى الفقير اثنى عشر درهمًا فى السنة وقال: لا يعوز رجلاً منهم درهم فى شهر، وقد بلغ خراج الوادى على عهده مائة وعشرون مليون درهم[١].

هذا ما عدا ما كان من الأقاليم الأخرى، وهكذا كثرت موارد الدولة فى عهده من الفىء والغنائم والخراج والجزية والزكاة فكان لا بد من وضع نظام محدد لحصر هذه الأموال وبيان أوجه صرفها وإنفاقها.

وقد استشار عمر المسلمين فى هذا الشأن فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانًا وجندوا جندًا فأخذ عمر برأيه ووضع (ديوان الجند) ودون سجلات فيها أسماؤهم ما يستحق كل منهم كما وضع ديوانًا لما يرد إلى بيت المال وما يفرض من العطاء لكل مسلم (ديوان الخراج) وفضل عمر السابقين فى الإسلام والذين شهدوا الغزوات على غيرهم وكان أبو بكر قد سوى

---

(١) الطبقات الكبرى ج٣ ص ٣٠٢.

بين الناس فى القسمة فقيل له فى ذلك فقال: لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ففضل أزواج النبى ثم من شهد بدرًا ثم أحدًا... إلخ.

ومما يؤثر عنه فى ذلك أنه فضل أسامة بن زيد على ابنه عبد الله بن عمر فقال له عبد الله: فرضت لى ثلاثة آلاف وفرضت لأسامة أربعة آلاف وقد شهدت ما لم يشهد أسامة، فقال عمر لابنه: زدته لأنه كان أحب إلى رسول الله منك وكان أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك، ثم فرض للناس على قدر منزلتهم وقراءتهم للقرآن وجهادهم ثم جعل من بقى من المسلمين بابًا واحدًا وقال: لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم: ألف لسفره، وألف لسلاحه، وألف يجعلها لأهله، وألف لفرسه وبغله وكان ذلك فى المحرم سنة ٢٠هـ[1].

وكان عمر لا يفرض للأطفال الرضع شيئًا مما حمل بعض النساء على التعجيل بفطام أطفالهن فقال عمر: ألا لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام، ويروى عنه أنه ذهب فى آخر حياته إلى عدم التفضيل بين الناس فى العطاء وقال: والله لئن بقيت إلى العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلنهم رجلاً واحدًا أى يسوى بينهم فى العطاء.

ثالثًا: تعيين القضاة ووضع دستورهم:

اهتم عمر بنشر العدل بين الرعية فى أرجاء الدولة الإسلامية.

لذلك فقد عين قضاة مستقلين للفصل فى القضايا بين الناس وكان الأمراء والولاة غالبًا هم الذين يقومون بذلك.

فعين على المدينة أبا الدرداء، وعلى الكوفة شريح بن الحارث الكندى، وعلى مصر قيس بن أبى العاص السهمى، وعلى العراق أبا موسى الأشعرى.

وقد وضع عمر للقضاة دستورًا ومنهجًا يسيرون على هديه فى الفصل بين الناس وذلك فى كتاب بعث به إلى أبى موسى الأشعرى وغيره واعتبر أساسًا يوضح لنا نظام القضاء وأصوله فى عهده، ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين

---

(١) الطبقات الكبرى ج٣ ص٢١٢ وما بعدها.

إلى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد: فالقضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة فإنه إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حلالاً أو حرم حرامًا ولا يمنعك قضاء قضية اليوم فراجعت نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل.

الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأمثال والأشباه فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى غائبًا أمدًا ينتهى إليه فإن أحضر بينته وإلا استحللت عليه القضية فإنه أتقى للشك وأجلى للعمى، أو ظنيًا متهمًا فى ولاء أو نسب فإن الله تعالى تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان، وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله، فما ظنك بثواب غير الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام(١).

رابعًا: وضعه نظام المحاسبة السنوية للولاة:

حرص عمر على العدل والمساواة بين الرعية لذلك كان يأمر عماله بأن يوافوه فى كل مكان فى موسم الحج، ويطلب ممن له شكوى أو مظلمة عندهم أن يرفعها إليه ليحقق فيها بنفسه وقال فى ذلك: «أيما عامل لى ظلم أحدًا فبلغتنى فلم أغيرها كأنى ظلمته» ولذا فقد عين محمد بن مسلمة ليحقق فى الشكاوى التى ترد ضد الولاة والعمال وكان هذا التحقيق يتم علنًا وعلى ملأ من الناس.

ولم يكن هناك مجال للتأثير فى الشهود لأن يد عمر كانت قوية وكان لكل إنسان الحق فى أن يرفع إليه شكواه مباشرة ضد أى وال أو عامل فحقق بذلك للناس العدل والأمان والمساواة.

---

(١) تاريخ الأمم الإسلامية ج٢ ص٩، ١٠ وانظر (إعلام الموقعين) لابن القيم.

خامسًا: إنشاؤه دار الميرة والزاد:

ومن إصلاحات عمر أيضًا أنه اتخذ دارًا يضع فيها الدقيق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه من الطعام والزاد ليعين به أبناء السبيل والضيوف الذى ينزلون بالمدينة، ووضع فى الطريق بين مكة والمدينة أماكن لإيواء من ينقطع بهم الطريق فى الصحراء.

سادسًا: وضع نظام المراقبة للأسواق ومراقبة المكاييل والموازين حتى لا يكون هناك ثغرة للمحتكرين والمتلاعبين بأقوات الشعب وضرب بيد من حديد على كل من خالف هذا النظام.

سابعًا: عنايته باللقطاء:

سبق عمر عصره بوضعه نظام يكفل للقيط الحياة الكريمة وهو ما يسمونه فى عصرنا (بملاجئ الأيتام) و (مؤسسات الأحداث) فكان إذا ما أتى باللقيط فرض له مائة درهم ودفع به إلى من يتولى رعايته وتربيته وجعل له رزقًا يأكله، وله كل شهر لينفق عليهم ثم ينزل من سنة إلى سنة حتى يكبر ويصير إنسانًا سويًا وكان يوصى باللقطاء خيرًا ويجعل رضاعهم ونفقتهم فى بيت المال.

ثامنًا: تمصير الأمصار[1]:

أسس عمر بن الخطاب فى عهده عدة مدن فى البلاد التى فتحها المسلمون ومنها البصرة والكوفة واللتان أنشئتا سنة ١٧هـ وكان سبب ذلك أن عمر قد لاحظ تغيرًا فى وجوه الوفود التى جاءته من المدائن بعد فتح تكريت، كما لاحظ ضعفًا فى أجسامهم فسألهم عن سبب ذلك فقالوا: غيرتنا وخومة البلاد، وقيل: إن حذيفة بن اليمان هو الذى كتب لعمر بذلك فأرسل عمر إلى سعد بن أبى وقاص يسأله عن ذلك فكتب إليه: إن الذى غيرهم وخومة البلاد فإن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، فكتب إليه عمر بأن يرسل سلمان الفارسى وحذيفة ليرتادا منزلاً مناسبًا ينزلون فيه بينى وبينكم ليس فيه بحرولا جسر فأتيا موضع الكوفة وهو حصاء ورمال فأعجبهما وبعد

---

(١) يقصد بتمصير الأمصار: إقامة مدن جديدة صالحة للسكنى تكون قاعدة لانطلاق جيوش المسلمين لمواصلة الفتوحات.

أن وافق الخليفة على هذا المكان انتقل سعد واتخذه معسكرًا للمسلمين وأقاموا أول الأمر فى خيام ولما استقروا مدة طلبوا بناء البيوت بالقصب فأذن لهم عمر فى ذلك ولكنه حذرهم قائلاً: إن العسكر (الأعداء) أشد لحربكم وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم، فابنوا بيوتًا من قصب وعندما أصابها الحريق أذن لهم فى اتخاذها من اللبن.

وقد قام أبو هياج بن مالك بتخطيط الكوفة وكان المسجد أول ما خط فيها ثم دار الإمارة وبيت المال وكان عرض الشوارع الرئيسية فيها أربعون ذراعًا.

وقد خططت الكوفة تخطيطًا قبليا مثل الفسطاط فى مصر فقسمت تقسيمًا قبليًا تنزل كل قبيلة فى ناحية وإن كان ذلك لم يمنع من وجود الصلات الكثيرة بين القبائل فى المدينة الجديدة فى الجوار وفى المسجد وفى الأسواق وغير ذلك من الصلات التى جعلتها تتآلف مع بعضها وتكون كتلاً جديدة يسميها المؤرخون (الأسباع) وهى خطوة جديدة فى تنظيم المدن والمجتمعات تقلل من كثرة القبائل وانفرادها فى مناطق بعينها.

هذا عن تمصير الكوفة، أما عن تمصير البصرة: فإن المسلمين قد نزلوها فى السنة الرابعة عشرة للهجرة بقيادة عتبة بن غزوان عقب انتصارهم فى موقعة القادسية على الفرس لمنع وصول الإمدادات منها إلى المدائن عاصمة الفرس، وظل المسلمون يقيمون فيها حتى تم تخطيطها مع الكوفة فى سنة ١٧ هـ، وتمصيرها معها وكان الذى قام بتخطيطها على نظام الكوفة عاصم بن دلف وكان معظم سكانها من ربيعة ومضر.

هذا وقد حلت الكوفة والبصرة بعد تمصيرها محل الحيرة، والأيلة وارتفع شأنها وعظمت مكانتهما وكانتا قاعدتين لانطلاق جيوش المسلمين لمواصلة الفتوحات فى بلاد الفرس كما حملا لواء العلم والمعرفة فيما بعد ردحًا طويلاً من الزمن.

مقتل عمر بن الخطاب

ثم فى عهد عمر بن الخطاب فتح كثير من بلاد الفرس والروم، ولا شك أن غير المسلمين الذين فتحت بلادهم وسقطت عروشهم وزالت دولهم قد حقدوا على المسلمين عامة وعلى عمر خاصة بعد أن عجزوا عن إيقاف المد الإسلامى الجارف لبلادهم ولم يعد أمامهم سبيل إلا الكيد للإسلام والمسلمين فى شخص الخليفة عن طريق تدبير مؤامرة لاغتياله، وكان ذلك على يد أحد أسرى فتح نهاوند وهو أبو لؤلؤة

فيروزالمجوسى ــ غلام المغيرة بن شعبة ــ وكان شديد الحنق والحقد على المسلمين كان إذا نظر إلى الصبية الصغار يأتى فيمسح على رءوسهم ويبكى وهو يقول: إن العرب أكلت كبدى[١].

أما كيف وقعت الجريمة النكراء: فيروى أن عمر كان لا يسمح لمشرك بلغ الحلم بدخول المدينة وظل على ذلك حتى كتب له المغيرة بن شعبة واليه على الكوفة يطلب منه الإذن بدخول غلام اسمه فيروز أبو لؤلؤة لأنه يجيد صناعات كثيرة ينتفع بها المسلمون فهو نجار وحداد ونقاش فأذن له عمر بدخول المدينة.

وبينما كان عمر كعادته يطوف بسوق المدينة لقيه ذلك الغلام فشكا إليه المغيرة لأنه جعل عليه خراجًا كثيرًا ــ ضريبة دخل كثيرة ــ فقال له عمر: وكم خراجك؟ قال: درهمان فى اليوم، قال: وما صناعتك؟ قال: نجار حداد نقاش، قال: فما أرى خراجك لكثير على ما تصنع من الأعمال، قد بلغنى أنك تقول لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح فعلت، قال: نعم، قال: لئن سلمت لأعملن لك رحا يتحدث بها من فى المشرق والمغرب، ثم انصرف عنه فقال عمر: لقد توعدنى العبد آنفًا.

وفى اليوم التالى جاءه كعب الأحبار ــ اليهودى الذى أسلم ــ فقال له: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت فى ثلاث ليال، قال: وما يدريك؟ قال: أجده فى كتاب الله عز وجل التوراة، قال عمر: الله إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك، وكان عمر صحيحًا معافى لا يحس بمرض أو ألم فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال: ذهب يوم وبقى يومان، ثم جاءه فى الغد التالى.

فقال: ذهب يومان وبقى يوم وليلة وهى لك إلى صبيحتها.

فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة بالرغم مما قيل له وكان بين الصفوف غير عابئ بكل ما قيل له ــ وكان يوكل بالصفوف رجالاً فإذا استوت جاء يكبر ــ ودخل أبو لؤلؤة فى الناس ومعه خنجر له رأسان فأصابه فى وسطه فضرب عمر ست

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٠١.

ضربات إحداهن تحت سرته فقال عمر سقط وقال: أفى الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين هو ذا، قال: تقدم فصل بالناس، فصلى عبد الرحمن وعمر طريح فى المسجد ثم حمل إلى داره ثم أخذ أبو لؤلؤة يطعن الناس بخنجره ذات اليمين وذات الشمال حتى طعن منهم ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة فأقبل عليه رجل يدعى حطان التميمى فألقى عليه كساءه ثم احتضنه فلما رأى ذلك طعن نفسه فمات.

وقد اهتم عمر بمعرفة قاتله فأمر عبد الله بن عباس أن ينظر من قتله فجال ساعة ثم جاء فقال له: غلام المغيرة بن شعبة، فقال: الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى عند الله بسجدة سجدها له قط ما كانت العرب لتقتلنى [١].

كما اهتم بمعرفة رأى الناس فى اغتياله فأذن للناس فى الدخول عليه فقال: أعن ملأ منكم كان هذا؟ فقالوا: معاذ الله لوددنا أن الله زاد فى عمرك من أعمارنا [٢].

وكان المسلمون محزونون لقتله كحزنهم يوم موت الرسول ويوم وفاة صاحبه أبى بكر الصديق، ثم دعى له الطبيب فلم يجد للقضاء حيلة وهكذا كان قضاء الله فى عمر ولا راد لقضائه فتوفى ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٣هـ (١ نوفمبر سنة ٦٤٤م) ودفن فى حجرة السيدة عائشة بعد استئذانها مع الرسول وأبى بكر وكانت سنه حين قتل أربع وستون سنة.

نظرة فى مقتل عمر:

لا يمكن أن تمضى حادثة من الحوادث الكبرى فى الإسلام كمقتل عمر دون أن نحاول معرفة الأسباب الكامنة وراء ارتكاب هذه الجريمة النكراء ومعرفة الذين كانوا وراءها؟.

إن مجرد سخط أبى لؤلؤة على عمر لأنه لم ينصفه من مولاه المغيرة لا يمكن أن يدفعه إلى ارتكاب مثل هذا الجرم الشنيع خاصة وهو غريب ليس بذى جاه ولا سلطان بل إن الذى دعاه إلى قتل الخليفة إنما هو أوسع دائرة من ذلك وكل ما ظهر من شكواه لعمر هو مجرد انتحال سيف للقتل.

---

(١) الطبقات الكبرى ج٢ص٥٢١، الطبرى ج٤ ص ١٩١.

(٢) قيل: إنه أمر عبد الله باستطلاع رأى الناس فى ذلك ولم يدخلهم عليه، وأمر ابنه عبد الله بمعرفة قاتله.

إن قتل عمر إنما هو فى الحقيقة مؤامرة ثلاثية الأبعاد اشترك فيها الفرس واليهود والنصارى الموتورين ونفذتها أيدى فارسية مجوسية.

وراء هذه المؤامرة أسباب حقيقية هى الحقد والغيظ والموجدة على الخليفة والمسلمين الذين دوخوا الفرس وشلوا عروشهم وأعلوا كلمة الإسلام على دياناتهم.

لقد اشترك فى هذه المؤامرة أبو لؤلؤة المجوسى وكان من خلفه الهرمزان ملك الأهواز الذى أسر وعفا عنه عمر وأقام بالمدينة وجفينة النصرانى وكان من نصارى الأنبار وربما كان معهم كذلك كعب الأحبار اليهودى اليمنى الذى كان على علم بالمؤامرة ومما يؤيد ذلك ما رواه ابن سعد فى طبقاته من أن عبد الرحمن بن عوف قد رأى السكين التى قتل بها عمر، ومن أن عبد الرحمن بن أبى بكر قد شهد بعد مقتل عمر بأنه مر على أبى لؤلؤة ومعه جفينة والهرمزان وهم يتناجون فلما شاهدهم اضطربوا فسقط بينهم خنجر له رأسان ونصابه فى وسطه كان هو الخنجر الذى استعمل فى الحادث[١].

ومن المقطوع به أن فيروز كان خادمًا للهرمزان قبل أن يكون مولى للمغيرة بن شعبة وكثرت الأقاويل بأنه هو الذى أعطاه الخنجر وأمره بقتل عمر لاعتقاده بأن فى ذلك إضعاف للدولة الإسلامية والقضاء عليها.

وهكذا تظهر لنا أبعاد هذه المؤامرة الكبرى ضد الإسلام والمسلمين لمحاولة القضاء على الدولة الإسلامية فى مهدها وكيف اشترك فيها أبو لؤلؤة والهرمزان وجفينة النصرانى اشتراكًا فعليًا وكان كعب الأحبار اليهودى على مؤكد بها.

وربما يثور فى الذهن سؤال يبرئ كعبًا من ذلك يقول: ما الذى يدعو كعبًا إخبار عمر لو كان يبغى تنفيذ المؤامرة فى صمت وسرية كاملين؟.

والجواب على ذلك: أن كعبًا كان يعلم مدى ثقة الناس بعلمه وبما يخبر به وأنه إذا ما أخبر بمقتل عمر محددًا باليوم والساعة ثم وقع ما تحقق إزداوا به ثقة وازداد هو مكانة ورفعة وبذلك ينشر ما يشاء من الأساطير والإسرائيليات بينهم.

---

(١) الطبقات الكبرى ج٥ ص٣٥٤ وبعدها.

فهو لم يكن مخلصًا فى تحذيره لعمر وإنما كان على علم بالمؤامرة وقصد إلى تحقيق ما ذكرناه آنفًا، ولو أن التحقيق فى مقتل سيدنا عمر يسير على نهج التحقيق فى العصر الحاضر لقبض على كعب وحوكم بتهمة التآمر على قتل عمر ولاتخذ من إخباره لعملا دليلاً على اشتراكه مع المتآمرين، ولكنه كان ذا عقل ذكى فأراد بذلك أن يبعد عن نفسه تهمة الاشتراك فى المؤامرة.

عثمان بن عفان ﷺ

الاسم: عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن مناف فهو يلتقى بالنبى ﷺ فى الجد الرابع عبد مناف، كما يلتقى به من ناحية أمه فأمه هى أروى بنت كريز وأم أروى هى البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

كنيته: كان يكنى فى الجاهلية بأبى عمرو، فلما جاء الإسلام كنى بولده عبد الله من زوجه رقية بنت النبى ﷺ وقيل: كان يكنى فى الجاهلية بأبى ليلى لرقته ولين خلقه.

لقبه: كان ﷺ يلقب بذى النورين وقد أطلق عليه هذا اللقب النبى ﷺ.

تاريخ الميلاد: ولد ﷺ لست سنوات مضت من عام الفيل أى فى عام ٤٧ قبل الهجرة فهو أصغر من النبى ﷺ بست سنوات تقريبًا.

محل الميلاد: كانت ولادته بالطائف أخصب بقاع الحجاز، تزوج ﷺ ثمان زوجات وولد له تسعة بنين وست بنات، فقد تزوج ﷺ:

١- رقية بنت الرسول ﷺ وأنجبت له عبد الله ولكنه توفى وهو ابن ست سنوات.

٢- أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ولكنها لم تنجب.

٣- فاختة بنت غزوان وأنجبت له عبد الله الأصغر، وقد مات.

٤- أم عمرو بنت جندب فولدت له عمرًا وخالدًا وأبانًا وعمر ومريم الكبرى.

٥- فاطمة بنت الوليد المخزومية فولدت له سعيدًا والوليد وأم سعيد.

٦- أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية، فولدت له عبد الملك إلا أنه توفى مبكرًا.

٧- رملة بنت شيبة بن ربيعة، فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو.

٨- نائلة بنت الفرافصة فولدت له مريم الصغرى.

وقد استشهد ﷺ وكان عنده من أزواجه ثلاث هن: أم البنين وفاختة ونائلة.

ومات من أولاده ثلاثة صغارًا هم عبد الله وعبد الله الأصغر وعبد الملك.

وعاش الباقون وهم: عمرو وخالد وأبان وعمر والوليد وسعيد وسائر أبنائه لم يؤثر عنهم أمر ذو خطر فى التاريخ.

من أعماله (غير ما سبق):

١- عمارة مسجد النبى ﷺ وبناؤه بالحجارة المنقوشة.

٢- إطعام الطعام حتى إنه أول خليفة زاد فى أعطيات الناس مائة.

٣- جمع القرآن

٤- غزو قبرص سنة ٢٨هـ بقيادة معاوية ﷺ.

كان إسلام عثمان نتيجة لتحرك الصديق ﷺ فى الدعوة الإسلامية.

ولإسلام عثمان بن عفان قصة ما زال يرويها الرواة.

ذلك أنه حين بلغه فى الجاهلية أن محمد بن عبد الله زوج ابنته رقية من ابن عمها ابن أبى لهب، ندم أشد الندم لأنه لم يسبق إليها، ولم يحظ بخلقها الرفيع وبيتها العريق[١].

فدخل على أهله مهمومًا، فوجد عندهم خالته سعدى بنت كريز وكانت هذه امرأة حازمة، عاقلة، طاعنة فى السن[٢]، فسرت عنه[٣] وبشرته بظهور نبى يبطل عبادة الأوثان[٤] ويدعو إلى عبادة الواحد الديان[٥]، ورغبته فى دين ذلك النبى وبشرته بأنه سينال عنده ما يبتغيه، قال عثمان: فانطلقت وأنا أفكر فيما قالته خالتى.

فلقيت أبا بكر وحدثته بما أخبرتى به.

فقال: والله لقد صدقت خالتك فيما أخبرتك وبشرتك بالخير يا عثمان وإنك لرجل عاقل حازم[٦] ما يخفى عليك الحق ولا يشتبه عندك مع الباطل.

ثم قال لى: ما هذه الأصنام التى يعبدها قومنا؟!.

أليست من حجارة صم[٧] لا تسمع ولا تبصر؟.

فقلت: بلى.

فقال:وإن ما قالته خالتك يا عثمان قد تحقق، فلقد أرسل الله رسوله المرتقب[٨] وبعثه إلى الناس كافة بدين الهدى والحق.

---

(١) بيتها العريق: أى كريمة الآباء والأجداد.

(٢) طاعنة فى السن: متقدمة فى السن.

(٣) سرت عنه: كشفت عنه الهم.

(٤) الأوثان: الأصنام.

(٥) الديان: اسم من أسماء الله عز وجل وهو المحاسب والمجازى.

(٦) حازم: حكيم قاطع فى الرأى صائب.

(٧) صم: لا تسمع من يدعوها.

(٨) المرتقب: المنتظر.

فقلت: ومن هو؟!.

فقال: إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

فقال: الصادق الأمين[١]؟.

فقال أبو بكر: نعم إنه هو.

فقلت: فهل لك أن تصحبنى إليه؟ فقال: نعم، ومضينا إلى النبى ﷺ، فلما رآنى قال: «أجب يا عثمان داعى الله فإنى رسول الله إليكم خاصة وإلى خلق الله عامة».

قال عثمان: فوالله ما إن ملأت عينى منه وسمعت مقالته حتى استرحت له وصدقت رسالته، ثم شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد إسلامه وصله أن عتبة بن أبى لهب طلق رقية بنت النبى ﷺ حقدًا وحسدًا وكراهيةً لرسول الله ﷺ وانتقامًا منه ومن أصحابه.

وما كاد عثمان بن عفان ﷺ يسمع بخبر طلاق رقية حتى استطار فرحًا[٢] وبادر فخطبها من رسول الله ﷺ فزوجها الرسول الكريم ﷺ منه وزفتها[٣] أم المؤمنين خديجة بنت خويلد.

وقد كان عثمان من أبهى قريش طلعة[٤] وكانت هى تضاهيه قسامة[٥] فكان يقال لها حين زفت إليه: أحسن زوجين رآهما إنسان رقية وزوجها عثمان.

لم يَسْلم عثمان بن عفان على الرغم من سابق فضله وسابغ[٦] معروفه من أذى قومه حين أسلم.

فلقد عز على عمه الحكم أن يصبأ[٧] فتى بنى عبد شمس عن دين قريش وكبر عليه ذلك، فتصدى له[٨] هو وأتباعه أعنف التصدى وأقساه وأخذه وشد عليه الوثاق.

---

(١) **الصادق الأمين**: لقب اشتهر به محمد ﷺ قبل أن يبعث.

(٢) **استطار فرحًا**: كاد يطير من شدة الفرح.

(٣) **زفتها**: قدمتها إلى زوجها.

(٤) **طلعة**: ملامح الوجه.

(٥) **قسامة**: تشبهه فى حسن تقاسيم الوجه.

(٦) **سابغ**: كثير.

(٧) **يصبأ**: يترك دينه إلى دين آخر.

(٨) **تصدى له**: توجه له لمقاومته.

وقال: أوترغب عن ملة آبائك وأجدادك وتدخل فى دين محدث؟ والله لا أدعك حتى تنبذ[١] ما أنت عليه.

فقال عثمان: والله لا أدع دينى أبدًا ولا أفارق نبيى ما امتدت بى الحياة، فما زال عمه الحكم ينكل به.

وما زال هو يشتد صلابة فى دينه واستمساكًا بعقيدته حتى يئس عمه منه وأطلق سراحه وكف عنه واشتد به الابتلاء حتى فر بدينه من الفتن، فكان أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله بعد لوط عليه السلام حيث كان أول المهاجرين مع أهله إلى الحبشة، رجع عثمان وأهله رضى الله عنهما إلى أرض مكة لينطلقا إلى هجرة أخرى إلى المدينة المنورة.

شهد عثمان رضي الله عنه الغزوات الإسلامية ولم يتخلف عن غزوة سوى غزوة بدر فقد شغل عنها بتمريض رقية رضى الله عنها.

ولما رجع ﷺ من غزوة بدر وجد ابنته قد لحقت بالجنة فحزن النبى ﷺ على ابنته وواسى عثمان، فزوجه من ابنته أم كلثوم، فلقب بـــ (ذى النورين) وبهذا يكون عثمان أول من تزوج ببنتى نبى كما أسهم له مع من حضر بدرًا.

واستمر نضال عثمان رضي الله عنه لخدمة الإسلام وبذل النفس والنفيس.

خذ مثلاً: عندما تجهز الروم لقتال المسلمين، وكان هذا فى الحر الشديد مع قلة السلاح والمال حتى تخلف المنافقون عن رسول الله ﷺ.

عند ذلك صعد المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام المنبر وحض المسلمين على البذل والعطاء.

فوقف عثمان رضي الله عنه وقال: علىَّ مائة بعير بأحلاسها[٢] وأقتابها[٣] يا رسول الله، فتهلل وجه رسول الله عليه أتم صلاة وسلام وقال: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم، ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»[٤].

---

(١) تنبذ: تترك.

(٢) الأحلاس: جمع حلس بكسر الحاء كساء رقيق يجعل تحت البردعة.

(٣) الأقتاب: جمع قتب وهو رجل صغير على قدر سنام البعير، يعنى علىَّ الإبل جاهزة.

(٤) رواه الترمذى وأحمد.

بل ما اكتفى بهذا قال عبد الرحمن بن سمرة: جاء عثمان بن عفان بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره ﷺ فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها فى حجره ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»[١].

ولا ينسى التاريخ له هذا الموقف الكبير فقد كان فى المدينة قبل قدوم النبى ﷺ بئر يقال لها بئر رومة كانت أعذب آبار المدينة وكان لا يشرب منها أحد إلا بثمن وكان صاحبها يهودى وقيل مسلم فلما ضاق الأمر بالمسلمين قال رسول الله ﷺ: «من حفر بئر رومة فله الجنة»[٢].

وانطلق عثمان ليكسب الجنة فاشترى البئر بخمسة وثلاثين ألف درهم وقيل: عشرين ألف درهم، فجعلها للغنى والفقير وابن السبيل[٣].

وفى خلافة الفاروق أصابت الناس سنة مجدبة أخذت الأخضر واليابس حتى سُمِّى عامها لشدة قحطه بعام الرمادة ولما ازداد الكرب وبلغت القلوب الحناجر أقبلوا على عمر، وقالوا: يا خليفة رسول الله إن السماء لم تمطر وإن الأرض لم تنبت وقد أشفى الناس على الهلاك[٤]، فما نصنع؟! فنظر إليهم عمر بوجه عَصَره الهم عصرًا وقال: اصبروا واحتسبوا فإنى أرجو أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم.

فلما كان آخر النهار وردت الأخبار بأن عيرًا لعثمان بن عفان جاءت من الشام وأنها ستصل المدينة عند الصباح، فما إن قضيت صلاة الفجر حتى هب[٥] الناس يستقبلون العير جماعة إثر جماعة وانطلق التجار يتلقفونها فإذا هى ألف بعير قد وُسِّقت[٦] بُرًا وزيتًا وزبيبًا، بركت الجمال بباب عثمان بن عفان ﷺ وطفق الغلمان ينزلون عنها أحمالها.

فدخل التجار على عثمان وقالوا: بعنا ما وصل إليك يا أبا عمرو.

فقال: حبًّا وكرامة ولكن كم تربحونى على شرائى؟.

---

(١) رواه الترمذى وقال: حسن غريب.

(٢) رواه البخارى: كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا.

(٣) تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذى (١٠/ ١٩٠).

(٤) أشفى الناس على الهلاك: قاربوا على الهلاك.

(٥) **هب الناس:** بادروا.

(٦) **وُسِّقت:** حُمّلت.

فقالوا: نعطيك بالدرهم درهمين.

فقال: أُعطيت أكثر من هذا، فزادوا له.

فقال: أعطيت أكثر مما زدتموه، فزادوا له.

فقال: أعطيت أكثر من هذا.

فقالوا: يا أبا عمرو ليس من المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد فمن الذى أعطاك أكثر مما أعطينا؟!.

فقال: إن الله أعطانى بكل درهم عشرة فهل عندكم زيادة؟.

فقالوا: لا يا أبا عمرو.

فقال: إنى أشهد الله تعالى أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة على فقراء المسلمين لا أبتغى من أحد درهمًا ولا دينارًا وإنما أبتغى ثواب الله ورضاه.

هكذا الإيمان الذى وصفه به أخوه الفاروق، فعن أبى بحرية الكندى أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج ذات يوم فإذا هو بمجلس فيه عثمان بن عفان ﷺ فقال: معكم رجل لو قُسِّم إيمانه بين جند من الأجناد لوسعهم، يريد عثمان بن عفان[١].

زهد عثمان ﷺ:

قيمة الدنيا عند أصحاب النبى ﷺ تساوى لا شيء وكان كذا ذو النورين ﷺ مع ما كان يتمتع به من ثراء عظيم وغنى كبير وجمال فذ إلا أنه ﷺ آثر الآخرة على الدنيا.

عن الحسن البصرى وقد سئل عن القائلين فى المسجد فقال: رأيت عثمان بن عفان ﷺ يقيل فى المسجد وهو يومئذ خليفة.

قال: ويقوم وأثر الحصى بجنبه، قال: فيقال: هذا أمير المؤمنين هذا أمير المؤمنين![٢].

وأعجب من هذا أنه ﷺ كان يطعم الناس الطعام الجيد الشهى ويأكل هو الخل والزيت ويتعب معدته.

فعن شرحبيل بن مسلم أن عثمان ﷺ كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت.

---

(١) أخرجه ابن عساكر كذا فى منتخب كنز العمال (٥/ ٨).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١١٦).

عدل عثمان ﷺ:

أخرج السمان فى الموافقة عن أبى الفرات قال: كان لعثمان ﷺ عبد، فقال له: إنى كنت عركت أذنك فاقتص منى، فأخذ بأذنه ثم قال عثمان ﷺ: شدد يا حبذا قصاص فى الدنيا لا قصاص فى الآخرة.

وعن نافع بن عبد الحارث قال: قدم عمر بن الخطاب ﷺ مكة فدخل دار الندوة فى يوم الجمعة وأراد أن يستقرب منها الرواح إلى المسجد، فألقى رداءه على واقف فى البيت فوقع عليه طير من هذا الحمام فأطاره فانتهزته حية فقتلته، فلما صلى الجمعة دخلت عليه أنا وعثمان بن عفان ﷺ فقال: احكما علىَّ فى شىء صنعته اليوم إننى دخلت هذه الدار وأردت أن أستقرب منها الرواح إلى المسجد، فألقيت ردائى على هذا الواقف فوقع عليه طير من هذا الحمام، فخشيت أن يلطخه بسلحه[1] فأطرته عنه، فوقع على ظهر هذا الواقف الآخر، فانتهزته حية فقتلته، فوجدت فى نفسى أنى أطرته من منزل كان فيه آمنًا إلى موقعة كان فيها حتفه، فقلت لعثمان ﷺ: كيف ترى فى عنز ثنية عفراء[2] تحكم بها على أمير المؤمنين؟ قلت: إنى أرى ذلك فأمر بها عمر ﷺ[3].

ولما وصلت الخلافة إلى ذى النورين ﷺ نعم الناس بالخير والرخاء وكثر الطعام والمال، لكن بعض الناس إذا أنعم الله عليهم لم يشكروا فعتبوا عليه أمورًا صنعها غيره ولاموه فيما لو فعله غيره لقبلوه.

وزار الطين بلة انطلاق أعداء الإسلام المتظاهرين به لإشعال نار الفتنة وإلقاء الشبهات والشكوك حول التقى النقى الحيى الخفى الجلى الولى ﷺ وكانت النتيجة حصار الخليفة فى بيته ومُنع الطعام والشراب عنه بل حالوا بينه وبين الصلاة فى المسجد النبوى واجتمع سبعمائة من الصحابة رضى الله عنهم يريدون الدفاع عن أمير المؤمنين لكنه ﷺ آثر أن يراق دمه على أن تُراق دماء المسلمين دفاعًا عنه.

فقال لهم: أقسم على من لى عليه حق أن يكف يده.

---

(١) السلح للحمام كالغائط للإنسان.

(٢) الثنية التى ألقت ثنيتها فى السنة الثالثة عفراء: بيضاء غير خالصة البياض، وهذه العنزة هى جزاء الصيد وقتل الحمام فى المسجد الحرام.

(٣) أخرجه الشافعى فى مسنده (ص ٤٧).

وقال لعبيدة: من أغمد منكم سيفه فهو حر.

وفى لحظة من لحظات الخير أغفى الخليفة الصالح إغفاءة فرأى سيد البشر ﷺ وهو يقول له: [أفطر عندنا الليلة يا عثمان] فأيقن عثمان ﷺ أنه لاحق بنبيه مقبل على لقاء ربه.

رؤية عثمان النبى ﷺ فى نومه قبل موته:

وعن كثير بن الصلت قال: أغفى عثمان بن عفان ﷺ فى اليوم الذى قتل فيه، فاستيقظ فقال: لولا أن يقول الناس: تمنى عثمان الفتنة، لحدثتكم، قال: قلنا: أصلحك الله فحدثنا، فلسنا نقول ما يقول الناس، فقال: إنى رأيت رسول الله ﷺ فى منامى هذا فقال: إنك شاهد معنا الجمعة وذلك يوم الجمعة كما قال الراوى[١].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن عثمان بن عفان ﷺ أصبح فحدَّث فقال: إنى رأيت النبى ﷺ فى المنام الليلة فقال: يا عثمان أفطرعندنا، فأصبح عثمان صائمًا فقتل من يومه[٢]، واستعد عثمان للنهاية فأصبح صائمًا وأعتق عشرين مملوكًا ودعا بسراويل طويلة فلبسها خشية أن تكشف عورته إذا قتله السفاحون السفاكون، وفى يوم مقتله: خرج إلى من حاصروه، فقال: السلام عليكم، فما رد عليه أحد إلا أن يرد رجل فى نفسه، قال: أنشدكم الله هل علمتم أنى اشتريت بئر رومة من مالى فجعلت رشاى كرشى المسلمين[٣].

قالوا: نعم، قال: فعلام تمنعونى أن أشرب منها، أنشدكم الله هل علمتم أنى اشتريت كذا وكذا من الأرض فجعلته فى المسجد.

قيل: نعم.

قال: فهل علمتم أن أحدًا من الناس مُنع أن يصلى فيه قبلى.

---

(١) **صحيح:** أخرجه الحاكم (٣/ ٩٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى: صحيح، وأخرجه ابن سعد (٣/ ٧٥).

(٢) **صحيح:** أخرجه الحاكم (٣/ ١٠٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى: صحيح، وأخرجه أبو يعلى والبرزار كما فى المجمع (٧/ ٢٣٢).

(٣) أى لم أتميز عنكم، ولم آخذ منها جزءًا خاصًّا لنفسى.

أنشدكم الله هل سمعتم نبى الله ﷺ يذكر كذا وكذا، ولكن القوم طُبع على قلوبهم فهم لا يعقلون، لقد انفضوا على الخليفة المظلوم ﷺ فقتلوه والمصحف بين يديه حتى نضح الدم على قول الله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٣٧).

رضى الله عنك يا رفيق رسول الله ﷺ.

رضى الله عنك يا من تستحى منك الملائكة[١].

(١)من هذا الصحابى انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٣٩ - ٦١) وحلية الأولياء (١/ ٥٥).

على بن أبى طالب ﷺ

الاسم: على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم.

أبوه: أبو طالب عم النبى ﷺ.

أمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم وقد سمته باسم أبيها أسد فسمته حيدرة ولكن أباه غيره وسماه عليًّا.

كنيته: كنى بأبى التراب وكانت أحب الكنى إليه، فعن سهل بن سعد قال: إن كان أحب أسماء على ﷺ إليه (أبا تراب) وإن كان ليفرح أن يُدعى به وما سماه أبا تراب إلا النبى ﷺ، وذلك أنه غاضب يومًا فاطمة فخرج فاضطجع إلى الجدار فى المسجد فجاءه النبى ﷺ وقد امتلأ ظهره ترابًا، فجعل النبى ﷺ يمسح التراب عن ظهره، ويقول: «اجلس أبا تراب».

وفى رواية للبخارى ومسلم: فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «قم أبا تراب قم أبا تراب»[1].

وكنى أيضًا ﷺ بأبى الحسن أكبر أبنائه من فاطمة وكنى أيضًا بأبى الريحانتين الحسن والحسين رضى الله عنهما.

اشتهر ﷺ بوصف الإمام وهذا الوصف وإن أنكره البعض لقولهم بأنه مأخوذ من عقيدة الشيعة فى الإمامية، إلا أن عليًّا ﷺ عرف به لتميزه وتفوقه فى العلوم الشرعية والعربية.

أزواجه وأولاده:

١- تزوج السيدة فاطمة بنت سيد البشر ﷺ فى السنة الثانية من الهجرة ولم يتزوج غيرها أثناء حياتها حتى توفيت فى السنة الحادية عشرة من الهجرة بعد وفاة أبيها بستة أشهر تقريبًا وقد أنجبت له أربعة أولاد: الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى.

٢- ولما ماتت فاطمة تزوج أم البنين بنت صرام الكلابية فولدت له أربعة: العباس وجعفر وعبد الله وعثمان وقد استشهدوا جميعًا مع أخيهم الحسن فى معركة كربلاء ولا عقب لهم.

٣- وتزوج ليلى بنت مسعود التميمية فولدت له اثنين هما عبيد الله وأبو بكر وقد استشهدا مع أخيهما الحسين فى كربلاء ولا عقب لهما.

---

(١) أخرجه البخارى كتاب فضائل الصحابة باب مناقب على.

٤- وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت تحت أخيه جعفر ﷺ فأنجبت له محمد بن أبى بكر ثم تزوجها على بعد موت الصديق رضى الله عنهما وأنجبت له: يحيى وعونًا وماتا وليس لهما عقب أيضًا.

٥- تزوج أم حبيبة بنت زمعة التغلبية وأنجبت له اثنين: رقية وعمر الأكبر وقد توفى وعنده خمس وثلاثون سنة وله عقب.

٦- وتزوج أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفى فولدت له اثنتان أم الحسن ورملة الكبرى.

٧- وتزوج أمامة بنت أبى العاص بن الربيع وهى ابنة أخت فاطمة إذ أن أمها زينب بنت النبى ﷺ فولدت له محمدًا الأوسط فقط.

٨- وتزوج خولة بنت جعفر الحنفية فولدت له محمد الأكبر فقط وهو المعروف بمحمد ابن الحنفية.

٩- وتزوج محياة بنت امرئ القيس وأنجبت له جارية لم يعرف لها اسم، وأنجبت له أم ولد محمد الأصغر وقد قتل مع الحسين.

وأنجبت كذلك أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجُمَّانة ونفيسة ثلاث عشرة بنتًا وهم لأمهات أولاد شتى.

وقد قتل أمير المؤمنين عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية وجميع ولده لصلبه: أربعة عشر ذكرًا، وتسع عشرة أنثى ونسله محصور فى خمسة هم: الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية والعباس ابن الكلابية وعمر ابن التغلبية[1].

محمد النبى أخى وصهرى	وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعُرسى	منسوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها	فأيكم له سهم كسهمى
سبقتكم إلى الإسلام طرًّا	صغيرًا ما بلغت أوان لحمى[2]

(١) الطبقات الكبرى (جـ٣) وتاريخ الكبرى (ج٥ ص ١٥٣- ١٥٥).
(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٠٢٩).

لم يسجد على لصنم وإنما كانت أول سجدة سجدها لله رب العالمين، ولذا يقال له: كرم الله وجهه، فقد كان إسلامه فى سن مبكرة جدًّا حيث أسلم وعمره عشر سنوات وكان أول أطفال الإسلام ويقال: إنه أول المسلمين بعد النبى ﷺ على وجه الإطلاق.

وبعد إسلامه انطلق ينهل من العلم النبوى فلقد تربى فى بيت المربى الأعظم ﷺ.

وكان أول اختبار لعلى ﷺ ليلة الهجرة حيث طُلب منه أن يبيع روحه وجسده فداء لرسول الله ﷺ بأن ينام فى فراشه ويرتدى بُردته فما كان من الفدائى الصغير إلا أن أثبت قوة إيمانه وجدارته بلقب الفدائى الصغير وكأنه يقول: فداك أبى وأمى يا رسول الله، بل فداك نفسى يا رسول الله، ويعجز القلم عن جمع بطولات البطل البارز لكنها أمثلة من باب الإيجاز.

خذ مثلاً: يوم غزوة بدر الكبرى خرج من جيش المشركين عتبة بن ربيعة فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد فلما توسطوا بين الصفير دعوا للمبارزة فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار: عوف بن الحارث ومعوذ بن الحارث ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم فقالوا: من أنتم؟.

فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم حاجة ونادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.

فقيل: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة وقم يا على، فلما دنوا منهم قالوا: من أنتم؟ فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال على: على.

قالوا: أكفاء كرام، فبارز عبيدة — وكان أسن القوم — عتبة، وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد بن عتبة، فقتل علىٌّ الوليدَ فورًا وقتل حمزةُ شيبةَ فى الحال واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فأكملا قتله واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رضى الله عنهم[1].

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٧٢، ٢٧٣) بتصرف، وفتح البارى (٧/ ٢٩٩) وزاد المعاد (٣/ ١٧٩) وقصة المبارزة أخرجها أحمد (١/ ١١٧) وأبو داود (٣/ ٥٢) رقم (٢٦٦٥) فى الجهاد باب المبارزة وإسناده قوى انظر صحيح سنن أبى داود (٢/ ٥٠٧).

وفى يوم خيبر نال على ﷺ أعظم وسام وأرقى شهادة فقد قال رسول الله ﷺ فى هذا اليوم: [لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه].

فبات الناس يدوكون[1] ليلتهم أليهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: [أين على بن أبى طالب].

قالوا: يشتكى عينيه يا رسول الله.

قال: [فأرسلوا إليه] فلما جاء بصق فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كان كأن لم يكن به وجع وأعطاه الراية.

فقال على: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟.

قال: (ابتدئ على رسلك[2] حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[3] وبعد أن أخذ البطل اللواء انطلق إلى ساحة القتال فوجد تجاهه بطل اليهود (مرحب) وهو يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له ﷺ وهو يقول:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة[4] كليث غابات[5] كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندرة[6]

فضرب مرحبًا، ففلق رأسه فقتله وكان الفتح[7].

---

(١) **يدوكون:** يخوضون.

(٢) **على رسلك:** امش بتؤدة.

(٣) أخرجه البخارى فى المناقب باب مناقب على ﷺ.

(٤) **حيدرة:** اسم للأسد وكان على ﷺ قد سمى أسدًا فى أول ولادته، وكان مرحب قد رأى أسدًا يقتله فى المنام.

(٥) **ليث الغابات:** أسد الغابة.

(٦) **السندرة:** مكيال واسع أى أقتل الأعداء قتلاً واسعًا كبيرًا.

(٧) أخرجه مسلم فى الجهاد: باب غزوة ذى قرد، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٥٨) ورواه فى فضائل الصحابة رقم (١٠٣٦).

شهد على ﷺ مع النبى ﷺ المشاهد كلها، لم يتخلف عن غزوة من الغزوات إلا غزوة تبوك والتى طلب النبى ﷺ من على ﷺ أن يكون خليفة على المدينة لكن هذا الطلب كان غريبًا على الشجاج البطل، فسأل هل هذا الأمر بسبب تقصير منه؟.

فقال: أتخلفنى فى الصبيان والنساء؟.

وما كان من النبى ﷺ إلا أن رد عليه بجواب لم يخطر للمبارز الباسل على بال: قال ﷺ: «ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى»(١) ما أعظمه من وسام! إنه وسام من طراز لا نظير له.

وبعد التحاق النبى ﷺ بالرفيق الأعلى كان علىٌ موضع التقدير والاحترام والتبجيل والتعظيم من الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم ولما آلت الخلافة إلى على ﷺ قبلها على كره ومضض، ثم اتبع فيهم سياسة عمر ﷺ فحمل الدرة كما حملها عمر ﷺ وتشبه به فى زهده وخوفه وعدله وورعه وبكائه وحكمه.

ولنستمع بإنصات لهذا الموقف العادل: عن الشعبى قال: وجد على بن أبى طالب درعه عند رجل نصرانى فأقبل به إلى القاضى شريح يخاصمه.

فجاء على ﷺ فقال: هذا الدرع درعى ولم أبع ولم أهب.

فقال شريح للنصرانى: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟.

فقال النصرانى: ما الدرع إلا درعى وما أمير المؤمنين عندى بكذاب، فالتفت شريح إلى على، فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك على ﷺ وقال: أصاب شريح ما لى بينة، فقال: هل من شهود؟ قال: معى ولدى الحسن، قال: لا يشهد لك، قال: أوما سمعت عمر ﷺ يروى عن رسول الله ﷺ قوله: [الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة].

قال: لا يصح أن يشهد لك.

فقضى بالدرع للنصرانى، فأخذه النصرانى ومشى خطى ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء.

أمير المؤمنين يدنينى إلى قاضيه يقضى عليه؟! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين.

---

(١) رواه البخارى: كتاب المغازى باب غزوة تبوك رقم (٤٤١٦).

اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفية فخرجت من بعيرك الأورق[١] فقال: أما إذ أسلمت فهى لك، وحمله على فرس[٢].

وهذا مشهد آخر من مشاهد العدل العلوى فقد جاء جعدة بن هبيرة إلى على، فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك رجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك فتقضى لهذا على هذا.

قال: فلهزه[٣] على وقال: إن هذا شيء لو كان لى فعلت ولكن إنما ذا شيء لله[٤].

وكان على ﷺ يمشى فى الأسواق وحده وهو خليفة يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ (القصص: ٨٣).

ثم يقول: نزلت هذه الآية فى أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس[٥].

وأما عن ورعه فيقول الشعبى:

خرج على بن أبى طالب ﷺ يومًا بالكوفة فوقف على باب فاستسقى ماء، فخرجت إليه جارية بإبريق ومنديل، فقال لها: يا جارية لمن هذه الدار؟ قالت: لفلان القسطال، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تشرب من بئر قسطال ولا تستظلن فى ظل عشار»[٦].

وأما عن توكله على ربه سبحانه وتعالى:

فعن يحيى بن مرة قال: كان على ﷺ يخرج بالليل إلى المسجد يصلى تطوعًا فجئنا نحرسه، فلما فرغ أتانا فقال: ما يجلسكم؟ قلنا: نحرسك، فقال: أمن أهل السماء تحرسون أم من أهل الأرض؟.

---

(١) الأورق: به بياض وسواد.

(٢) فيه جابر الجُعفى وهو ضعيف.

(٣) لهزه: وكزه.

(٤) البداية والنهاية (٨/ ٥، ٦).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ٦).

(٦) أخرجه ابن عساكر كذا فى الكنز (٢/ ١٦٥) وقال: لم أر فى رجاله من تكلم فيه.

قلنا: بل من أهل الأرض، قال: إنه لا يكون فى الأرض شىء حتى يقضى فى السماء وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلانه[١] حتى يجىء قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره وإن علىَّ من الله جنة[٢] حصينة فإذا جاء أجلى كشف وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[٣].

وكان على ﷺ مجاب الدعوة.

يُروى أن رجلاً حدث عليًّا ﷺ بحديث فقال: ما أراك إلا قد كذبتنى.

قال: لم أفعل.

قال على: أدعو عليك إن كنت كذبت.

قال الرجل: ادع.

فدعا على ﷺ فما برح حتى عمى.

وقال أبو مكين: مررت أنا وخالى أبو أمية على دار فى محل حى من مراد، قال: ترى هذه الدار؟.

قلت: نعم.

قال: فإن عليًّا مر عليها وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجته فدعا الله أن لا يكمل بناؤها.

قال: فما وضعت عليها لبنة[٤].

قال: فكنت فيمن يمر عليها لا تشبه الدور.

وقال أبو بشير الشيبانى: شهدت الجمل مع مولاى فما رأيت يومًا قط أكثر ساعدًا نادرًا وقدمًا نادرة من يومئذ ولا مررت بدار الوليد قط إلا ذكرت يوم الجمل.

قال: فحدثنى الحكم بن عيينة: أن عليًّا دعا يوم الجمل، فقال: اللهم خذ أيديهم وأقدامهم.

---

(١) **يكلانه**: يحرسانه.

(٢) **جُنة**: أى وقاية.

(٣) أخرجه أبو داود فى القدر وابن عساكر.

(٤) البداية والنهاية (٨/ ٤، ٥) واللبنة هى: الطوبة.

وكان ﷺ زاهدًا، حتى قال عمر بن عبد العزيز عنه: أزهد الناس على بن أبى طالب.

وقال مجمع بن سليمان التيمى: خرج على بن أبى طالب بسيفه إلى السوق فقال: من يشترى منى سيفى هذا؟.

فلو كان عندى أربعة دراهم أشترى بها إزارًا ما بعته[1].

ودخل رجل على على ﷺ وعلىّ علىّ قطيفة وهو يرعد من البرد.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيبًا فى هذا المال وأنت ترعد من البرد؟.

فقال: إنى والله لا أرزأ من مالكم شيئًا وهذه القطيفة هى التى خرجت بها من بيتى.

وكان ﷺ قد ركب حمارًا ودلّى رجليه إلى موضع واحد، ثم يقول: أنا الذى أهنت الدنيا.

وقال مولى لأبى غصين: رأيت عليًّا خرج فأتى رجلاً من أصحاب الكرابيس فقال له: عندك قميص سنبلانى؟.

فأخرج إليه قميصًا فلبسه فإذا هو إلى أنصاف ساقيه فنظر عن يمينه وشماله.

فقال: ما أرى إلا قدرًا حسنًا بكم هذا؟.

قال: بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين، فحلها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق، لله درك يا أبا الحسن.

وبعد حياة حافلة للبطولات والمواقف الباهرة والمشاهد النادرة رزق الله عليًّا ﷺ الشهادة على يد ابن ملجم.

ليلقى أخاه النبى ﷺ فى جنة عالية قطوفها دانية رحم الله أبا الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى ومحل الحجى[2] وطود البهاء[3] ونور السُّرى[4] فى ظلم الدجى[5]

---

(١) لم يرض ﷺ أن يدفع أربعة دراهم لأنه آثر الزهد.

(٢) الحجى: العقل.

(٣) البهاء: الحسن والظرف وفى المعجم الكبير: النهى.

(٤) السرى: السير ليلاً.

(٥) الدجى: جمع دجية أى الظلمة أو هى مع غيم.

داعيًا إلى المحجة العظمى عالمًا بما فى الصحف الأولى وقائمًا بالتأويل والذكرى متعلقًا بأسباب الهدى، وتاركًا للجور والأذى، وحائدًا[١] عن طرقات الردى وخير من آمن واتقى وسيد من تقمص[٢] وارتدى وأفضل من حج وسعى وأسمح من عدل وسوى وأخطب أهل الدنيا إلا الأنبياء والنبى المصطفى وصاحب القبلتين فهل يوازيه موحد؟.

وزوج خير النساء وأبو السبطين، لم تر عينى مثله ولا ترى إلى يوم القيامة واللقاء، من لعنه فعليه لعنة الله والعباد إلى يوم القيامة[٣].

ورحم الله أبا تراب كان سهمًا لله صائبًا فى أعدائه وكان فى محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله ﷺ وكان رهبانى هذه الأمة، لم يكن لمال الله بالسروقة ولا فى أمر الله بالنومة، أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه فكان منه فى رياض مونقة وأعلام بينة.

سلام عليك يا أبا تراب[٤] سلام عليك يا أبا الريحانتين سلام عليك يا أبا الحسنين سلام عليك يا إمام العلم سلام عليك يا مولى المؤمنين سلام عليك يا رابع الخلفاء إلى ميراث الجنة نعم أجر العاملين.

على ﷺ والدعوة إلى الله

عن البراء أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد ﷺ إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، ثم إن رسول الله ﷺ بعث على بن أبى طالب ﷺ وأمره أن يقفل خالدًا، إلا رجلاً كان ممن مع خالد، فمن أحب أن يعقب مع على، فليعقب معه، قال البراء: فكنت فيمن يعقب مع على، فلما دنونا من القوم، خرجوا إلينا، ثم تقدم فصلى بنا على، ثم صفنا صفًا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت

(١) حائدًا: مائلاً.

(٢) تقمص: لبس القميص.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/ ٢٣٨ - ٢٤١) رقم (١٠٥٨٩).

(٤) انظر عن هذا الصحابى: البداية والنهاية (٧/ ٣٥٧- ٤٨٩)، (٨/ ١- ١٥) وطبقات ابن سعد (٣/ ١٣ - ٢٤) الإصابة لابن حجر رقم (٥٦٨٨).

(همدان) جميعًا، فكتب على إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدًا ثم رفع رأسه فقال: «السلام على همدان! السلام على همدان!»[١].

قتاله ﷺ للخوارج

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: كنا جلوسًا ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله فتخلف عليها (على) يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه ثم قام ينتظره وقمنا معه، فقال: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما قاتلت على تنزيله» فاستشرفنا، وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «لا، ولكنه خاصف النعل» قال: فجئنا نبشره، قال: وكأنه قد سمعه[٢].

وهو الذى قاتل الخوارج وقتلوه، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ:«طوبى لمن قتلهم وقتلوه»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «الخوارج كلاب النار»[٥] وقال ﷺ: «لو يعلم الجيش الذى يصيبونهم ما قُضى لهم على لسان نبيهم لاتكلوا عن العمل»[٦].

وقال ﷺ: «إن فى قتلهم أجرًا عظيمًا عند الله لمن قتلهم»[٧].

ولما خرجت الخوارج على (على) وكانوا ثمانية آلاف من قراء الناس، ونزل بحروراء فناظرهم (على) فرجع منهم أربعة آلاف فيهم عبد الله بن الكواء، فبعث (على) إلى الآخرين أن يرجعوا فأبوا، فأرسل إليهم: كونوا حيث شئتم، وبيننا وبينكم ألا تسفكوا دمًا حرامًا، ولا تقطعوا سبيلاً ولا تظلموا أحدًا، فإن فعلتم نبذتم إليكم الحرب.

---

(١) أخرجه البيهقى ورواه البخارى مختصرًا، كذا فى البداية (٥/ ١٠٥).

(٢) رواه أحمد فى المسند (٣/ ٨٢) وإسناده حسن.

(٣) إسناده حسن: رواه ابن أبى عاصم فى السنة عن عبد الله بن أبى أوفى وأخرجه أحمد.

(٤) **صحيح**: وقد ورد فى الصحيح أيضًا «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد».

(٥) **صحيح**: رواه أحمد وابن ماجه، والحاكم عن أبى أوفى، وأحمد والحاكم عن أبى أمامة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.

(٦) **صحيح**: أخرجه النسائى فى خصائص على، ورواه عبد الله بن أحمد فى السنة.

(٧) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه وأحمد والترمذى عن ابن مسعود.

قال عبد الله بن شداد: فوالله ما قتلتم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم الحرام، وذلك بقتلهم عبد الله بن خباب بن الأرت، وبقروا بطن سريته(١).

وعن سلمة بن كهيل قال: حدثنى زيد بن وهب الجهنى أنه كان فى الجيش الذى كانوا مع على ﷺ اللذين ساروا إلى الخوارج فقال على ﷺ: أيها الناس إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتى يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد، وليس له زراع على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض.

فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم، والله إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا فى سرح الناس فسيروا على اسم الله، قال سلمة بن كهيل: فنزلنى زيد بن وهب منزلاً حتى قال: مررنا على قنطرة فلما اكتفينا وعلى الخوارج يومئذ (عبد الله بن وهب الراسبى) فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإنى أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم قال وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان، فقال لهم على ﷺ: التمسوا فيهم (المخدج) الرجل الذى وصفه لهم النبى ﷺ، فالتمسوه فلم يجدوه فقام على ﷺ بنفسه حتى أتى ناسًا قد قتل بعضهم على بعض قال: أخروهم، فوجدوه مما يلى الأرض، فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله، قال: فقام إليه عبيدة السلمانى فقال: يا أمير المؤمنين! والله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: إى والله الذى لا إله إلا هو حتى أستحلفه ثلاثًا وهو يحلف(٢).

---

(١) نقلاً من صلاح الأمة/ د. سيد حسين (٩٢/٥).
(٢) أخرجه مسلم (ص ٧٤٨) وأبو داود (٤٧٦٨).

وحان وقت الرحيل

لقد بشره النبى ﷺ بالشهادة من قبل، وكان (على) ﷺ لا ينسى أبدًا تلك البشرى العظيمة فكان على يقين من أنه سيُقتل شهيدًا مهما طال عليه العمر.

فعن زيد بن وهب: قال: «قدم على علىٍّ قوم من أهل البصرة من الخوارج، فيهم رجل يقال له: الجعد بن بعجة، فقال له: اتق الله يا على فإنك ميت، فقال له على ﷺ: «بل مقتول» ضربة على هذا ــ يقدقرنه ــ تخضب هذه ــ يعنى لحيته من رأسه ــ عهد معهود وقضاء مقضى، وقد خاب من افترى»».

وعن أبى مجلز قال: جاء رجل من مراد إلى (على) وهو يصلى فى المسجد، فقال: احترس فإن ناسًا من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر عليه فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه وأن الأجل جنة حصينة[1].

وقال الأصبغ الحنظلى: لما كانت الليلة التى أصيب فيها على ﷺ أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذن بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة، فقام على يمشى وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت	فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت	إذا حل بواديكا

أما عن قصة قتله ﷺ فلقد اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمى فتذاكروا أمر الناس وعابوا ولاتهم ثم ذكروا (أهل النهر) فترحموا عليهم وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئًا، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم لإخواننا.

فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم على بن أبى طالب، وقال البرك: انا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، تعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذى توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها ــ وضعوا عليها السم ــ واتعدوا لخمس عشرة تخلو من رمضان سنة (٤٠ هـ) أن

---

(١) صفة الصفوة (١/ ١٣٤، ١٣٥).

يثبت كل على صاحبه الذى توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم على المصر ــ المكان ــ الذى فيه صاحبه.

فأما ابن ملجم وكان عداده فى كندة فخرج حتى أتى الكوفة ولم يخبر من بها من إخوانه شيئًا كراهة أن يظهر وكان بالكوفة من يتم الرباب عشرة وفيهم امرأة يقال لها (قطام ابنة الشجنة) قتل على أباها وأخاها يوم النهر وكانت فائقة الجمال، فلما رآها أذهلته عما جاء له فخطبها فقالت: لا أتزوجك حتى تشفى لى، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة (جارية مغنية) وقبل على بن أبى طالب وقال: هو لك مهر، أما على فلم أرك ذكرتيه لى وأنت تريديننى، قالت: بل التمس غرته فإن أصبت شفيت نفسك ونفسى وتهنأ بالعيش معى وإن قتلت فما عند الله خير وأبقى من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، فقال لها: والله ما جئت هذا المصر إلا لذلك، ثم اختارت له مساعدًا من قومها واختار هو مساعدًا آخر، ولما كانت ليلة الجمعة ١٥رمضان سنة (٤٠ هـ) ترصدوا له حتى خرج يريد صلاة الصبح، فضربه ابن ملجم فى قرنه بالسيف وهو ينادى: الحكم لله لا لك ولا لأصحابك، ففزع الذين كانوا بالمسجد للصلاة[1].

ولقى الإمام ربه أخيرًا مصابًا بضربة سيف مسموم كما لقيه من قبل عمر الفاروق، مصابًا بضربة خنجر محموم! وتأبى عظمة البطل إلا أن يكون آخر مشهد فى حياته جديرًا بها أكثر ما تكون الجدارة، ودالاً على حقيقته أصدق ما تكون الدلالة! فإنه لم يكد يتلقى ضربة القدر فى رأسه، حتى حمل إلى داره، وإذ هو فى لحظات الكارثة هذه، يأمر حامليه والحافين حوله أن يذهبوا إلى المسجد، ليدركوا صلاة الفجر قبل أن تؤذن بفوات... هذه الصلاة التى كان يتهيأ لها حين حال الاغتيال الأثيم بينه وبين بلوغها أو إتمامها... وحين يفرغون من صلاتهم، ويعودون إليه، كما يعود فى نفس الوقت، بعض الرجال ممسكين بالقاتل عبد الرحمن بن ملجم يفتح الإمام عينيه، فتقعان عليه، فيهز رأسه فى أسى حين يعرفه ويقول: أهو أنت...؟ لطالما أحسنت إليك..!! ويلقى البطل العظيم على وجوه بنيه وأصحابه نظرة، فيراها تتفجر غيظًا، وتضطرم نقمة ويحس برد الموت يسرى فى أوصاله، ويكاد يرى المصير الذى سيحيق بـــ «ابن

---

(١) نقلاً من (الخلفاء الراشدون) للشيخ حسن أيوب (ص: ٣١٩، ٣٢٠) بتصرف.

ملجم» يكاد يرى الانتقام المروع الذى سيثأر به أولاده وأصحابه، فيتقدم هو فى إصرار ليحمى قاتله من أية مجاوزة أو تخط لحدود القصاص المشروع.

وهكذا ناداهم إليه، وخرجت الكلمات من فمه مبحوحة متقطعة لترسم فى «العظمة الإنسانية» التى أفاءها القرآن على «على» لوحة باهرة.

قال لبنيه وأهله: أحسنوا نزله...وأكرموا مثواه...

فإن أعش فإنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا...

وإن أمت فألحقوه بى: أخاصمه عند رب العالمين...

ولا تقتلوا بى سواه...

«إن الله لا يحب المعتدين»...!![1].

قال العلماء بالسير: ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان، وقيل: ليلة إحدى وعشرين منه، سنة أربعين فبقى الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد، وغسله ابنه عبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن فى السحر[2].

وقال الحسن بن على: يا أيها الناس، لقد فارقكم أمس رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، لقد كان رسول الله ﷺ يبعثه البعث فيعطيه الراية، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، جبريل على يمينه وميكائيل على يساره ـ يعنى عليًّا ﷺ ـ ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشترى بها خادمًا[3].

وهكذا، آب المسافر إلى وطنه... وعاد إلى منزله...!! ورحل ابن أبى طالب عن الدنيا لكن حياته والأيام التى عاشها على الأرض تحولت إلى شمس أخذت مكانها العالى فى حياة البشرية وتاريخها، وراحت تجذب إلى مدارها قيم الحق والبطولة، والإيمان، والخير، والشرف.

وهكذا رحل الإمام، وما رحل.

وظعن، وما ظعن...

---

(١) خلفاء الرسول/ خالد محمد خالد (٥٩٨/ ٥٩٩) بتصرف.

(٢) صفة الصفوة (١/ ١٣٥).

(٣) أخرجه ابن حبان وأحمد والبزار، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٤٩٦).

وهو الظاعن الحاضر... وهو الراحل المقيم...

لقد فتح لذكراه، ولذكراه أبواب الخلود حينما ترك لذوى الدنيا دنياهم، واختار الله ورسوله، والدار الآخرة ولقد احتوشته العواصف، والأعاصير، لكى تزيغه فى ظلامه عن الطريق... أو تفقده بعد رشده أو تشغله عن غايته ومبادئه... فماذا زاغ عن الطريق[1].

فرضى الله عن على وسائر الصحابة أجمعين.

---

(١) خلفاء الرسول ص (٦٠١).

أبو عبيدة بن الجراح ﷺ
أحد العشرة المبشرين بالجنة

اسمه ونسبه:

هو أبو عبيدة بن الجراح عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أحصيب بن رضية بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة... بن عدنان القرشى المكى أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة وأشار به يوم السقيفة لكمال أهليته عند أبى بكر، يجتمع فى النسب مع النبى ﷺ فى فهر، شهد له النبى ﷺ بالجنة وسماه أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ ﷺ وشهد بدرًا، والمشاهد كلها مع رسول الله وقتل أباه يوم بدر كافرًا، روى أحاديث معدودة، وغزا غزوات مشهورة[1] وتوفى سنة (١٨هـ) كان رحمه الله رجلاً حسن الخلق ليس الشيمة متبعًا لأمر رسول الله ﷺ.

قال فيه رسول الله ﷺ: «إن لكل أمة أمينًا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[2] وروى ابن ماجه بسند صحيح عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة: أى أصحابه كان أحب إليه؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم أى؟ قالت: عمر، قلت: ثم أى؟ قالت: أبو عبيدة.

ومناقبه كثيرة رحمه الله ورضى عنه، والمقصود هنا ذكر صور من حياته.

من ذلك جهاده ﷺ وتواضعه:

وجهه أبو بكر ﷺ إلى الشام سنة ثلاث عشرة أميرًا، وفيها استخلف عمر فعزل خالد بن الوليد وولى أبا عبيدة، ولما لقى عمر أبا عبيدة صافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان، عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: بلغ عمر أن أبا عبيدة حُصر بالشام، ونال منه العدو فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه ما نـزل بعـبد مؤمن من شدة إلا جعل الله له بعدها فرجًا، وإنه لا يغلب عسر يسرين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

---

(١) انظر: سيرأعلام النبلاء (٣/ ٣) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤٩١) وتهذيب الكمال (٢٠٣٢) وتهذيب التهذيب (٣١٨١).

(٢) رواه البخارى (٣٧٤٤) ومسلم (٢٤١٩) وأحمد (١٢٣٦٠) عن أنس.

قال: فكتب أبو عبيدة: أما بعد فإن الله يقول: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (الحديد: ٢٠) قال: فخرج عمر بكتابه فقرأه على المنبر فقال: يا أهل المدينة إنما يعرض بكم أبو عبيدة أو بي: ارغبوا في الجهاد[١].

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قدم عمر الشام فتلقاه الأمراء والعظماء فقال: أين أخي أبو عبيدة؟ قالوا: يأتيك الآن، قال: فجاء على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه ثم قال للناس: انصرفوا عنا، فسار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال عمر: لو اتخذت متاعًا أو قال شيئًا، فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا سيبلغنا المقيل[٢].

وعن نافع أن عمر حين قدم الشام قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي؟ قال: فدخل فلم ير شيئًا، قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدًا، وصحفة وشنًّا، وأنت أمير، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قد قلت لك إنك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين، يكفيك ما يبلغك المقيل، فقال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة[٣]، قال الذهبي: هذا والله هو الزهد الخالص لا زهد من كان فقيرًا معدمًا.

وعن معن بن عيسى بن مالك: أن عمر أرسل إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف أو بأربعمائة دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع بها، قال: فقسمها أبو عبيدة، ثم أرسل إلى معاذ بمثلها قال: فقسمها إلا شيئًا قالت له امرأته تحتاج إليه، فلما أخبر الرسول عمر قال: الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) السير (٣/ ١١) والزهد لابن المبارك (٥٨٦) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٦٢٨) والحلية لأبي نعيم (١/ ١٠١).

(٣) السير (٣/ ١١) وتاريخ دمشق (١١/ ٢٧٢) وفي سنده عبد الله بن عمر الراوي عن نافع هو ابن حفص بن عاصم: ضعفوه.

(٤) السير (٣/ ١١) وطبقات ابن سعد (٣/ ٤١٣).

عن أبى الحسن عمران بن نمران أن أبا عبيدة كان يسير فى العسكر فيقول: ألا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه، ألا رب مكره لنفسه، وهو لها مهين، بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات[١].

توفى رحمه الله فى طاعون عمواس بالأردن وقبر ببيسان وصلى عليه معاذ بن جبل سنة ثمانى عشرة من خلافة عمر وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

فضائله:

عن حذيفة قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله فقالوا: يا رسول الله ابعث إلينا رجلاً أمينًا، فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أمينًا حق أمين، قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح، متفق عليه.

وعن أنس ﷺ أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً ليعلمنا السنة والإسلام، قال: فأخذ بيد أبى عبيدة فقال: «هذا أمين هذه الأمة» رواه مسلم.

وقد هاجر ﷺ إلى أرض الحبشة وشهد بدرًا وأبلى يوم أحد بلاءً حسنًا ونزع يومئذ الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر فى وجه رسول الله ﷺ من ضربة أصابته، فانقلعت ثنيتاه فحسن ثغره بذهابهما حتى قيل ما أحصتم كان أحسن من أبى عبيدة.

وصفه عبد الله بن عمر فقال: «ثلاثة من قريش أحسن قريش أخلاقًا وأصحها وجوهًا وأشدها حياءً إن حدثوك لم يكذبوك وإن حدثتهم لم يكذبوك: أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح»[٢].

وكان ﷺ موصوفًا بحسن الخلق وبالحلم الزائد والتواضع، وقد رشحه أبو بكر للخلافة مع عمر فقال: وقت وفاة رسول الله ﷺ بسقيفة بنى ساعدة: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر وأبى عبيدة.

وكان فتح دمشق على يده، ولما حُصر ﷺ بالشام ونال منه العدو فبلغ عمر ذلك، فكتب إليه عمر: أما بعد فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة إلا جعل الله بعدها فرجًا وإنه لا

---

(١) ذكره الفسوى فى تاريخه (٢/ ٤٤٧) وابن حجر فى الإصابة (٥/ ٢٨٨) والذهبى فى (السير) (٣/ ١١) وابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (١/ ١٥١).

(٢) تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٥٧) وصفة الصفوة (١/ ١٩٢).

يغلب عسير يسيرين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)

فكتب إليه أبو عبيدة: أما بعد: فإن الله تعالى يقول: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (الحديد: ٢٠).

فخرج عمر بكتابه، فقرأه على المنبر فقال: يا أهل المدينة إنما يعرض بكم أبو عبيدة أو بى ارغبوا فى الجهاد.

لقد كان أبو عبيدة من السابقين للإسلام أسلم قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وقبل أن يدعو فيها فطوبى لرجل أسلم قديمًا، وهاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وهو ابن إحدى وأربعين سنة وشهد ما بعد بدر من المشاهد وكان ممن ثبت يوم أحد وانتزع يومئذ من جبهة النبى ﷺ حلقتى المغفر.

وقد قتل أبوه يوم بدر كافرًا ونزل فيه وفى أمثاله: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادل: ٢٢).

يرحم الله أبا عبيدة لقد كان يعرف قدره عمر ﷺ.

عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها فى سبيل الله، فقال: تمنوا، فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبًا فأنفقه فى سبيل الله، فقال عمر: تمنوا؟ قالوا: فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهرًا فأنفقه فى سبيل الله، فقال عمر: تمنوا، قالوا: ما تمنينا بعد هذا، فقال عمر: ولكنى أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان أستعملهم فى طاعة الله[١].

---

(١) التاريخ الصغير للإمام البخارى (١/ ٥٤).

الزبير بن العوام ﷺ

قال النبى ﷺ عنه: «إن لكل نبى حواريًّا، وحوارية الزبير».

جدى ابن عمة أحمد ووزيره
عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان أول فارس
شهد الوغى فى اللامة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نصرة
بالحوض يوم تألب الأعداء

فارس مغوار من طراز فريد:

كان إسلامه بعد أبى بكر الصديق ــ ﷺ ــ كان رابعًا أو خامسًا فى سجل السابقين الأولين الميامين.

أسلم فى ربيع حياته وهو ابن ست عشرة سنة، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين جميعًا، فكان نعم المسلم العامل.

كان حوارى رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب[١]، وأحد العشرة البررة الكرام، المشهود لهم بالجنة دار السلام، وأحد الستة أصحاب الشورى وهو أول من سل سيفًا فى سبيل الله عز وجل لإعلاء كلمة الله عز وجل.

وهذا الفارس، هو صاحب السيف الصارم، والرأى الحازم، مزهق أرواح الأبطال وباذل الأموال فى سبيل الله الكبير المتعال كان شجاعًا مقدامًا، من أيسر الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ .

هذا الفارس المقدام، أبو عبد الله الزبير بن العوام، بن خويلد القرشى الأسدى، فارس الكرماء[٢] وكريم الفرسان، وسيد الشجعان يوم الطعان.

---

(١) إقراء سيرة السيدة صفية بنت عبد المطلب فى كتابنا «نساء من عصر النبوة» (٢ / ٢٤٧ - ٢٥٨) تجد متعة وفائدة، وتجد أنها أم فارس الشجعان ــ رضى الله عنهما ــ.

(٢) مسند أحمد (١٦٤/١) وطبقات ابن سعد (٣/ ١٠٠ - ١١٣) ونسب قريش (ص ٢٠، ٢٢، ١٠٣، ١٠٦) والمعارف (ص٢١٩، ٢٧٧) والمستدرك (٣/ ٤٠٥ - ٤١٥) وحلية الأولياء (١/ ٨٩ - ٩١) وصفة =

شب الزبير منذ نعومة أظفاره على حب الفروسية، وركوب الخيل والجلاد، وكان لتربية أم صفية ــ رضى الله عنها ــ كبير الأثر فى تنمية مواهبه القتالية، فخرج من الفرسان الأشداء الذين عرفتهم ساحات القتال، وشهدت ببسالتهم وقوتهم، فى جولات لا تنسى، وصولات حفظتها ذاكرة التاريخ.

حكت المصادر أن أمه صفية ــ رضى الله عنها ــ كانت تضرب الزبير ضربًا شديدًا، وهو يتيم، فقيل لها: قتلتيه، خلعت فؤاده، أهلكت هذا الغلام، فقالت: إنما أضربه لكى يدب ويجر الجيش ذا الجلب[1].

وقاتل الزبير بمكة ــ وهو غلام ــ رجلاً، فكسر الزبير يده، وضربه ضربًا شديدًا، فمر بالرجل على صفية وهو يحمل فقالت: ما شأنه؟ قالوا: قاتل الزبير، فشعرت بالفخر والسرور لفعلة ابنها الزبير البطل الصغير الضرغام.

ولا غرابة فى هذا، فخال الزبير سيد الفرسان، وأسد الرحمن وقاهر الشجعان، وحامى الميدان، الإمام البطل الهمام، أسد الله حمزة بن عبد المطلب القرشى الهاشمى.

أسلم الزبير ــ ﷺ ــ إسلام العارفين الذين أضاءت نفوسهم إشراقات الإيمان، فاستسلموا لله العزيز الحميد استسلام الأبرار الأخيار، فكان يرى الأشياء بمنظار الحق والفضيلة، ولذلك لما آمن الزبير بالدعوة أخذ عمه يعذبه ويعلقه فى حصير، ويدخن عليه بالنار، ويقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا، ولا أرجع إلى الكفر[2].

الصفوة (١/ ١٣٢) وجامع الأصول (٩/ ٥ - ١٠) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ١١ - ٢٩) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩٤ - ١٩٦) والبداية والنهاية (٧/ ٢٤٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤١ - ٦٧) ومجمع الزوائد (٩/ ١٥٠ - ١٥٣) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣١٩) وتاريخ الخميس (١/ ١٧٢) وكنز العمال (١٣/ ١٠٤ - ٢١٢) وغير ذلك من كتب الحديث والسيرة والتراجم والتاريخ وما شابه ذلك مما لا يحصى.

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٠١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٥).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٨٩) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٣) مع الجمع والتصرف اليسير: انظر المستدرك (٣/ ٤٠٦) ومجمع الزوائد (٩/ ١٥١) وقد برهن الصحابة رضوان الله عليهم على صدق تمثلهم لكلمة التوحيد فكان الارتباط الوثيق بين الاعتقاد والسلوك، إذا كان الصحابة يعانين مرارة الأذى فى مكة ويقاسون العنت والعذاب، فما الذى دفعهم إلى التغيير والولوج فى دين الله؟... إنها العقيدة والإيمان، وكأن لسان كل صحابى قد خاطب رب العزة:

وتروى المصادر أن الزبير[١] ﷺ جاء بسيفه فى بداية الدعوة بمكة، فقال رسول الله ﷺ: ما لك؟!

قال: أخبرت أنك أخذت.

قال: «فكنت صانعًا ماذا؟».

قال الزبير: كنت أضرب من أخذك.

فدعا له ولسيفه، وكان أول سيف سُل فى سبيل الله تعالى[٢].

وقد ورد فى صفة الزبير ﷺ أنه كان رجلاً طويلاً إذا ركب خطت رجلاه الأرض، وكان خفيف اللحية والعارضين[٣] وكان قوى البنية والساعد جلدًا صبورًا على الأهوال.

وكان على جانب عظيم من الجرأة، والبسالة والإقدام والشجاعة والقوة.

ومة أمثلة جرأته، ما روت كتب السيرة، أنه لما كان مهاجرًا فى أرض الحبشة، نازع رجل من أهل الحبشة النجاشى فى ملكه، فسار إليه النجاشى، وبينهما عرض النيل، لكى يحارب هذا الخصم.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من يخرج حتى يحضر الوقعة ويخبرنا! وهنا ظهر الزبير ﷺ ليقوم بهذه المهمة الفدائية التى تشير إلى فروسيته، وقال لهم: أنا أخرج وآتيكم بالخبر اليقين ــ وكان من أحدث القوم سنًا ــ.

لما علمت بأن قلبى فارغ ... ممن سواك ملأته بهداكا
وملأت كلى منك حتى لم أدع ... منى مكانًا خاليًا لسواكا

وأثمرت العقيدة ثمرتها اليانعة، وحققت ألذ مطعم، وأحلى مذاق، فصبر الصحابة على لأواء المشركين، وقاوموهم بالكلمة الطيبة، وترديد كلمة التوحيد، والهتاف الربانى: أحد، أحد، فكان نداء كل صحابى يجاوب آفاق الحياة عندما يصرخ مستعليًا بإيمانه على الجاهلية: بقضها وقضيضها، بعدتها وعددها غير عابئ بما يصيبه من الأذى الشديد (حق الشهادتين ليوسف على بدوى ص ١٣، ١٤).

(١) وكان عمره (١١) سنة.

(٢) حلية الأولياء (١/ ٨٩) والمستدرك (٣/ ٤٠٧) ومختصر تاريخ دمشق (٨/ ١٣، ١٤) والأوائل (ص ٤٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٥) والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ترجمة الزبير.

(٣) «العارضين» مثنى عارض، وهو صفحة الخد، وفلان خفيف العارضين، أى: خفيف شعرهما.

وإذ ذاك نفخوا له قربة، فجعلها فى صدره، وسبح عليها إلى الناحية التى فيها الوقعة، ثم انطلق حتى حضرها، ونصر الله عز وجل النجاشى على عدوه، فعاد الزبير إلى أصحابه وهو يلوح بثوبه: ألا أبشروا، فقد ظهر النجاشى، وأهلك الله عدوه، ففرح المسلمون بذلك النصر فرحًا ملأ نفوسهم وأكبروا شجاعة الزبير وإقدامه فى بلاد الحبشة[١].

ثم إن الزبير عاد مع من عاد إلى مكة ليكون فى عداد المهاجرين إلى المدينة المنورة، ولكنه قبل هجرته سجل خبرًا وضيئًا، حيث لقى رسول الله ﷺ وهو مهاجر[٢] إلى المدينة المنورة، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض.

الزبير فارس الغزوات الظافرة:

هاجر الزبير ﷺ إلى المدينة، ونزل على المنذر بن محمد بن عقبة، ثم آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمة بن سلامة[٣] بن وقش الأوسى.

وفى ربوع المدينة المنورة وُلد للزبير ابنه عبد الله بن الزبير من زوجه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكان عبد الله بن الزبير أول مولود فى المدينة المنورة ولد للمهاجرين وفرح المسلمون بولادته فرحًا شديدًا وكبروا تكبيرة ارتجت لها المدينة، لأن اليهود الأخابث كانوا يقولون: قد سحرناهم فلا يولد لهم، فأكذبهم الله عز وجل، وحنكه الرسول ﷺ بتمرة لاكها، فكان ريقه الشريف أول شىء نزل فى جوفه، وسماه: عبد الله، وكناه: أبا بكر، بكنية جده أبى بكر الصديق ﷺ[٤].

---

(١) عن تاريخ الإسلام للذهبى (ص١٣٣) بشىء من التصرف.

(٢) إن الهجرة نقطة تحول مضيئة فى تاريخ الإسلام، وقد سجلها الشعراء بما جادت به قرائحهم، ومن ذلك قول الشاعر:

أضحت بداية تاريخ يجددها ... مر السنين ومنها تؤخذ العبر
مع الهلال ببدء العام طلعتها ... يا غرة النصر أحيا ذكرك القمر
فاطلع بها يا هلال العام مزدهرًا ... كلاكما النور فى الأجواء ينتشر
واقصص على الجيل أخبار الأُلى هجروا ... ديارهم وعلى التغريب قد صبروا

(٣) سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة: يكنى أبا عوف من الأوس والأنصار، شهد العقبة مع الأنصار، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات سلمة بن سلامة سنة خمس وأربعين وهو ابن سبعين سنة، ودفن بالمدينة المنورة ﷺ (طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٤) انظر: الأوائل (ص ١٥٢).

كان عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما صوامًا، قوامًا، طويل الصلاة، وصولاً للرحم، عظيم الشجاعة، عاقلاً، حازمًا، بليغًا، كأبيه الزبير وجده الصديق رضى الله عنهم جميعًا.

أما الزبير ﷺ فقد عاش فى المدينة المنورة جنديًا وفارسًا من فرسان الرسول ﷺ، وقد كان للزبير كريم الآثار الوضيئة فى غزوات رسول الله ﷺ، وسنشهد معًا بعض آثاره الحسان فى بعض المغازى التى حظى فيها بمعية الحبيب المصطفى ﷺ، فكان نعم الفارس، المقاتل، المطيع، المحب لله ورسوله.

الزبير وغزاة بدر:

هو داعى الجهاد ينادى للخروج إلى غزاة بدر، ويسرع[1] الزبير ﷺ ممتطيًا مصهوة جواده الأصيل، ملبيًا لإعلاء كلمة الله، وكان فى جيش المسلمين فارسان وهما: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود رضى الله عنهما.

ولما نزل رسول الله ﷺ قريبًا من ماء بدر بعث على بن أبى طالب والزبير وجماعة يكشفون خبر قريش فعادوا، وقد حزروا القوم.

وفى اليوم التالى بدأت الحرب بين الفريقين، وكان الزبير ﷺ يمتطى جواده، وعليه عمامة صفراء، وأخذ يجندل صناديد فجار قريش[2]، وجرح يومها جرحين غائرين، وتروى المصادر أن الملائكة قد نزلت يوم بدر بعمائم صفر[3]، إكرامًا وتكريمًا للزبير عليه سحائب الرضوان وشآبيب الرحمة، ومزن المغفرة وفى هذا يفتخر ابن حفيده عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدى ابن عمة أحمد ووزيره
عند البلاء وفارس الشقراء

---

(١) أخرج الحاكم رحمه الله بسند رفعه إلى على بن أبى طالب ﷺ قال: كانت أول غزوة فى الإسلام بدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس الزبير، وفرس للمقداد (المستدرك ٣/ ٤٠٧) ومن الجدير بالذكر أن فرس الزبير يوم بدر كان يقال له: اليعسوب (الكامل ١/ ٨٢).

(٢) روت المصادر أن الزبير قد قتل يوم بدر: عبيدة بن سعيد بن العاص، ونوفل بن خويلد بن أسد.

(٣) أخرج ابن سعد رحمه الله بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كانت على الزبير ريطة صفراء معتجرًا بها يوم بدر، فقال النبى ﷺ: «إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير» (طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٣).

وغداة بدر كان أول فارس

شهد الوغى فى اللامة الصفراء[١]

نزلت بسيماه الملائك نصرة

بالحوض يوم تألب الأعداء[٢]

الزبير وغزوة أحد:

استدار العام وخرج المسلمون إلى أحد، وفى ميدان أحد اصطف الفريقان، وخرج من المشركين طلحة بن أبى طلحة العبدرى فدعا إلى البراز، فأحجم الناس عنه، حتى دعا ثلاثًا، وهو على جمل له، فقام إليه الزبير، فوثب حتى استوى معه على بعيره، ثم عانقه، فتتلا فوق البعير جميعًا، فقال رسول الله ﷺ: «الذى يلى حضيض الأرض مقتول»[٣] فوقع المشرك، ووقع عليه الزبير فذبحه بسيفه، ثم إن النبى ﷺ قرب الزبير فأجلسه على فخذه، وأثنى عليه، وقال: «إن لكل نبى حواريًّا[٤] والزبير حواريى» وقال: «لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه، لما رأيت من إحجام الناس عنه»[٥].

ودار القتال بين المسلمين والمشركين، وكان الزبير ﷺ من الفرسان الذين ثبتوا حول الرسول ﷺ، وممن بايعه على الموت، وفى غزاة أحد هذه استشهد حمزة خال الزبير وأخو أمه صفية[٦]، واستشهد كذلك عبد الله بن جحش ابن عمته، وثلة من أكابر المؤمنين، وفرسانهم.

---

(١) اللامة: هى اللأمة وهى أداة الحرب كلها: من رمح وخوذة ومغفر وسيف ودرع.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦، ٤٧) بشىء من التصرف، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٣).

(٣) «حضيض الأرض» قرارها، وسافلها.

(٤) الحوارى: الناصر المبالغ فى النصرة والوزير والخليل أو ناصر الأنبياء عليهم السلام خاصة.

(٥) البداية والنهاية (٤/ ٢٠) وتاريخ الإسلام للذهبى ص المغازى (١٧٢، ١٧٣) مع الجمع والتصرف اليسير.

(٦) أوردت كتب السيرة أن صفية بنت عبد المطلب ــ رضوان الله عليها ــ أقبلت إلى أحد لتنظر إلى حمزة ــ وهو أخوها لأبويها ــ فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير: «القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها» فلقيها الزبير فقال: أى أمه، إن رسول الله يأمرك أن ترجعى.

قالت: ولم؟ فقد بلغنى أنه مُثِّل بأخى، وذلك فى الله، فما أرضانا بما كان من ذلك فلأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

فجاء الزبير إلى رسول الله فأخبره بقولها، قال: «فخل سبيلها» فأتته فنظرت إليه واسترجعت واستغفرت له.

انتهت المعركة، وقتل من قتل من المسلمين وأكرمهم الله عز وجل يوم أحد[١] بالشهادة وثبت الله رسوله الكريم، ومعه ثلة من فرسانه منهم أسيادنا العظام: أبو بكر، وعلى، وطلحة، والزبير وغيرهم رضوان الله عليهم.

انصرف المشركون من ساحة أحد، وأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما أصابهم، وخاف رسول الله ﷺ أن يرجع المشركون، فقال: «من ينتدب لهؤلاء فى آثارهم حتى يعلموا أن بنا قوة؟» فانتدب أبو بكر والزبير فى سبعين خرجوا فى آثار القوم، فسمعوا بهم، وانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ولم يلقوا عدوًّا[٢].

وكان أبو بكر والزبير من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح وبذلك نالا رضوان الله عز وجل ومرضاة رسول الله ﷺ ففازوا ببشارة الجنة كما أخبر بذلك الحبيب المصطفى ﷺ.

الزبير وغزاة الأحزاب وبنى قريظة:

فى غزاة الخندق، كان للزبير ﷺ المقام المحمود وأبلى بلاء حسنًا يومها، فقد جاءت جموع الأحزاب، وحاصروا المدينة المنورة، واضطرب المسلمون يومها، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وزُلزل المؤمنون زلزالاً شديدًا، وكان يومًا قاسيًا.

وفى تلك الساعات الحرجة العصيبة، قال رسول الله ﷺ: «من يأتينا بخبر القوم؟». فقال الزبير: أنا، فقال: «إن لكل نبى حواريًّا وحواريى الزبير»[٣].

---

(١) قال جماعة من أكابر العلماء: كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحق به المنافقين ممن كان يظهر إسلامه بلسانه ويوم أحد أكرم الله فيه بالشهادة غير واحد، وكان مما نزل من القرآن فى يوم أحد، ستون آية من سورة آل عمران.

(٢) للحديث أصل فى الصحيحين: فى البخارى، كتاب المغازى باب: الذين استجابوا لله والرسول برقم (٤٠٧٧). ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة برقم (٢٤١٨) باب: من فضائل طلحة والزبير رضى الله عنهما. وابن ماجه فى المقدمة (١٢٤) وابن سعد (٣/ ١٠٤) والحاكم (٣/ ٤٠٩).

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٠٧، ٣١٤، ٣٣٨، ٣٦٥) وأخرجه البخارى فى فضائل الصحابة برقم (٣٧١٩) ومسلم فى الفضائل برقم (٢٤١٥) والترمذى فى المناقب برقم (٣٧٤٥) وابن ماجه فى المقدمة (١٢٢) باب فضائل الزبير، وغير ذلك من المصادر الموثوقة، وورد فى معنى الحوارى آراء كثيرة منها:

ويوم الخندق وبنى قريظة جمع رسول الله ﷺ للزبير أبويه فقال: «ارم فداك أبى وأمى»[١].

أوردت المصادر الحديثة أن الزبير ﷺ كان يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم الخندق، فقال: «من يأتى بنى قريظة فيقاتلهم؟» فكان الزبير يذهب إلى بنى قريظة ويقاتلهم، وعندما يرجع يقول له رسول الله ﷺ: «فداك أبى وأمى».

وهذه شجاعة ما بعدها شجاعة، وثبات جنان، وقوة شكيمة ويقين بالله لا يوصف[٢].

ويذكر الذهبى رحمه الله خبرًا لطيفًا عن شجاعة وقوة الزبير ﷺ فيقول: ضرب الزبير بن العوام ﷺ يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره، فقطعه إلى القربوس[٣]، فقالوا: ما أجود سيفك! فغضب الزبير ﷺ من قولهم، يريد أن العمل ليده لا لسيفه[٤].

الزبير فى بقية المشاهد:

أخرج الحاكم بسنده عن عروة بن الزبير عن الزبير ﷺ قال: والله! ما خرج رسول الله ﷺ مخرجًا فى غزوة غزاها ولا سرية إلا كنت فيها[٥].

وقد شهدنا الزبير ﷺ فى غزاة بدر وأحد والأحزاب وقريظة، وسنشهده كذلك فى مشاهد أخر، فقد شهد بيعة الرضوان وحظى بالرضوان من الرحمن عز وجل ثم شهد

الحوارى: الخالص من كل شىء، وقيل: الخليل، وقيل: الناصر، والحوارى: خاصة الإنسان وصفيه المختص به كأنه أخلص ونقى من كل عيب، وسمى أصحاب النبى عيسى ﷺ بالحواريين لأنهم تابعوه ونصروه.

(١) للحديث أصل فى المسند (١/ ١٦٦) وعند البخارى برقم (٣٧٢٠) ومسلم برقم (٢٤١٦) وانظر تهذيب الأسماء واللغات للنووى (١/ ١٩٥).

(٢) إن شحذ الهمم وتشجيع العسكريين يرفع من معنوياتهم ويكون حافزًا لهم على مواصلة العطاء المثمر، مما يعود على الجيش بالعزة والمنعة.

(٣) «القربوس» مقدم السرج ومؤخره.

(٤) سير اعلام النبلاء (١/ ١٥) بتصرف يسير، وانظر تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى ص ٣٠١).

(٥) المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٠٧) إن مواصلة الزبير مسيرة الجهاد يدل على عظيم إيمانه، وصلابة موقفه، وطاعته لقائده ﷺ، وتدبيره المستمر ولياقته العالية، وتحمله الظروف المختلفة، مهما قست أو اشتد لأواؤها.

غزاة خيبر، وأبلى يومئذ بلاءً حسنًا، بعد أن قتل مرحبًا اليهودى بسيف على بن أبى طالب ﷺ - برز ياسر أخو مرحب، وكان من أشداء اليهود، وكانت معه حربة يحوش بها المسلمين حوشًا، فبرز له على ﷺ فقال له الزبير ﷺ: أقسمت عليك إلا خليت بينى وبينه، ففعل على، وأقبل ياسر بحربته يسوق الناس بها، فبرز له الزبير، فقالت صفية أمه: يا رسول الله! واحدى، ابنى يقتل يا رسول الله؟ فقال: «بل ابنك يقتله» فاقتتلا، فقتله الزبير، فقال رسول الله ﷺ: «فداك عم وخال» ولما قتل مرحب[1] وياسر، قال رسول الله ﷺ: «أبشروا قد ترحبت خيبر وتيسرت»[2].

وتابع الزبير ﷺ رحلة الجهاد والفروسية بمعية رسول الله ﷺ، فشهد فتح مكة، ودخلها يومئذ بلواءين، وكان على مجنبة الجيش اليسرى[3] وكان المقداد بن الأسود[4] على المجنبة اليمنى، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، وهدأ الناس، جاء الزبير والمقداد بفرسيهما فقام رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجوههما بثوبه وقال: «إنى جعلت للفرس سهمين، وللفارس سهمًا فمن نقصهما نقصه الله»[5].

ويوم حنين، وما أدراك ما يوم حنين! أبدع الزبير وأظهر من ألوان الفروسية والشجاعة والبطولة ما أذهل الأعداء، وقد وصفه أصحاب مالك بن عوف بقولهم: نرى فارسًا طويل النجاد، هول الفخذ، واضع الرمح.

فقال لهم مالك: هذا الزبير بن العوام، وأحلف بالله ليخالطنكم، فاثبتوا، فلما انتهى الزبير إلى أسفل الثنية، أبصر القوم، فعمد إليهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أزالهم عنها[6].

وفى ظلال العصر الراشدى، ظل الزبير ﷺ أحد فرسان المسلمين الأوفياء، فكان مع فرسان الصديق ﷺ الذين قاتلوا المرتدين، ثم خرج إلى الشام مجاهدًا مع الجيش - جيش الفاتحين - فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره وكان أفضل من شهدها، وكانت له

---

(١) مرحب اليهودى: كان ملك خيبر.

(٢) شرح السير الكبير (٢/ ٦١٣) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٧).

(٣) **المجنبة**: المقصود فيها هنا مسيرة الجيش.

(٤) اقرأ سيرته وفروسيته فى هذا الكتاب.

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٤).

(٦) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٨) بتصرف يسير جدًا.

بها اليد البيضاء، والهمة العليا، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين من أولهم إلى آخرهم وكان يخرج من الجانب الآخر سالمًا، ولكنه جرح فى قفاه بضربتين ﷺ وهذا دليل جبن الأعداء وعدم قدرتهم على الثبات إزاءه وجهًا لوجه.

ثم إن الزبير خرج غازيًا نحو مصر، فكتب إلى أمير مصر أن الأرض قد وقع بها الطاعون، فلا تدخلها، فقال: إنما خرجت للطعن والطاعون، فدخلها[1]، وكان أميرًا على خمسمائة من الجند، وحمل راية تدل على رفرفته، فخرج بعسكره، وهو ينشد هذا الرجز الجميل:

أنا الزبير ولد العوام ليث شجاع فارس الإسلام
قرم[2] همام فارس هجام أقتل كل فارس ضرغام
وإننى يوم الوغى صدام وناصر فى حانها الإسلام

وظل الزبير بن العوام واحدًا من فرسان المدرسة المحمدية ينافح عن الإسلام والمسلمين، ويشرى نفسه فى سبيل مرضاة الله عز وجل، لكى يفوز بالسعادة مع الذين سعدوا.

من أخبار الزبير وآثاره المضيئة:

للزبير بن العوام ﷺ أخبار كريمة وضيئة فى تاريخ الصحابة الأعلام، بل فى تاريخ الإسلام منذ عصر النبوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وسيظل ذكره ينضح بالرحيق والعطر كلما جرى ذكره، وكلما فتحت صفحات سيرته، وكلما رحنا نعدد مناقبه وآثاره فهو القائد الهمام، والعسكرى المطيع، والمؤمن التقى، والفارس الشجاع، والجرىء المقدام الذى لا يشق له غبار.

ومن أخباره الوضيئة الباهرة، أنه كان حوارى الرسول ﷺ وكفاه بهذه المنزلة فضلاً ورفعة، وكان الزبير أحد كتبة الصحابة لرسول الله ﷺ، الذين يكتبون بين يديه.

ومن أخبار الزبير أنه لما كان بأرض الحبشة وهبه النجاشى حربة ذات قيمة، فوهبها الزبير رسول الله ﷺ فكانت تحمل بين يديه يوم العيد وغيره، وقد وصلت هذه

---

(١)سير أعلام النبلاء (١/ ٥٥).
(٢) «القرم» السيد المعظم.

الحربة ليد الخليفة العباسى المتوكل على الله، ففرح بها فرحًا شديدًا، فأمر المتوكل صاحب الشرطة أن يحملها بين يديه، كما كانت تحمل بين يدى رسول الله ﷺ [١].

ولسيف الزبير ﷺ أثر كريم فى حياة الفروسية والجهاد فى العصر النبوى، وعن هذا السيف يقول فارس الإسلام على بن أبى طالب ﷺ: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ [٢].

هذا السيف البتار قُوِّم فى مجلس عبد الملك بن مروان بثلاثة آلاف، يروى هذا الخبر عروة بن الزبير قال: قال عبد الملك بن مروان حين قتل عبد الله بن الزبير: يا عروة! هل تعرف سيف الزبير؟.

قلت: نعم، قال: فما فيه؟ قلت: فلَّة فلَّها يوم بدر، فاستله، فرآها فيه، فقال: بهن فلول من قراع الكتائب [٣].

ثم أغمده، ورده على، فأقمناه بيننا بثلاثة آلاف، فأخذه بعضنا، ولوددت أنى كنت أخذته [٤].

وتحكى المصادر قصة أخرى لسيف الزبير البتار، وتقول بأنه قد صار إلى هارون الرشيد رحمه الله وذات مرة أمر بأن تضرب عنق أحد الزنادقة، فسبق السيف الدم، فقال الناس: إن السيف كان للزبير بن العوام ﷺ.

ونعود الآن إلى الزبير نفسه، لنشهد شيئًا من مناقبه الحسان، وأخباره الوضيئة اللطيفة، وذلك فيما حدثت به زوجه السيدة أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين [٥] فقالت: مر الزبير بن العوام ﷺ بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ، وحسان بن ثابت ينشدهم من شعره وهم فى غير نشاط لما يسمعون منه فجلس معهم الزبير، فقال: ما لى أراكم

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٠/ ٣٤٥، ٣٤٦) بشىء من التصرف.

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى برقم (٣٩٧٣) باب: قتل أبى جهل، وفى فضائل الصحابة برقم (٣٧٢١) باب: مناقب الزبير، وفى المغازى برقم (٣٩٧٥) باب قتل أبى جهل.

(٣) هذا عجز بيت للنابغة الذبيانى، وصدره: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم، والقصيدة مطلعها:

كلينى لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب

وهذه القصيدة من أشهر وأجمل القصائد للنابغة الذبيانى الشاعر الجاهلى المعروف.

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٠/ ١٩١) باختصار.

(٥) «النطاقين» مثنى نطاق، وهو إزار تلبسه المرأة تشده على وسطها فى أثناء العمل.

غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة ــ أى: حسان ــ فلقد كان يعرض به رسول الله ﷺ فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه بشىء، فقال حسان يمدح الزبير:

أقام على عهد النبى وهديه
حواريه والقول بالفعل يعدلُ
أقام على منهاجه وطريقه
يوالى ولى الحق والحق أعدلُ
هو الفارس المشهور والبطل الذى
يصول إذا ما كان يوم محجلُ
وإن امرؤ كانت صفية أمه
ومن أسدٍ فى بيتها لمرفلُ(١)
له من رسول الله قربى قريبة
ومن نصرة الإسلام مجد مؤثلُ
فكم كربة ذب الزبير بسيفه
عن المصطفى والله يعطى فيجزلُ
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها
بأبيض سباق إلى الموت يرقلُ(٢)
فما مثله فيهم ولا كان قلبه
وليس يكون الدهر ما دام يذبل

---

(١) **المرفل:** العظيم المبجل.

(٢) يقال: أرقل القوم إلى الحرب إرقالاً: أسرعوا، والإرقال: ضرب من الخبب وهى سرعة السير للإبل، ومنه سمى هاشم بن عتبة بن أبى وقاص بالمرقل لسرعته فى الحرب لأن عليا ﷺ أعطاه الراية فى صفين، فكان يرقل بها، أى: يسرع.

وهاشم بن عتبة هو ابن أخى سعد بن أبى وقاص، يكنى أبا عمر، أسلم يوم الفتح، وكان من الفضلاء الخيار، وكان من الأبطال الشجعان ومن ذوى البأس والنجدة فقئت عينه يوم اليرموك، ثم شهد القادسية وأبلى فيها بلاءً حسنًا ثم افتتح جلولاء ثم شهد مع على الجمل ثم صفين وقطعت رجله يومئذ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك وقاتل حتى قتل بها رحمه الله (منح المدح ص ٣٢٤).

ثناؤك خير من فعال معاشر
وفعلك يا بن الهاشمية أفضل(١)

وهذا الإمام عامر الشعبى يسجل خبرًا يرفل بالبركة ويشع بالنماء للزبير ﷺ فيقول: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: على، وعثمان، وطلحة والزبير فى الجنة(٢).

وقال الإمام سفيان الثورى رحمه الله: هؤلاء الثلاثة نجدة الصحابة: حمزة بن عبد المطلب، وعلى بن أبى طالب، والزبير بن العوام.

بينما نجد عمر بن الخطاب ﷺ يقول عن الزبير: الزبير ركن من أركان الدين(٣).

وعن أسماء بنت أبى بكر زوج الزبير رضى الله عنهم جميعًا قالت: عندى للزبير ساعدان من ديباج كان النبى أعاهما إياه يقاتل فيهما.

وشهد فارس الشجعان على بن أبى طالب ﷺ للزبير بشدة البأس والشجاعة عندما سئل: من أشجع الناس؟ فقال: ذاك الذى يغضب غضب النحر، ويثب وثوب الأسد، وأشار إلى الزبير ﷺ.

ومما يشير إلى شجاعة الزبير ﷺ ما رواه على بن زيد قال: أخبرنى من رأى الزبير بن العوام، وفى صدره أمثال العيون من الطعن والرمى.

ولو رحنا عزيزى القارئ نحصى مناقب الزبير بن العوام ﷺ لضاقت بنا الصفحات، ولكنا اكتفينا بذكر بعض مناقبه التى تَمُتُّ بصلة إلى الفروسية والشجاعة وما شابه ذلك.

---

(١) انظر المستدرك (٣/ ٤٠٨، ٤٠٩) وحلية الأولياء (١/ ٩٠) والبداية والنهاية (٥/ ٣٤٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٦، ٥٧) ومجمع الزوائد (٨/ ١٢٥) والاستيعاب وأسد الغابة ترجمة الزبير.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٢) وعلق الإمام الذهبى رحمه الله على هذا الخبر بقوله: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة من البدريين وهن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر الله تعالى أنه رضى عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قتلوا، ورزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم، باغضون للأربعة الذين قتلوا الأربعة.

(٣) الكامل (٢/ ١٠٥) وناهيك بهذه الشهادات والأوسمة التى نالها الزبير من كبار المسلمين وعظمائهم وهى تدل على أياديه البيضاء وأعماله الجليلة التى سطر بها أروع الصحفات فى سجل الخالدين.

ونختم هذه الفقرة بأن الزبير ﷺ قد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث يسيرة بلغت (٣٨ حديثًا).

حدث عنه بنوه: عبد الله، ومصعب، وعروة، وجعفر، والأحنف بن قيس، وعبد الله بن عامر بن كريز، وغيرهم.

اتفق له البخارى ومسلم على حديثين، وانفرد له البخارى بأربعة أحاديث ومسلم بحديث واحد.

ومن مروياته الحديث المشهور الذى سمعه عن رسول الله ﷺ إذ يقول: «من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[١].

فى جنات عدن عند مليك مقتدر:

أشارت المصادر المتعددة إلى قصة مقتل الزبير غدرًا، فأسهبت وتوسعت، وأوردت روايات كثيرة، مفادها أن الزبير ﷺ قد قتل غدرًا فى سنة ست وثلاثين من الهجرة، وكان ﷺ يوم الجمل قد ترك القتال وانصرف فلحقه جماعة من الغواة منهم: عمرو بن جُرموز التميمى، فقتلوه غدرًا بوادى السباع بناحية البصرة، وقبره هناك وكان عمره حينئذ أربعًا وستين سنة[٢].

هذا، وقد أوصى الزبير ابنه عبد الله[٣]، بوصية فى يوم الجمل، ويروى عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما خبر هذه الوصية فيقول: لما وقف الزبير يوم الجمل

---

(١) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة المشهورة، وانظر تخريجه فى سير أعلام النبلاء (١/ ٤٣) حيث ورد فى الصحيح والسنن.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ١١٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٩٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ٦٤) وغيرها.

(٣) كان للزبير بن العوام ﷺ بضعة أولاد نجباء كرام أعلام، وقد سماهم بأسماء الصحابة الكرام، فقد روى ابنه عروة عنه قال: قال الزبير بن العوام: إن طلحة بن عبيد الله التميمى، يسمى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أن لا نبى بعد محمد، وإنى أسمى بنىَّ أسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا: فسمى عبد الله: بعبد الله بن جحش ﷺ.
والمنذر: بالمنذر بن عمرو ﷺ.
وعروة: بعروة بن مسعود ﷺ.
وحمزة: بحمزة بن عبد المطلب ﷺ.
وجعفرًا: بجعفر بن أبى طالب ﷺ.
ومصعبًا: بمصعب بن عمير ﷺ.

دعانى، فقمت إلى جنبه، فقال: يا بنى، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنى لأرانى سأقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همى لدينى، أفترى ديننا يبقى من مالنا شيئًا؟! وجعل يوصينى بدينه، ويقول: يا بنى! إن عجزت عن شىء منه، فاستعن بمولاى، قال عبد الله بن الزبير: فوالله ما دريت ما عنى حتى قلت: يا أبة! من مولاك؟! قال: الله عز وجل.

قال عبد الله: فوالله! ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه، فيقضيه[١].

ولما وصل خبر مقتل الزبير إلى زوجه عاتكة بنت زيد قالت ترثيه:

غدر ابن جرموز بفارس بُهمةٍ
يوم اللقاء وكان غير معرد[٢]

يا عمرو لو نبهته لوجدته
لا طائشًا رعش الجنان ولا اليد[٣]

شلت يمينك إن قتلت لمسلمًا
حلت عليك عقوبة المعتمد[٤]

ثكلتك أمك هل ظفرت بمثله
فيمن مضى فيما تزوج وتغتدى؟

وعبيدة: بعبيدة بن الحارث ﷺ.

وخالدًا: بخالد بن سعيد ﷺ.

وعمرًا: بعمرو بن سعيد بن العاص ﷺ قتل يوم اليرموك، طبقات ابن سعد (٣/١٠١).

(١) عن طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٨) بشىء من الاختصار اليسير.

وهذا دليل صدق التوكل على الله عز وجل، وشدة اليقين بأن الصبر مفتاح الفرج، وأن مع العسر يسرًا، وأن الله تعالى مع الذين آمنوا، والذين هم متقون.

(٢) البُهمة: الشجاع، وقيل: هو الفارس الذى لا يدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه.

(اللقاء) الحرب، لأنه تتلاقى فيها الأبطال.

«المعرد» اسم فاعل من عرد تعريدًا، إذا فر وهرب.

(٣) «طائشًا» من طاش يطيش: إذا خف عقله من دهشة وخوف.

«رعش» أخذته الرعدة.

(٤) «عقوبة المتعمد» أن يُقتل قصاصًا.

كم عمرة قد خاضها لم يثنه
عنها طرادك يا بن فقع القردد[١]

هذا وقد رثاه جرير بن الخطفى:

إن الرزية من تضمن قبره
وادى السباع لكل جنب مصرع
لما أتى خبر الزبير تواضعت
سور المدينة والجبال الخشع
وبكى الزبير بناته فى مأتم
ماذا يرد بكاء من لا يسمع

وتروى المصادر أن الزبير ﷺ لما انصرف يوم الجمل جعل يقول:

ولقد علمت لو أن علمى نافعى
أن الحياة من الممات قريب

ثم لم ينشب أن قتله ابن جرموز، وأخذ ابن جرموز هذا رأس الزبير وسيفه، وأتى بهما عليًا، فأخذه على وقال: سيف الله طالما جلى به عن وجه رسول الله ﷺ الكرب، ولكن الحين ومصارع السوء.

دفن الزبير ﷺ بوادى السباع، وجلس على يبكى عليه هو وأصحابه بعد أن قال: بشر قاتل ابن صفية بالنار[٢].

وراح الزبير ﷺ إلى جنات عدن، ليكون من الذين سبقت لهم الحسنى من الله عز وجل.

وسنختم حديثنا عن الزبير ﷺ بهذا الخبر المعطار: عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: كنا مع على بن أبى طالب فى مسجد الكوفة ــ وكان مضجعًا ــ فخضنا فى ذكر عثمان وطلحة والزبير، فقال: فيم خضتم؟.

---

(١) (الفقع) نوع أبيض من ردىء الكمأة.

(٢) انظر: مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥) والأوائل للعسكرى (ص ١٤٦) وهذه البشارة فى منتهى التقريع والتبكيت.

فقلنا: خضنا فى عثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم وحسبنا أنك نائم.

فقال على ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠١)فأنا وعثمان وطلحة والزبير.

ثم قال: وأنا من شيعة عثمان وطلحة والزبير.

ثم قال: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ (الحجر: ٤٧)

قال: ذلك عثمان وطلحة والزبير، وأنا من شيعة عثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم أجمعين [١].

وبعد، كنت أو أن يكون الحديث طويلاً عن الزبير، لا سيما وأن الحياة مع الأبرار هى الحياة الحقيقية، لأننا ننتقل إلى رحابهم الطاهرة، ونسمو فوق دنايا الدنيا الفانية.

رضى الله عن الزبير بن العوام وجعلنا فى زمرته ممن يدخلون الجنة بسلام، فقد كان بحق فارس رسول الله ﷺ، وحواريه، والشجاع الكمى، والقائد ذا الرأى السديد، والعقل الراجح والشدة على الأعداء، فرضى الله تعالى عنه وأرضاه.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥، ٢٦) بتصرف يسير جدًا.

عبد الرحمن بن عوف ﷺ
أحد العشرة المبشرين بالجنة

اسمه ونسبه:

هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى، أبو محمد، أحد العشرة، وأحد الستة أهل الشورى (وهم: الزبير ابن العوام وعمرو عثمان وعلى، طلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم أجمعين).

وهو أحد السابقين البدريين، القرشى الزهرى، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام، وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وقيل: عبد الكعبة، فسماه النبى ﷺ عبد الرحمن.

عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر رسول الله ﷺ آخى بينه وبين عثمان كان هذا، فقال: إن لى حائطين فاختر أيهما شئت، قال: بل دلنى على السوق إلى أن قال: فكثر ماله حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البُر والدقيق والطعام، فلما دخلت سُمع لأهل المدينة رجة، فبلغ عائشة فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عبد الرحمن لا يدخل الجنة إلا حبوًا»».

فلما بلغه قال: «يا أمه إنى أشهدك أنها بأحمالها وأحلاسها فى سبيل الله»[1].

ومن مناقبه:

أن النبى ﷺ شهد له بالجنة وأنه من أهل بدر الذين قيل لهم ﴿ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ (فصلت ٤٠) ومن أهل بيعة الرضوان الذين قال الله فيهم: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ (الفتح: ١٨) وقد صلى رسول الله ﷺ وراءه[2].

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (٢٤٨٩٦) والطبرانى فى الكبير (٢٦٤) وفى سنده عمارة بن زاذان: ضعيف.

(٢) السير (٣/ ٤٩).

جوده وبره وإحسانه:

عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ ﴾ (التوبة: ٧٩) قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله أربعة آلاف دينار، فقال أناس من المنافقين: إن عبد الرحمن لعظيم[١].

وعن الزهرى قال: تصدق ابن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألف دينار وحمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ثم حمل على خمسمائة راحلة فى سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة[٢].

وعن شقيق قال: دخل عبد الرحمن على أم سلمة فقال: يا أم المؤمنين إنى أخشى أن أكون قد هلكت، إنى من أكثر قريش مالاً، بعت رضالى بأربعين ألف دينار، قالت: يا بنى أنفق فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أصحابى من لم يرنى بعد أن أفارق» فأتيت عمر فأخبرته، فأتاها، فقال: بالله أنا منهم حقًّا؟ قال: اللهم لا، ولن أبرئ أحدًا بعدك[٣].

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «خياركم خياركم لنسائى» فأوصى لهم عبد الرحمن بحديقة قومت بأربعمائة ألف[٤].

وقالت أم بكر بنت المسور: إن عبد الرحمن باع أرضًا له من عثمان بأربعين ألف دينار فقسمه فى فقراء بنى زهرة وفى المهاجرين وأمهات المؤمنين[٥].

قال المسور: فأتيت عائشة بنصيبها فقالت: من أرسل بهذا؟ قلت: عبد الرحمن بن عوف، قالت: أما أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحنو عليكم بعدى إلا الصابرون» سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة[٦].

---

(١) السير (٣/ ٥٠).

(٢) السير (٣/٥١) وفى سنده انقطاع بين الزهرى وعبد الرحمن.

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٦٧٥٦).

(٤) صحيح: رواه الحاكم (٣/ ٥٣٥٩) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٥) السير (٣/ ٥٤١٥٣).

(٦) ضعيف رواه الحاكم (٣/ ٥٣٥٦) وصححه وتعقبه الذهبى بقوله: ليس بمتصل وقد روى من غير وجهه بمعناه.

وعن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف، ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضى دينهم، ويصل ثلثًا [١].

وعن الزهرى: أن عبد الرحمن أوصى بألف فرس فى سبيل الله [٢].

لما هاجر عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة كان فقيرًا لا شيء له فآخى رسول الله بينه وبين سعد بن الربيع أحد النقباء، فعرض عليه أن يشاطره نعمه وأن يطلق له أحسن زوجتيه فقال له: يا رب الله لك فى أهلك ومالك ولكن دلنى على السوق، فذهب فباع واشترى وربح ثم لم ينشب أن صار معه دراهم فتزوج امرأة على زنة نواة من ذهب.

فقال له النبى ﷺ وقد رأى عليه أثرًا من صُفرة: «أولم ولو بشاة» ثم آل أمره فى التجارة إلى ما آل [٣].

قال أبو عمر بن عبد البر: كان مجدودًا فى التجارة، خلف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحًا [٤].

والجرف: موضع على ثلاثة أميال فى المدينة نحو الشام.

وعن جعفر بن برقان: بلغنى أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت [٥].

رقته وبكاؤه وتواضعه:

عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائمًا فقال: (قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة، إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدا رأسه) وأراه قال: (وقتل حمزة وهو خير منى: يعنى فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا

---

(١)مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (٤/ ٣٥٩) والسير (٣/ ٥٥).

(٢)السير (٣/ ٥٦).

(٣)رواه البخارى (٢٠٤٨) وانظر السير (٣/ ٥٧).

(٤)السير (٣/ ٥٨).

(٥)السير (٣/ ٥٨) وصفة الصفوة (١/ ١٤٤).

وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام) رواه البخارى.

وعن نوفل بن إياس الهذلى قال: كان عبد الرحمن جليسًا وكان نعم الجليس وإنه انقلب بنا يومًا حتى دخلنا بيته، ودخل فاغتسل ثم خرج فجلس معنا وأتينا بصحفة فيها خبر ولحم، فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف، فقلنا له: يا أبا محمد ما يبكيك؟ فقال: هلك رسول الله ﷺ ولم يتشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أرانا أخرنا لها لما هو خير لنا(١).

وعن سعد بن حسين: كان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده(٢).

وفاته: توفى عبد الرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ما بين اثنتين وسبعين ويقال: خمس وسبعين(٣).

رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) صفة الصفوة (١/ ١٤٤).

(٢، ٣) صفة الصفوة (١/ ١٤٤).

سعد بن أبى وقاص ﷺ

أول من رمى بسهم فى سبيل الله، ودعا له النبى ﷺ فقال: «اللهم استجب لسعد» وقال له: «ارم فداك أبى وأمى».

ثلث الإسلام:

هل أتاك حديث هذا الفارس الأمير؟ وهل أتاك حديث هذا الفتى الذى نشأ فى المدرسة المحمدية، شابًا يافعًا، وبطلاً مغوارًا، فكان من النابهين فيها، فقرن مع العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى؟!.

هذا الفارس النبيل يقول عن نفسه فيما رواه البخارى بسنده عنه: لقد رأيتنى وأنا ثلث الإسلام[١].

وفى رواية أخرى: ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام[٢].

هذا البطل المقدام كان يقال له: فارس الإسلام[٣].

وفى مضمار الأوائل يلمع اسمه ليسجل بأحرف وضيئة: بأنه أول من رمى بسهم فى سبيل الله[٤]، وأول من أراق دمًا فى سبيل الله تعالى[٥].

أما عن إسلامه فيفسره قوله بأنه ثلث الإسلام، أى: من السابقين الأولين، الذين فتح الله على بصائرهم فغشاها نور الحق فاستضاءت قلوبهم بنور الإيمان، فكانوا من المسارعين إلى دوحة الإيمان الباسقة، التى لا يطالها إلا مؤمن تقى.

---

(١) فتح البارى (٧/ ١٠٤) حديث رقم (٢٧٢٦).

(٢) فتح البارى (٧/ ١٠٤) حديث رقم (٣٧٢٧).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبى (عهد معاوية ﷺ ص ٢١٣، ٢١٤).

(٤) يؤيد هذا القول ما ورد فى الصحيح عن فارسنا قوله: «إنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله» صحيح البخارى رقم (٣٧٢٨) وكان ذلك فى سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب، وكان القتال فيه أول حرب وقعت بين المشركين والمسلمين وهى أول سرية بعثها رسول الله ﷺ فى السنة الأولى من الهجرة، وانظر كذلك (الأوائل للعسكرى ص ١٤٧).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٣) والأوائل (ص ١٤٧) وقيل: إن طليب بن عمير هو أول من أراق دمًا فى سبيل الله.

أسلم وهو فى ربيعه السابع عشر، وكان الحارس لرسول الله ﷺ فى مغازيه وعنه قال رسول الله ﷺ: «هذا خالى، فليرنى امرؤ خاله»[١].

نعم هو من أخوال رسول الله ﷺ، لأنه من بنى زهرة، ولأن أم رسول الله ﷺ زهرية وهى آمنة بنت بن عبد مناف، فلذلك قال رسول الله ﷺ عنه: «هذا خالى» فهل عرفتم هذا الخال الكريم، الفارس المقدام؟!.

هو سعد بن أبى وقاص، واسم أبى وقاص: مالك بن أهيب، أبو إسحاق القرشى الزهرى المكى المدنى[٢] فارس النبى ﷺ، وعلم المجاهدين وأحد الفرسان الذين حققوا أروع الأعمال فى ميادين القتال والجهاد، بكل إخلاص وتفانٍ، وطواعية.

إذًا، فلنسعد سويًا مع أحد السعود أولى النجدة والبأس من فرسان الرسول الله ﷺ ولنصحبه فى وقفات مضيئة من رحلة حياته البطولية.

سعد وأمه الإسلام:

فى سيرة سعد ﷺ مواقف مرضية، تشير إلى التوفيق الذى اختصه الله تعالى به، وتشير إلى المكارم التى جمعت فى شخصيته، وجعلت منه رجلاً نادرًا صنع على عين رسول الله ﷺ، وظل أميرًا فى المكارم إلى آخر نفس من حياته المعطاء بألوان الخير والإيجابية.

وصفه جرير بن عبد الله فأجاد، وأصاب فأحسن، فقال أمام عمر بن الخطاب يصف ولاية سعد: سعد أكرم الناس مقدرة، وأقلهم فترة، وهو لهم كالأم البرة، ميمون الطائر، مرزوق الظفر، أشد الناس عند البأس، وأحب قريش إلى الناس[٣].

---

(١) أخرجه الترمذى فى المناقب برقم (٣٧٥٣).

(٢) مسند أحمد (١/ ١٦٨، ١٨٧) وطبقات ابن سعد (٣/ ١٣٧ - ١٤٩) وفضائل الصحابة للإمام أحمد (٢/ ٧٤٨) ومسند أبى يعلى (٢/ ٤٩ - ١٤٥) وحلية الأولياء (١/ ٩٢ - ٩٥) وتاريخ بغداد (١/ ١٤٤ - ١٤٦) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٠ - ٢٧٢) وجامع الأصول (٩/ ١٠ - ١٨) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٣، ٢١٤) وتاريخ الإسلام للذهبى (عهد معاوية ص ٢١٢ - ٢٢١) ونكت الهميان (ص١٥٥، ١٥٦) ومجمع الزوائد (٩/ ١٥٣ - ١٦٠) والعقد الثمين (٤/ ٥٣٧ - ٥٤٧) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٨٣، ٤٨٤) وغيرها كثير جدًا.

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٦٦) باختصار يسير.

وعن يمن سعد، يروى سعد نفسه قصة إسلامه فيقول: رأيت فى المنام، قبل أن أسلم بثلاث، كأنى فى ظلمة لا أبصر شيئًا، إذ أضاء لى قمر فاتبعته، كأنى أنظر إلى من سبقنى إلى ذلك القمر، فأنظر إلى زيد بن حارثة، وإلى على بن أبى طالب، وإلى أبى بكر رضى الله عنهم وكأنى أسألهم متى انتهيتم إلى هاهنا؟! قالوا: الساعة.

وبلغنى أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام مستخفيًا فلقيته فى شعب أجياد، وقد صلى العصر، فقلت: إلام تدعو؟! قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله»(١).

قلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله، فما تقدمنى أحد إلا هم.

ومضى سعد سعيدًا بإسلامه، رغيدًا بإيمانه، وعلمت أمه حمنة بنت سفيان بن أمية ابن عبد مناف بإسلامه فأخذها ما قرب وبعد، وغضبت غضبًا شديدًا، وحلفت بأغلظ الأيمان أنها لن تأكل أو تشرب أو تستظل بظل حتى يرجع سعد عن إيمانه بمحمد ﷺ ولكن الفارس الصنديد سعد، لا تجتذبه العواطف هنا، ولن يستجيب لهمس لواطف العواطف، أبدًا، فالإيمان بالله عز وجل أقوى من عواطف العواطف، ما دام ذلك فى مرضاة الله سبحانه وتعالى(٢).

روى فارسنا سعد ﷺ خبر إسلامه وغضب أمه، فقال: كنت رجلاً برًّا بأمى، فلما أسلمت، قالت: يا سعد! ما هذا الدين الذى قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا، أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعير بى فيقال: يا قاتل أمه، قلت: لا تفعلى يا أمه! إنى لا أدع دينى هذا لشىء.

فمكثت يومًا وليلة لا تأكل، ولا تشرب، وأصبحت وقد جهدت ومكثت يومًا آخر وليلة لا تأكل، فأصبحت وقد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه! تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركت دينى لهذا الشىء، إن شئت فكلى، وإن شئت فلا تأكلى، فلما رأت ذلك أكلت، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ

---

(١) المصدر السابق (٩/ ٢٥٦) وهذا البكور فى الإسلام دليل على تفتح عقلية سعد، ورجاحة فكره وعدم تيقنه بصحة عبادة الأصنام، ومخلفات الجاهلية.

(٢) إنه للابتلاء فى الدين الذى مر بالمؤمنين، من فرسان صحابة رسول الله ﷺ وهذا صنف من الناس فتن وابتلى من قبل آبائهم وأمهاتهم وأقربائهم، يستخدمون معهم سلاح العاطفة وسهام المودة، ورماح الرحم والقرابة، ولكن كل حق ساقط ــ وإن عظم ــ إذا عارض حق الله عز وجل، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق عز وجل.

حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٨)[1].

وكما تلاحظ فإن موقف سعد ﷺ يشير إلى تمام فروسيته وكمال إيمانه، وصدق عزيمته ووفائه لدينه ولرسوله[2] فلم تلن قناته أمام العواطف ولم تهتز شخصيته أمام القرابة، وإنما وضع أمام عينيه مرضاة الله عز وجل، ومرضاة رسوله ﷺ.

---

(١) انظر: مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٦١) وللحديث أصل فى كتب الحديث فقد أخرجه الإمام أحمد فى المسند (١٨١/١، ١٨٢) ومسلم فى الجهاد برقم (١٧٤٨) وكذلك فى الفضائل، باب: فضائل سعد بن أبى وقاص، والترمذى برقم (٣١٨٨) وكذلك برقم (٣٠٨٠) وأبو داود فى الجهاد برقم (٣٧٤٠) وانظر: البداية والنهاية (٧/ ٧٤، ٧٥) وتفسير البغوى بهامش الخازن (٥/ ١٨٨).

ويؤخذ من قوله تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ ﴾ عدم جواز متابعة الأبوين فى الكفر، وذلك لأن الإحسان إلى الوالدين وجب بأمر الله عز وجل فلو ترك العبد عبادة الله بقول الوالدين لترك طاعة الله عز وجل، ولهذا فإن نفس سعد بن أبى وقاص ﷺ عزيزة، ودين الله عز وجل عزيز عليه، فلا يمكن له أن يفرط فى دينه من أدنى كلمة تقال له من أمه حمنة، لأن سعدًا مستقيم على الطريق المستقيم والدين الحنيف، ولن ينحرف عنه لأى سبب كان.

ولقد أصاب الإمام القرطبى رحمه الله فى تفسيره حيث تحدث عما ينبغى فى الطاعة وعما لا ينبغى، فقال ما مفاده: طاعة الأبوين لا تراعى فى ركوب كبيرة، ولا صغيرة من المعاصى، ولا فى ترك فريضة على الأعيان كما أنه فى مقابل ذلك تلزم طاعتهما فى الأمور المباحة شرعًا، ويستحسن طاعتهما فى ترك الطاعات المندوب إليها، ومنها مثلاً: أمر الجهاد والكفاية (تفسير القرطبى ١٤/ ٦٤) وبهذه الآية من سورة العنكبوت ثبت سعد بن أبى وقاص وغيره من المؤمنين وانتصر الإيمان، وبقى الإحسان إلى الوالدين، وبقى عمل سعد وثباته يلوح فى سماء النجاة والأمان ويلوذ ببيان الله عز وجل وبلاغه للناس كافة، إن موقف سعد ﷺ مع أمه ينفحنا بنموذج مثالى للمؤمن الفارس الصادق، الذى لا يساوم على دينه بعاطفة، ولا يهتز أمام عواصف العواطف، فلم تؤثر فيه ــ على دينه وثباته ويقينه ــ عاطفة الأمومة، ولم يضعف أمامها، وأعتقد أن عاطفة الأمومة أمر شاق وعسير، يصعب على كثيرين أن يقفوا أمامه، ويثبتوا إزاءه، ولكن إيمان سعد، عصف بكل العواطف، ولم يقف أمامه شىء وذلك فى سبيل الله ومرضاته ورضوانه، فتجح فى صبره، وكان قدوة فى فروسية الرأى والثبات على جادة أنوار اليقين.

(٢) من الجدير بالذكر أن رسول الله ﷺ أمر سعدًا أن يترضى، وأن يتلطف بأمه، ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان حذره ألا يطيعها فى شركها وكفرها بالله عز وجل، إذ أن هذا أمر بمعصية الله عز وجل، وأى معصية أعظم من الكفر بالله التى يخلد صاحبها فى النار؟!.

هذا الرجل الصحابى الكريم الذى وقف أمام رغبة أمه، وصفته ابنته عائشة بنت سعد، وحددت معالم شخصيته بقولها: كان أبى رجلاً قصيرًا، دحداحًا (١) غليظًا ذا هامة شثن الأصابع (٢) أشعر يخضب بالسواد (٣).

أضواء على فروسية سعد المتألقة:

نشأ سعد ﷺ نشأة الفرسان المتمرسين بفنون القتال فقد كان يمارس صنعة النبل، فغدا من أمهر الرماة وأشهرهم فى عصر الرسالة المحمدية، ومنذ أن أضاء الإيمان جوانب نفسه غدا من فرسان الرسول ﷺ ومن الذين ينافحون عن الإسلام مهما تكن الظروف قاسية، وقد شج رجلاً من المشركين فى أول الدعوة، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ بمكة يستخفون بصلاتهم، فبينما سعد بن أبى وقاص فى شعب من شعاب مكة فى نفر من الصحابة إذ ظهر عليهم المشركون، فنافروهم، وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحى جمل فشجه فكان أول دم أريق فى الإسلام (٤).

وتابع سعد ﷺ مسيرة الكفاح، فهاجر إلى المددينة المنورة، وهنالك أخذ مكانته، وبدأت رحلة فروسية مع فرسان المدرسة النبوية وشارك فى عدد من السرايا (٥) قبل غزاة بدر، فكان فى سرية عبيدة بن الحارث حين بعثه رسول الله ﷺ إلى مكان يدعى رابغ، ويومها حمى سعد المسلمين بسهامه فكان هذا أول قتال فى الإسلام، وكان سعد أول من رمى بسهم فى سبيل الله عز وجل وأنشد فى ذلك:

---

(١) دحداحًا: أى قصيرًا غليظ البطن.

(٢) شثن الأصابع: يميلان إلى الغلظ والقصر ويحمد ذلك فى الرجال أنهم أشد لقبضهم.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٧) والحاكم فى المستدرك (٣/ ٤٩٦) وتعقبه الذهبى بقوله: سنده واه، فيه رشدين، قال ابن حجر: من العلماء من رخص فى الخضب بالسواد فى الجهاد، ومنهم من رخص فيه مطلقًا وأن الأولى كراهته وجنح النووى إلى أنه كراهة تحريم، وقد رخص فيه طائفة من السلف واختاره ابن أبى عاصم فى كتاب «الخضاب» له انظر فتح البارى (١٠/ ٣٥٤).

(٤) الإصابة (٢/ ٣١).

«اللحى»: عظيم الحنك.

(٥) كان سعد فى إحداهما على رأس سرية عدتها عشرون من المهاجرين وذلك فى آخر شوال من السنة الأولى للهجرة، كما خرج مع رسول الله ﷺ فى غزوة بواط فى ربيع الأول من السنة للهجرة، وكان يحمل اللواء.

ألا هل أتى رسول الله أنى
حميت صحابتى بصدور نبلى
أذود بها عدوهم ذيادًا
بكل حزونة وبكل سهل
فما يعتد رام من معدٍ
بسهم مع رسول الله قبلى(١)

وشارك سعد أيضًا فى سرية نخلة، حيث كان أفرادها تحت قيادة الصحابى عبد الله ابن جحش ﷺ.

سعد وشجاعته المتألقة يوم بدر:

شهد سعد غزاة بدر وأبلى يومها بلاءً حسنًا فكان يرمى بين يدى رسول الله ﷺ فيضع السهم فى كبد القوس، ثم يقول: اللهم زلزل أقدامهم وارعب قلوبهم وافعل بهم، وافعل فيقول النبى ﷺ: «اللهم استجب لسعد» (٢).

وفى يوم بدر، حارب سعد بسيفه وخاض غمار الحرب وكان يقاتل يومها قتال الفارس فى الرجال (٣) وجاء يومها يقود أسيرين.

وذكر عبد الله بن مسعود ﷺ قال: اشتركت أنا وسعد وعمار يوم بدر فيما أصبنا من الغنيمة، فجاء سعد بأسيرين، ولم أجئ أنا وعمار بشىء (٤).

---

(١) عن سير أعلام النبلاء (١/ ١٠١) وطبقات ابن سعد (٣/ ١٤٢) مع الجمع والتصرف، وقال سعد: أنا أول من رمى فى الإسلام بسهم، خرجنا مع عبيدة بن الحارث ستين راكبًا سرية (مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٥٦).

(٢) انظر: مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٦٢) بتصرف يسير، وقد ورد فى استجابة دعاء سعد ما ورد عنه أنه قال: يا رسول الله ادع الله أن يستجيب دعائى، قال: «يا سعد! إن الله لا يستجيب دعاء عبد حتى تطيب طعمته».

قال: يا رسول الله ادع الله أن يطيب طعمتى! فإنى لا أقوى إلا بدعائك فقال: «اللهم أطب طعمة سعد» فإن كان سعد ليرى السنبلة من القمح فى حشيش دوابه، حين أتى به عليه فيقول لهم: ردوها من حيث حصدتموها (مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٢).

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٩) وتاريخ الإسلام للذهبى (عهد معاوية ص ٢١٦).

(٤) للحديث أصل فى السنن، فقد أخرجه أبو داود فى البيوع برقم (٣٣٨٨) باب: فى الشركة على غير رأس مال، والنسائى (٧/ ٥٧) باب: شركة الأبدان (٧/ ٣١٩) باب: الشركة بغير مال.-

ومن الجدير بالذكر ما ورد عن ابن الحنفية أن النبى ﷺ نفل يوم بدر سعد بن أبى وقاص سيف العاص بن سعيد[١].

ويوم بدر أبدع سعد فى دقة الرمى، فلقه كان يرمى كثيرًا من كبراء القوم فيصيبهم، ولكن ما الحكم فى ذلك؟!.

روى سعد ﷺ قال: رميت يوم بدر سهيل بن عمرو ــ أسلم فيما بعد ــ فانقطع نساه ــ عرق الفخذ ــ ثم اتبعب أثر الدم حتى وجدته فى يد مالك بن الدخشم وقد حز ناصيته، فاختصمنا فيه إلى رسول الله ﷺ فأخذه رسول الله ﷺ منا[٢].

أما عمير بن أبى وقاص أخو سعد، فقد ضرب مثلاً شرودًا فى عالم البسالة والفروسية على الرغم من أنه كان طرى العود، لم يبلغ مبلغ الفرسان الأشداء بعد، وقد روى سعد ﷺ شجاعة أخيه عمير يوم بدر، واستشهاده فقال: رأيت أخى عمير بن أبى وقاص يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخى؟ فقال: أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ فيستصغرنى فيردنى، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة.

فعرض عمير على رسول الله ﷺ فاستصغره، فقال «ارجع» فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ.

قال سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ود[٣].

فارس الإسلام يوم أحد:

شهد سعد بن أبى وقاص ﷺ غزوة بدر، كما شهد غزاة أحد، وثبت يومها مع رسول الله ﷺ حين ولى الناس، ثم شهد كذلك غزاة الخندق والحديبية وبايع تحت

= وابن ماجه فى التجارات برقم (٢٢٨٨) باب: الشركة والمضاربة.

وذكر الإمام محمد بن الحسن الشيبانى أن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال: يا رسول الله! أرأيت الرجل يكون حامية القوم، ويدفع عن أصحابه أيكون نصيبه مثل نصيب غيره؟!.

فقال: «ثكلتك أمك يا بن سعد! وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!!!» (السير الكبير ٣/ ١٠١٢).

(١) انظر السير الكبير (٢/ ٦١٢).

(٢) السير الكبير (٣/ ١٠٣٢، ١٠٣٣) وإنما أخذه رسول الله ﷺ منهما لأن الغنائم (بدر) كانت مخالفة لسائر الغنائم من حيث إن الأمر فيها لرسول الله ﷺ يعطى من يشاء ويمنع من يشاء.

(٣) طبقات ابن سعد (٣٣/ ١٤٩، ١٥٠) وسير أعلام النبلاء (١/ ٩٧) مع الجمع والتصرف.

الشجرة، فرضى الله عنه، وعن المؤمنين الذين بايعوا تحت الشجرة، وأثابهم، وأكرمهم، كما شهد غزوة خيبر وحضر فتح مكة، وكانت معه يومها إحدى رايات المهاجرين الثلاث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من الرماة المذكورين الذين يضرب المثل بهم فى قوة الرمى، وتسديد الهدف، ودقة الرماية[١] وكان يقال له: فارس الإسلام[٢].

وفى غزوة أحد أبدع سعد أيما إبداع، وترك بصمات كريمة فى تلك الغزوة التى ميز الله فيها الخبيث من الطيب وكانت له مواقف أخرى أرهق بها المشركين، وأحرقهم بسهامه الصائبة فأصاب منهم مقتلاً.

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن سعد ﷺ قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «ارم فداك أبى وأمى» فنزعت بسهم ليس فيه نصل، فأصبت وجهه فوقع وانكشفت عورته فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[٣] وكذلك كانت ابنته عائشة بنت سعد تقول مفتخرة: أنا ابنة المهاجر الذى فداه رسول الله ﷺ يوم أحد بالأبوين.

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: كان سعد بن أبى وقاص جيد الرمى، وعن أبى إسحاق قال: كان أشد الصحابة أربعة: عمر، وعلى، والزبير، وسعد[٤].

وروى سعد أن ملكًا كريمًا قد ساعده يوم أحد، فقال: لقد رأيتنى أرمى بالسهم يوم أحد، فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه، حتى كان بعد، فظننت أنه ملك.

ورأى كذلك ملكين قرب رسول الله ﷺ فيما رواه البهخارى عند بسنده قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد[٥].

---

(١) ورد عن عمر ﷺ أنه قال: علموا أولادكم السباحة والفروسية ومروهم بالاحتفاء ـ المشى حافيًا ـ بين الأغراض.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ١٤٢) وتاريخ الإسلام (عهد معاوية ص ٢١٤) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٤، ٢٥٥) مع الجمع والتصرف بينهما.

(٣) أخرجه مسلم فى الفضائل برقم (١٤١٢) باب: مناقب سعد، وانظر: الاستيعاب (٢/ ١٩) والإصابة (٢/ ٣١) وفى رواية أن رسول الله ﷺ قال لسعد: «ارم وأنت الغلام الحزور» (البداية والنهاية ٧/ ٧٣).

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٩) وتاريخ الإسلام للذهبى (عهد معاوية ص ٢١٩).

(٥) أخرجه البخارى فى المغازى برقم (٤٠٥٤) وفى اللباس برقم (٥٨٢٦) وأخرجه مسلم فى الفضائل برقم (٢٣٠٦) باب: قتال جبريل وميكائيل عن النبى ﷺ يوم أحد، وأخرجه الإمام أحمد (١/ ١٧١، ١٧٧) وانظر مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٩) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٠٧) والبداية والنهاية (٧/ ٧٣).

وذكر محمد بن شهاب الزهرى رحمه الله دور سعد فى غزوة أحد مع ثلة من فرسان المسلمين وأبطالهم فقال: خفى خبر رسول الله ﷺ يوم أحد على الناس كلهم إلا على ستة نفر: الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص، وكعب بن مالك الأنصارى، وأبى دجانة الأنصارى، وسهل بن حنيف الأنصارى[(١)].

ويوم أحد حظى سعد بدعوة مستجابة من رسول الله ﷺ فقال: «اللهم سدد رميته، وأجب دعوته»[(٢)].

وعن أبى بكر الصديق ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لسعد «اللهم سدد سهمه وأجب دعوته وحببه إلى عبادك»[(٣)].

فى سائر المغازى:

شهدت ساحات الجهاد لسعد بن أبى وقاص بالمقام الكريم، وحدثت الأجيال عن فروسيته فوق جنباتها، وروت للبشرية شهوده غزاة الخندق، وكيف أبلى بلاء حسنًا يوم إذ، ثم حكت عن شهوده لغزاة بنى قريظة، وتابعت الحديث عن شهوده بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكيف دك حصون خيبر مع فرسان المسلمين، الذين تخرجوا فى مدرسة النبوة، وها هو يسير بمعية رسول الله ﷺ وصحبه كى يدخلوا المسجد الحرام وهم آمنون.

ويوم حنين، وما أدراك ما يوم حنين، كان من المائة الصابرة الذين تكفل الله لهم بأرزاقهم، وأرزاق عيالهم فى الجنة، وظل جنديًا أمينًا، وفارسًا من فرسان الرسول ﷺ إلى آخر حياته.

تلك ملامح رئيسة فى مسيرة الفارس سعد، وهو يحمل راية الجهاد بتفان لا يُحد وإخلاص لا يوصف.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٩) والمستدرك للحاكم (٣/ ٥٠٠).

(٢) انظر: الاستيعاب (٢/ ١٨) والبداية والنهاية (٧/ ٧٦).

(٣) انظر المصادر السابقة.

أسد الفتوحات الإسلامية:

كان سعد بن أبى وقاص ﷺ أهلاً للإمامة والإمارة فقد كان كبير الشأن، كريم الصفات، جرىء اللسان، قوى السنان، نشأ فى مدرسة النبوة فنبغ فيها بتفوق، وكان من الأوائل فى مضمار الفضائل، وفى مجال الفروسية الحقة.

قال ابن كثير رحمه الله: كان سعد فارسًا شجاعًا من أمراء الرسول ﷺ وكان أيام الصديق معظمًا، جليل المقدار، وكذلك أيام عمر[١].

ولقد كان لسعد ﷺ أضوأ الآثار وأجملها فى مضمار الفتوحات الإسلامية، ففى عهد أبى بكر الصديق ﷺ شهد مع أسامة بن زيد غزوته إلى أرض البلقاء والشام[٢].

وفى عهد عمر، كادت شوكة الفرس أن تنمو، فعزم عمر أن يغزوهم بنفسه، فخرج إلى ظاهر المدينة المنورة، ثم عقد مجلسًا لاستشارة الصحابة الكرام فيما عقد عليه العزم، ثم استشارهم، فكلهم وافقوه على الذهاب إلى العراق للقاء الفرس، إلا عبد الرحمن بن عوف ـ عليه سحابات الرضوان، وديم المغفرة ـ فإنه قال له بكلام يشير إلى أفقه الواسع: يا أمير المؤمنين! إنى أخشى إن كسرت أن يضعف المسلمون فى سائر أقطار الأرض، وإنى أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة المنورة، فاستصوب عمر رأى عبد الرحمن وكذلك الصحابة الكرام.

وهنا توجه عمر إلى عبد الرحمن بن عوف وقال له: يا عبد الرحمن من ترى أن تبعث إلى العراق لقتال أعداء الله الفرس؟!.

فقال عبد الرحمن والابتسامة ترتسم على وجهه الصبوح: قد وجدته يا أمير المؤمنين!.

قال عمر فى شىء من الاستغراب: ومن هو يا أبا محمد ـ كنية عبد الرحمن ـ؟.

قال عبد الرحمن فى شىء من نشوة الظفر: يا أمير المؤمنين! هو ذا الأسد فى براثنه، فارس الإسلام، وصاحب الرسول ﷺ، السيد المطاع، والرجل الشجاع، التقى النقى سعد بن مالك الزهرى[٣].

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٧٢).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٥).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣٥) بشىء من التصرف دون الخروج عن جوهر النص.

حقًا إنه الأسد فى براثنه، والفارس المشهور الذى شهدت له الغزوات بالفروسية وشدة البأس، كما شهدت له صهوات الجياد بفنون الجِلادِ، وعرفه الناس مقدامًا مغوارًا فهل يكون أميرًا لعمر؟.

لقد استجاد عمر رأى عبد الرحمن بن عوف وقوله، وأرسل إلى سعد بن أبى وقاص فأمره على العراق، وأوصاه وصيته التاريخية التى ملأت أسماع الدنيا، وعطرت أسماع الفرسان بما تحمله من مكارم متفردة فريدة فى عالم الوصايا والإرشاد، والنصيحة من القائد العام لأحد قواد جيشه.

قال عمر لسعد رضى الله عنهما:

يا سعد لا يغرنك من الله عز وجل أن قيل: خال رسول الله ﷺ وصاحبه، فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ، لكن يمحو السيئ بالحسن، وإن الله عز وجل ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذى رأيت رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه، فإنه الأمر، هذه عظتى إياك، إن تركتها ورغبت عنها، حبط عملك، وكنت من الخاسرين (١).

وبدأت وقعة القادسية، وكانت وقعة عظيمة، لم يكن بالعراق أعجب منها ويومها صلى سعد بالناس، ثم خطب فوعظهم وحثهم وتلا عليهم آيات الجهاد وسوره، ثم كبر سعد أربعًا، وحملوا على الفرس، وكان معهم عدد من الفيلة ودام القتال بضعة أيام، وأباد فرسان الصحابة الفيلة ومن عليها، وقلعوا عيونها، بأسنة رماحهم، وأبلى جماعة من فرسان المسلمين بلاءً حسنًا يسجل لهم فى ذاكرة الزمن، وثنايا صفحات التاريخ وقتل المسلمون رستم قائد الفرس، وقتلوا كذلك جالينوس مقدم طلائع القادسية، وكتب الله النصر للمسلمين، وانهزمت جموع الفرس عن بكرة أبيهم، وغنم المسلمون من وقعة القادسية من الأموال والسلاح ما لا يوصف كثرة (٢).

وكتب النصر للمسلمين بقيادة فارس الإسلام سعد بن أبى وقاص الذى كتب كتابًا مفصلاً إلى أمير المؤمنين عمر يبشره بالنصر، ويخبره بخطوات المعركة، وكيف أنزل

---

(١)البداية والنهاية (٧/ ٣٥، ٣٦).

(٢)البداية والنهاية (٧/ ٤٣، ٤٤) بتصرف واختصار، وكانت وقعة القادسية سنة (١٥ هـ).

الله نصره، وجاء فى كتاب سعد: بسم الله الرحمن الرحيم... أما بعد، فإن الله عز وجل نصرنا على أهل فارس، ومنحناهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل، وزلزال شديد وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها، فلم ينفعهم الله عز وجل بذلك بل سلبوه، ونقله عنهم إلى المسلمين، واتبعهم المسلمون على الأنهار، وصفوف الآجام[1] وفى الفجاج[2] وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ، وفلان وفلان، ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله، فإنه بهم عالم، كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل كدوى النحل، وهم آساد فى النهار، لا تشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم[3] .

وتابع سعد مسيرة الفتوحات المباركة، فكان فتح جلولاء على يديه فى ذى القعدة من سنة (١٦ هـ) وغنم المسلمون غنائم عظيمة، وسميت جلولاء فتح الفتوح، لما نال المسلمون فيها من الخيرات، ولما زعزعت من جموع الفرس والمجوس[4] .

ولفارس الإسلام سعد ﷺ أعمال عظيمة فى مجال الفتوحات الإسلامية، وقد عرضنا نموذجًا منها كيما تتضح صورة فارس الإسلام، وفاتح البلدان وقاهر الفرس، سعد بن أبى وقاص عليه سحائب الرضوان.

ولما طُعن الفاروق عمر ﷺ كان سعد من الستة أصحاب الشورى، وأوصى عمر إن لم يكن سعد هو الخليفة أن يستعين به الخليفة من بعده، فكان كذلك.

---

(١) «الآجام» جمع أجمة، وهى الشجر الكثيف الملتف.

(٢) «الفجاج» جمع فج، وهو الطريق الواسع بين الجبلين، أو فى الجبل.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٤٦).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ١١٨).

وبعد عشرات السنين كان فتح عمورية فى عهد الخليفة العباسى المعتصم بالله محمد بن هارون، وسماه أبو تمام: فتح الفتوح، وذلك فى قوله:

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به
نظم من الشعر أو نثر من الخطب

فتأمل يا رعاك الله!

من بحار أنوار مكارم سعد:

لو رحنا نستقصى مكارم وفضائل سعد بن أبى وقاص لغمرتنا مكارمه، ولما وسعت لذلك مئات الصفحات ولكنى آثرت أن أبرز شذرات من فضائله لتكون لنا قدوة فى مسيرة حياتنا إلى الله عز وجل، لكى نعمر قلوبنا بمحبة هؤلاء الأعلام الكرام، الذين خلدوا فى تاريخ الخلود، وسطروا أروع الآيات فى الكرامة فى دنيا الكرامة، فكما نعلم، فقد كان مقدم الجيوش فى فتح العراق، وقد ولاه عمر قتال الفرس، وفتح مدائن كسرى، وهو صاحب وقعة القادسية، وما أدراك ما وقعة القادسية؟! وكوف الكوفة(١)، ونفى عنها الأعاجم، ووليها لعمر وعثمان، وكان سيدًا، مهيبًا كريمًا، وقد نفع الله به المسلمين، وأذل المشركين فى مراحل عمره كلها.

وسعد ﷺ واحد من فقهاء الصحابة الأعلام ممن اشتهروا فى عالم الفقه، وعالم المعرفة الإسلامية، بل إن سعدًا واحد من أعلام علماء الصحابة، الذين وعوا حديث رسول الله ﷺ وحفظوه، وقد روى له عن رسول الله ﷺ مائتان وسبعون حديثًا، منها فى الصحيحين (٣٨ حديثًا) اتفق البخارى ومسلم منها على خمسة عشر، وانفرد البخارى بخمسة ومسلم بثمانية عشر، وأحاديثه منثورة فى كتب الصحيح وفى المسانيد، وكتب السنن الأربعة(٢).

روى عنه جمع من أعلياء علماء الصحابة منهم: عبد الله بن عمر(٣)، وعبد الله بن عباس(٤)، وعائشة بنت أبى بكر(٥) رضوان الله عليهم جميعًا.

---

(١) بنى سعد الكوفة فى سنة (١٧هـ).

(٢) أود التعريف هنا بأهم كتب الرواية والمسانيد.

فكتب الصحاح تشمل الكتب الستة للبخارى، ومسلم، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه.

وعبارة (الصحيحين) تطلق على كتابى البخارى ومسلم رحمهما الله ويقال فى الحديث الذى روياه: (رواه الشيخان) أو (متفق عليه) وإنما سميت الكتب الستة بالصحاح على سبيل التغليب، وإلا فإن كتب السنن الأربعة الترمذى وأبى داود والنسائى وابن ماجه هى دون الصحيحين منزلة، وأقل منهما دقة وضبطًا، ولكل من أصحاب الكتب الستة ميزة يعرف بها.

فمن أراد التفقه فعليه بصحيح البخارى، ومن أراد قلة التعليقات فعليه بصحيح مسلم، ومن رغب فى زيادة معلوماته فى فن الحديث، ومعرفة الحديث الحسن، فعليه بجامع الترمذى أى: سنن الترمذى، ومن قصد إلى حصر أحاديث الأحكام فبغيته لدى أبى داود فى سننه، ومن كان يعنيه حسن التبويب فى الفقه فابن ماجه يلبى رغباته فى سنه.

أما النسائى فقد تواترت له أكثر هذه المزايا فى سننه والله تعالى أعلم.

(٣، ٤، ٥) اقرأ سير هؤلاء الأعلام العلماء الأعلياء فى كتابنا (علماء الصحابة).

وحدث عنه كذلك بنوه: عامر، عمر، محمد، مصعب، إبراهيم، وعائشة، وحدث عنه عدد من كبار علماء التابعين وأعليائهم وأعلامهم من مثل: سعيد بن المسيب، والأحنف بن قيس، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعروة بن الزبير وآخرون[1] وقد مرت نماذج من مروياته خلال ترجمته.

أما أخبار سعد في مضمار الشجاعة فكثيرة لا تحصى، ولا تنحصر، وفضائله في اتباع السنة، والزهد، والورع، وإجابة الدعوة، والتواضع والصدق والصدقة لا يأتي عليها العَد، وها نحن مرسلو القول في طرف من طرف سعد لتتجلى صورته بشكل أضوأ وأجلى، فقد شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح.

حدثت أمنا الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت: بات رسول الله ﷺ أرقًا ذات ليلة ثم قال: «ليت رجلاً صالحًا يحرسني الليلة».

قالت: فسمعنا صوت السلاح.

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟».

قال: سعد بن أبي وقاص، أنا أحرسك يا رسول الله!.

قالت: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه[2].

وقد شهد رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص بالجنة أمام جمع من أصحابه الكرام، إذ قال لهم: «يدخل عليكم من ذا الباب رجل من أهل الجنة».

قالها ثلاثًا، فطلع سعد.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٣) وسير أعلام النبلاء (١/ ٩٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٨/ ٧٣، ٧٤) وللحديث أصل في الصحيحين فقد أخرجه البخاري في الجهاد برقم (٢٨٨٥) باب: الحراسة في الغزو، وفي التمني برقم (٧٢٣١) باب: قوله ﷺ: ليت كذا وكذا، وأخرجه مسلم في الفضائل برقم (٢٤١٠) باب: فضائل سعد، والترمذي في المناقب برقم (٣٧٥٧) باب: مناقب سعد، والمستدرك (٣/ ٥٧٣).

هذا وإن حماية القائد له أهمية كبرى، لأن قتله سبيل إلى هزيمة الجنود، لذا نجد أن الإسلام أولى هذا الجانب عناية فائقة، في معركة بدر، والخندق وغيرهما من معارك الإسلام الفاصلة.

وقد كان لرسول الله ﷺ حرس يقومون بحمايته حفاظًا على حياة القائد، ومن أولئك الحرس خاله: سعد بن أبي وقاص.

ولعل من أجمل فضائل سعد، وأكمل سماته النبيلة أنه كان صافى السريرة، نقى النفس، موصول القلب بالله عز وجل على أساس سليم، لا يحمل فى نفسه سوءًا لأحد من المسلمين ولا ينوى شرًّا لمخلوق، بل كان لا ينطق إلا بخير، فما بلغ من سدة الفضل التى اقتعدها، وغبط عليها من قبل أعلام الصحابة فهى مآثر جليلة، وخلال كريمة تحتذى.

وقد دعا رسول الله ﷺ لسعد فى حجة الوداع فقال: «اللهم أذهب عنه البأس، إله الناس، ملك الناس، أنت الشافى لا شافى له إلا أنت، باسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك، من حسد وعين، اللهم أصح قلبه وجسمه، اكشف سقمه، وأجب دعوته»[١] .

ولقد كان سعد ﷺ مجاب الدعوة وقد أوردت المصادر كثيرًا من أخبار ذلك، وفيها دليل من دلائل النبوة، إذ دعا له الجيب المصطفى ﷺ لأن تستجاب دعوته، فكان ذلك.

أورد صلاح الدين الصفدى فى «نكت هميانه» قال: أصاب سعد بن أبى وقاص فى حرب القادسية جرح فلم يشهد فتحها، فقال رجل من بجيلة:

ألم تر أن الله أظفر دينه
وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة
ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد: اللهم اكفنا يده ولسانه، فجاءه سهم غرب فأصابه، ويبست يده جميعًا[٢] .

ومما ورد عن استجابة دعائه: أنه دعا على الذى سمعه يسب عليًّا وطلحة والزبير، فنهاه سعد، فلم ينته وقال: يتهددنى كأنما يتهددنى نبى؟!.

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٧٥).

(٢) نكت الهميان فى نكت العميان (ص ١٥٥، ١٥٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ١١٥) ومجمع الزوائد (٨/ ١٥٤) والبداية والنهاية (٨/ ٧٧).

وهذه القصص كثيرة جدًّا استوفت المصادر ذكرها، وتكفل ابن عساكر وابن كثير والذهبى وغيرهم بنقلها فلتراجع.

فقال سعد: اللهم إن تعلم أنه سب أقوامًا قد سلفت لهم منك سابقة، وأسخطك سبه إياهم، فأره اليوم آية تكون آية للعالمين، فخرجت ناقة نادَّة فخبطته حتى مات [(١)].

ومن مكارم سعد وفضائله أن اعتزل اختلاف الناس، وخلافهم بعد مقتل عثمان عليه سحائب الرضوان بل أمر أهله بألا يخبروه بشىء من أخبار الناس حتى تجتمع الأمة على إمام، وكان يقول: ما أزعم أنى بقميص هذا أحق منى بالخلافة، قد جاهدت إذ أنا أعرف الجهاد ولا أبخع نفسى إن كان رجل خيرًا منى، لا أقاتل حتى تأتونى بسيف له عينان ولسان وشفتان، فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر [(٢)].

هذا وقد امتدح على بن أبى طالب ﷺ سعدًا وابن عمر لاعتزالهما الفتنة فقال: لله منزل نزله سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، والله لئن كان ذنبًا ـــ يعنى اعتزالهما ـــ إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسنًا، إنه لعظيم مشكور [(٣)].

وسعد واحد من أعلام الزهاد، الذين عرفوا معانى القناعة، فعزفوا عن الدنيا، اسمع إلى كلامه الجميل الحسن الذى أوصى به ابنه مصعبًا، فقال له: يا بنى! إذا طلبت شيئًا فاطلبه بالقناعة، فإنه من لا قناعة له، لم يغنه المال [(٤)].

ولعمرى فإن هذه الحكمة مستمدة من عذب القرآن الفرات ومن فيض نور النبوة ومن الفصاحة النبوية وحِكمها الطافحة بالبلاغة.

فى رحاب الأولين المتقين:

كانت حياة سعد بن أبى وقاص ﷺ حياة عمل متواصل فى مرضاة الله عز وجل، موصول بنور الله، عاش حميدًا رشيدًا فى ظلال الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وامتدت به الحياة إلى الخلافة فى عهد معاوية ﷺ.

---

(١)نكت الهيمان فى نكت العميان (ص ١٥٥/ ١٥٦) وسير أعلام النبلاء (١/ ١١٥) ومجمع الزوائد (٩/ ١٥٤) والبداية والنهاية (٨/ ٧٧) وهذه القصص كثيرة جدًا استوفت المصادر ذكرها، وتكفل ابن عساكر وابن كثير والذهبى وغيرهم بنقلها، فلتراجع.

(٢)حلية الأولياء (١/ ٩٤) وتاريخ الإسلام للذهبى (عهد معاوية ص٢١٩) وقال الذهبى رحمه الله: اعتزل سعد ﷺ الفتنة فلا حضر الجمل، ولا صفين ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة، كبير الشأن ﷺ (سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٢).

(٣)مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٦٧) ومجمع الزوائد (٧/ ٢٤٦).

(٤)البداية والنهاية (٨/ ٧٧).

ففى سنة خمس وخمسين من الهجرة النبوية حضرت سعدًا الوفاة فدعا بجبة صوف قديمة، فقال: كفنونى فى هذه فإنى لقيت المشركين فيها يوم بدر وإنما خبأتها لهذا اليوم[١].

روى مصعب بن سعد أخبار اللحظات الأخيرة من حياة أبيه سعد فيقول: كان رأس أبى فى حجرى وهو يقضى فبكيت، فقال: ما يبكيك يا بنى؟! والله إن الله لا يعذبنى أبدًا، وإنى من أهل الجنة، إن الله يدين للمؤمنين بحسناتهم فاعملوا لله، وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم، فإذا نفدت قال: ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له[٢].

وتوفى سعد سنة خمسة وخمسين بالعقيق خارج المدينة فحمل إلى المدينة على أعناق الرجال، فصلى عليه مروان وصلى بصلاته أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات.

وفى البقيع يثوى جثمان فارس الإسلام سعد بن أبى وقاص بعد أن جاوز الثمانين.

قال على بن المدينى رحمه الله: كان سعد آخر العشرة وفاةً.

وقال غيره: كان آخر المهاجرين وفاة رضى الله عنهم جميعًا.

وبعد عزيزى القارئ فقد استمعنا واستمتعنا بسيرة فارس الإسلام سعد بن أبى وقاص وعشنا معه أوقاتًا سعيدة.

رضى الله عن سعد، وجعلنا مع الذين سعدوا، وفهموا تلكم الوقفات الشامخة، فاعتبروا، وأخذوا الدروس والمواعظ، فحرى بالعاقل أن يترسم خطى الأبطال فى مختلف الميادين، يبنى صروح المجتمع، ويكون عنصرًا فاعلاً مؤثرًا، باذلاً كل ما بوسعه لترفرف رايات الحق والنصر المبين فى مختلف الأمصار والأصقاع.

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٧٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٢٢، ١٢٣) ومجمع الزوائد (٣/ ٢٥).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٤٧) والبداية والنهاية (٨/ ٧٨).

طلحة بن عبيد الله ﷺ

قال عنه رسول الله ﷺ يوم أحد: «أوجب طلحة».

فارس الأبرار الأخيار الأطهار:

اسمه ونسبه: هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى المكى[1].

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام وأوذى فى الله ثم هاجر فاتفق أنه غاب عن وقعة بدر فى تجارة له بالشام وتألم لغيبته فضرب له رسول الله بسهه وأجره.

وفى سنن الترمذى بسند حسن أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: «أوجب طلحة»[2] أى: استحق الجنة لما صنع لرسول الله ﷺ حين برك له طلحة فصعد رسول الله ﷺ على ظهره.

مناقبه كثيرة رحمة الله عليه نذكر الآن صورًا من حياته:

جهاده وجلاده:

عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ فى ناحية فى اثنى عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركهم المشركون، فقال النبى ﷺ: «من للقوم» قال: طلحة: أنا، قال: «كما أنت» فقال رجل: أنا، قال «أنت» فقاتل حتى قتل ثم التفت فإذا المشركون، فقال: «من لهم» قال طلحة: أنا، قال: «كما أنت» فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «أنت» فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبى الله طلحة. فقال: «من للقوم» قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قاتل الأحد عشر حتى قطعت أصابعه، فقال: حس

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥) والإصابة (٤٢٦٦) والاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ١٠٦٤) وابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢١٤) وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٢٩٨٣).

(٢) حسن: رواه الترمذى (١٦٩٢) و (٣٧٣٨) وانظر صحيح الترمذى (١٣٩٣) و (٢٩٣٩) عن الزبير ورواه أحمد (١/ ١٤١٧) والحاكم (٣/ ٥٦٢) وانظر الصحيحة (٩٤٥) وصحيح الجامع (٢٥٤٠).

فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت باسم الله لرفقتك الملائكة والناس ينظرون ثم رد الله المشركين»[١].

جوده وإحسانه:

عن موسى عن أبيه طلحة أنه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف فبات ليلة يتململ فقالت له زوجته: ما لك؟ قال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن بربه يبيت وهذا المال فى بيته؟ قالت: فأين أنت من بعض أخلائك فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق، وهى أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح دعا بجفان فقسمها بين المهاجرين والأنصار فبعث إلى على منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد! أما كان لنا فى هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقى.

قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[٢].

وعن على بن زيد قال: جاء أعرابى إلى طلحة يسأله فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألنى بها أحد قبلك.

إن لى أرضًا قد أعطانى بها عثمان ثلاثمائة ألف، فاقبضها.

وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن، فقال: الثمن فأعطاه[٣].

وعن طلحة بن يحيى قال: حدثتنى جدتى سعدى بنت عوف المرية قالت: دخلت على طلحة يومًا وهو خائر فقلت: ما لك؟ لعلك رابك من أهلك شىء؟ قال: لا والله ونعم حليلة المسلم أنت ولكن مال عندى قد غمنى فقلت: ما يغمك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام ادع لى قومى نفسمه فيهم، فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربعمائة ألف[٤].

وعن الحسن البصرى أن طلحة بن عبيد الله باع أرضًا له بسبعمائة ألف فبات أرقًا مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرقه[٥].

---

(١) رواه النسائى فى الجهاد(٣١٤٩) باب ما يقول من يطعنه العدو، من طريق أبى الزبير عن جابر، والزبير مدلس وقد عنعن، لكن قال الذهبى رحمه الله فى (السير) (٣/ ١٧): رواته ثقات.

(٢، ٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٩، ٢٠).

(٤) السير: (٣/ ٢) وطبقات ابن سعد (٣/ ٢١٦، ٢١٧).

(٥) السير (٣/ ٢١) والطبقات (٣/ ٢٢٠).

وعن سعدى بنت عوف امرأة طلحة بن عبيد الله قالت: لقد تصدق طلحة يومًا بمائة ألف ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفى ثوبه [(١)].

قتل رحمه الله يوم الجمل وكان يوم الخميس لعشرة خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، ويقال: إن مروان بن الحكم قتله، ودفن بالبصرة وهو ابن ستين أو اثنتين وستين أو أربع وستين [(٢)].

(١)صفة الصفوة (١/ ١٣٨) والمعنى أنه تأخر عن الذهاب إلى المسجد بسبب خياطة ثوبه الذى عليه.

(٢)قد أخذت على نفسى فى هذا البحث أن لا أذكر شيئًا مما وقع بين الصحابة رضى الله عنهم من القتال، غفر الله لنا ولهم ورضى عنا وعنهم أجمعين.

سعيد بن زيد ﷺ

أحد العشرة المبشرين بالجنة.

من صفة الصفوة المباركة:

صفى كريم، عرفته الفضائل وعرفها منذ أن عرف معنى الحياة، وأدرك حقيقة الفضيلة فامتثلها فى مختلف جوانب حياته ومراحلها.

كانت نشأته فى مكة أم القرى، وكان يرى المتناقضات ويشاهد الأوهام التى يتخبط بها الناس خبط عشواء، دون هداية، وكان يبصر الأصنام التى تنتشر حول الكعبة وفى كل مكان وهى لا تضر ولا تنفع.

لكن هذا الفتى النبيه النبيل عزف عن هذه العادات كلها ونفرت نفسه من الأوثان والأصنام، ولعله كان يرى أباه وقد عزفت نفسه هو الآخر عن ترهات المشركين، فأحب أن يلتمس دين الحق، فساح هنا وهناك يتطلب الدين القيم لعله يجده، ورأى النصارى واليهود فكرة دينهم وقال: اللهم إنى على دين إبراهيم.

ولكن هذا الأب العاقل لم يظفر بشريعة إبراهيم ﷺ كما ينبغى، ولم يجد من يوقفه عليها، وهو من أهل النجاة، فقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه «يبعث أمة وحده»[١].

وهذا الأب هو ابن عم عمر بن الخطاب، وقد رأى النبى ﷺ، ولم يعش حتى بعث، هذا الرجل هو زيد بن عمرو بن نفيل.

أما ابنه فارس هذه الصفحات وضيفنا بل من نحن فى ضيافته الكريمة فهو سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل، أبو الأعور القرشى العدوى المكى المدنى ابن ابن عم عمر ابن الخطاب ﷺ[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٨٩، ١٩٠) والحاكم فى المستدرك (٣/ ٤٩٦) ومجمع الزوائد (٩/ ٤١١) ونسبه الهيثمى فى المجمع إلى الطبرانى والبزار باختصار.

(٢) المسند (١/ ١٨٧) وطبقات ابن سعد (٣/ ٣٧٩ – ٣٨٥) ونسب قريش (ص ٤٣٣) والمعارف (ص ٢٤٥، ٢٤٦) ومسند أبى يعلى (٢/ ٢٤٧– ٢٦١) والاستيعاب (٢/ ٢– ٨) والمستدرك (٣/ ٤٩٥ – ٤٩٨) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٩٨– ٣٠٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٧، ٢١٨) والبداية والنهاية (٨/ ٥٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٢٤ – ١٤٤) والعقد الثمين (٤/ ٥٥٩ – ٥٦٤) وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٤) والإصابة (٢/ ٤٤) وغيرها كثير.

وقبل أن نسعد مع سعيد بن زيد فى سيرته، سنلقى بعض الضوء على سيرة والده زيد بن عمرو لكى تتوضح صورة سعيد بن زيد ﷺ أكثر فأكثر.

كان زيد بن عمرو يتعبد فى الفترة قبل النبوة على دين النبى إبراهيم ﷺ، ويوحد الله تعالى، ويعيب على قريش ذبائحهم على الأنصاب، ولا يأكل مما ذبح على النصب وكان إذا دخل الكعبة قال: لبيك حقًّا حقًّا، تعبدًا ورقًّا، عذت بما عاذ به إبراهيم.

روت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما خبرًا كريمًا عن زيد بن عمرو فقالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى.

وكان يحيى الموءودة، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها! أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها[(١)].

وكان يقول: يا قريش! إياكم والزنى، فإنه يورث الفقر[(٢)]، وفى رواية: إياكم والربا فإنه يورث الفقر.

وكان يعيب على قريش ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله![(٣)].

هذا، وقد توفى زيد بن عمرو قبل المبعث، وذكر ابن اسحاق أن ورقة بن نوفل قد رثاه بأبيات هى:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما
تجنبت تنورًا من النار حاميا

---

(١) فتح البارى (٧/ ١٧٦) حديث رقم (٣٨٢٨).

(٢) عن تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٥) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٢٨) مع الجمع، وللحديث أصل فى صحيح البخارى إذ رواه تعليقًا فى المناقب برقم (٣٨٢٨) باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٣٨٠، ٣٨١) والمستدرك (٣/ ٤٩٧) والسيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٢٥) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٦) ومجمع الزوائد (٩/ ٤١٨).

(٣) سير أعلام النبلاء، وأصله فى البخارى فى المناقب برقم (٣٨٢٦) باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل، وفى الذبائح برقم (٥٤٩٩) باب ما ذبح على النصب والأصنام، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٣٨٠) والاستيعاب (٢/ ٤).

بدينك ربًّا ليس رب كمثله
وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وإدراكك الدين الذى قد طلبته
ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها
تعلل فيها بالكرامة لاهيا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه
ولو كان تحت الأرض سبعين واديا (١)

ومن شعر زيد بن عمرو الذى يشير إلى عقيدته وتوحيده:

أرب واحد أم ألف رب
أدين إذا انقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعًا
كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها
ولا صنمى بنى عمرو أدير (٢)

روى عامر بن ربيعة (٣) ﷺ قال: قال لى زيد بن عمرو بن نفيل: إنى خالفت قومى، واتبعت ملة إبراهيم وإسماعيل، وما كانا يعبدان وكانا يصليان إلى هذه القبلة وأنا أؤمن به وأصدقه، وأشهد أنه نبى، وإن طالت بك حياة فأقرئه منى السلام، قال عامر: فلما أسلمت أعلمت النبى ﷺ بخبره.

قال: فرد عليه السلام، وترحم عليه، وقال: «ولقد رأيته فى الجنة يسحب ذيولاً» (٤).

---

(١)انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٣٢) ونسب قريش (ص ٤١٨) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٤، ١٦٥) والبداية والنهاية (٢/ ٢٣٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٣٥).

(٢)انظر مختصر تاريخ دمشق (٩/ ١٦٧) وللأبيات بقية.

(٣)اقرأ سيرة هذا الفارس الباسل فى هذا الكتاب (فرسان من عصر النبوة).

(٤)انظر فتح البارى (٧/ ١٧٧) وقال ابنه سعيد بن زيد: سألت أنا وعمر رسول الله عن زيد فقال: «غفر الله له ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم» (فتح البارى ٧/ ١٧٧).

سعيد وإسلام عمر:

سعيد بن زيد ﷺ واحد من فرسان الرسول ﷺ الذين استجابوا الدعوة الإسلام منذ أن أشرق بنوره، على أم القرى، فكان من السابقين الأولين من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

كان إسلام سعيد فى معية الرعيل الأول، فقد أعلن إسلامه قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم وقبل أن يدعو فيها[١]، فكان إسلامه مبكرًا، إذ أدركته عناية الله تعالى، وتفتح عقله للتوحيد، فنطق بالشهادتين.

كان سعيد ﷺ متزوجًا من فاطمة بنت الخطاب[٢] أخت عمر رضى الله عنهما وقد أسلمت هى وزوجها سعيد قبل أن يسلم عمر، وكانا سبب إسلام عمر رضى الله عنهم جميعًا وذلك عندما سمع عمر فى بيت أخته شيئًا من القرآن الكريم.

ولكن عمر ﷺ كان يعذب أقاربه قبل أن يسلم، وكثيرًا ما كان يشير على صهره سعيد كى يرجع عن الإسلام.

روى الإمام البخارى رحمه الله فى صحيحه بسند رفعه إلى قيس بن أبى حازم قال: سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فى مسجد الكوفة يقول: والله! لقد رأيتنى وإن عمر لموثقى على الإسلام قبل أن يسلم عمر[٣].

كان سعيد وزوجته فاطمة يخفيان إسلامهما بادئ الأمر وكان الصحابى الجليل خباب بن الأرت ﷺ يختلف إلى سعيد وزوجه يقرئهما القرآن الكريم، وفى لحظة من اللحظات المباركة التى أراد الله بها الخير لعمر بن الخطاب، كان إسلامه فى بيت صهره سعيد بن زيد.

وقصة إسلام عمر مشهورة جدًا، نوجزها فيما يلى كما أوردتها المصادر الوثيقة.

خرج عمر ذات يوم متوشحًا سيفه يريد البطش بمن يلقاه من المسلمين، فلقيه نعيم ابن عبد الله النحام وكانم يخفى إسلامه فقال لعمر: أين تريد؟.

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٨٢).

(٢) اقرأ سيرة فاطمة بنت الخطاب فى كتاب (نساء من عصر النبوة) (٢/ ٣٢٣ - ٣٣٤).

(٣) فتح البارى (٧/ ٢١٤) حديث رقم (٣٨٦٢) وأيضًا ورد برقم (٣٨٦٧، ٦٩٤٢) ومعنى «لموثقى على الإسلام» أى: ربطه بسبب إسلامه إهانة له، وإلزامًا بالرجوع عن الإسلام.

قال: أريد محمدًا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش، وعاب دينها فأقتله!.

فقال له نعيم: أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدًا؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم فيهم أمرهم؟! قال: وأى أهل بيتى؟.

قال نعيم: ابن ابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد أسلما.

رجع عمر إلى صهره سعيد بن زيد وأخته فاطمة، وعندهما خباب بن الأرث، وهم يتلون صدر سورة طه، فسمع عمر صوتهم، ودخل فسأل عن الصوت الذى سمعه، فقال له سعيد وفاطمة: ما سمعت شيئًا.

قال: بلى، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه.

ثم إن عمر بطش بصهره سعيد، وبرك عليه، فقامت فاطمة لتكفه عن سعيد، فضربها فشجها حتى سال الدم منها.

ولما فعل عمر ذلك قال له: نعم يا عمر! لقد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك؟.

ورأى عمر الدم يجرى من وجه أخته فاطمة، فأدركته الرقة، فسكنت جوارحه، وخشع قلبه، وطلب الصحيفة التى سمعهم يتلونها، فرفضا حتى اغتسل، وعند إذ أعطياه الصحيفة فإذا فيها: ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (طه: ١ - ١٤).

فقال عمر: ما ينبغى لمن يقول هذا الكلام أن يعبد معه غيره، وما أحسن هذا الكلام وأكرمه!!.

ثم إن عمر توجه إلى دار الأرقم عند جبل الصفا، وهناك أمام رسول الله ﷺ أعلن إسلامه، فكبر رسول الله ﷺ، وكبر معه المسلمون تكبيرة، علم منها أهل مكة أن عمر ابن الخطاب قد أسلم(١).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٤٣- ٣٤٥) وصفة الصفوة (١/ ٢٦٩ - ٢٧١) مع الجمع والتصرف، وانظر تفاصيل القصة فى طبقات ابن سعد (٣/ ٢٦٧، ٢٦٨) والبداية والنهاية (٣/ ٧٧) وتاريخ الإسلام للذهبى (السيرة النبوية ص ١٧٤، ١٧٥) ونساء من عصر النبوة (٢/ ٣٢٧ - ٣٣٠).

وسر سعيد بالإسلام لهذا الفارس العبقرى عمر، الذى انضم إلى ساحة الإيمان، وحمد الله على أن هداه إلى الطريق (الصراط السوى) ولله در عبد الله بن مسعود[١] إذ قال فأصاب وأحسن فأجاد: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[٢].

سعيد وسهم وأجر:

ظل سعيد بن زيد ﷺ فى مكة يلقى الأذى من مشركى قريش، وصبر كما صبر الكرام من الذين آمنوا وأذن الله لهؤلاء بالهجرة إلى المدينة، فهاجر سعيد مع المهاجرين، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى بن كعب ﷺ[٣].

ولما بدأت رحلة الجهاد، كان سعيد بن زيد فى طليعة فرسان المدرسة النبوية، ممن أبدعوا فى ساحات الجلاء والجهاد وكان له أياد بيضاء لا تمحى.

ولما كانت غزاة بدر، كان لسعيد مهمة من رسول الله ﷺ فقد أوردت المصادر هذا فقال: لما تحين رسول الله ﷺ وصول عير قريش من الشام، بعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضى الله عنهما قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتحسسان خبر العير، فبلغا الحوراء، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت بهما العير، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر قبل رجوع طلحة وسعيد إليه، فندب أصحابه وخرج يريد العير، فتساحلت[٤] العيروأسرعت، وساروا الليل والنهار فرقًا من الطلب، وخرج طلحة وسعيد رضى الله عنهما يريدان المدينة ليخبرا الرسول ﷺ خبر العير، ولم يعلما بخروجه، فقدما المدينة فى اليوم الذى لاقى رسول الله ﷺ النفير من قريش ببدر، فخرجا من المدينة يعترضان

---

(١) اقرأ سيرة عبد الله بن مسعود فى كتاب «علماء الصحابة».

(٢) فتح البارى (٧/ ٢١٥) حديث رقم (٣٨٦٣).

وكان المسلمون لا يقدرون على الصلاة عند الكعبة، فلما أسلم عمر ﷺ قاتل قريشًا حتى صلى عندها، وصلى معه المسلمون، وقد قووا بإسلامه وإسلام حمزة رضى الله عنهما وجهروا بالقرآن، ولم يكونوا قبل ذلك يقدرون أن يجهروا به، ففشا الإسلام وكثر المسلمون، ولعمر بن الخطاب دور كبير فى إعزازالمسلمين، حتى قال عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحًا، وإن هجرته كانت نصرًا، وإن إمارته كانت رحمة (ابن سعد ٣/ ٢٧٠) و (الروض الأنف ٢/ ٩٥) و(إمتاع الأسماع للمقريزى ١/ ٢٤، ٢٥).

(٣) اقرأ سيرة أبى بن كعب فى كتاب «علماء الصحابة».

(٤) فتساحلت: ساحل: سار على الساحل، أو أتى الساحل.

رسول الله ﷺ، فلقياه منصرفًا من بدر، فلم يشهد سعيد وطلحة الوقعة، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما فى بدر[1] فكانا كمن شهدها وعُدا فى أهل بدر.

وقد شهد سعيد بن زيد أحدًا والخندق والحديبية والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من أعلام الفرسان فى تلك المشاهد[2].

روى سعيد بن جبير رحمه الله ما يؤيد هذا فقال: كان مقام أبى بكر وعمر وعثمان، وعلى وطلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، كانوا أمام رسول الله ﷺ فى القتال، وخلفه فى الصلاة فى الصف، وليس لأحد من المهاجرين والأنصار يقوم مقام أحد منهم غاب أم شهد[3].

مواقف محمودة الورود فى تاريخ فروسية سعيد:

لسعيد بن زيد ﷺ مواقف مأثورة فى تاريخ الجهاد فى عصر النبوة، منها أنه شهد غزاة قريظة وكان من فرسانها الذين حاصروا اليهود خمسًا وعشرين ليلة نزلوا بعدها على حكم رسول الله ﷺ، فحكم فيهم سعد بن معاذ الأنصارى الذى وافق حكمه حكم الله عز وجل من فوق سبع سموات.

وقسم رسول الله ﷺ أموال بنى قريظة، بعدها أخرج الخمس، وجعل للفارس ثلاثة أسهم: سهمين للفرس وسهمًا لراكبه، أو للراجل، وكانت الخيل يومئذ: ستًّا وثلاثين.

وبعد ذلك دعا رسول الله ﷺ سعيد بن زيد، وأمره أن يذهب بسبايا من بنى قريظة إلى نجد ليشترى بها خيلاً وسلاحًا كيما تزيد قوة المسلمين الحربية ففعل سعيد، وامتثل الأمر النبوى وذهب إلى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحًا، ودعا إلى المدينة وقد حظى بمرضاة الله ومرضاة رسوله ﷺ[4].

وفى العصر الراشدى كان لسعيد مواقف محمودة فى ساحة الجهاد، فقد شهد معركة اليرموك، وثبت يوم إذ، وكان من أمراء الجيش فى اليرموك حيث كان على

---

(١) انظر السير الكبير (٣/ ١٠٠٩).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٣٨٢، ٣٨٣) بشىء من التصرف، وانظر: المستدرك (٣/ ٤٩٥) والسيرة النبوية لابن هشام (١/ ٦٨٣) والاستيعاب (٢/ ٢، ٣) والكامل فى التاريخ (٢/ ١١٦، ١٣٧) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٩٩) وسير أعلام النبلاء(١/ ١٣٦، ١٣٧) وكلها بمعان متقاربة.

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٠١).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٤/ ١٢٦) بشىء من التصرف.

قلب جيش المسلمين، فقد قال خالد بن الوليد لأبى عبيدة رضى الله عنهما أثناء التنظيم لمعركة اليرموك: رأيت أن يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا ويقف من ورائه وبحذائه مائتان أو ثلاثمائة يكونون للناس ردءًا[١].

وتم تنفيذ اقتراح خالد بن الوليد، وأخذ أبو عبيدة ﷺ لما تراءى الجمعان، وتبارز الفريقان يعظ المسلمين ويقول: عباد الله! انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين! اصبروا، فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب ومدحضة للعار.

ثم قال: الزموا الصمت إلا من ذكر الله فى أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله تعالى[٢].

وتصدى سعيد بن زيد بفرقته لقتال الروم، وثبت ثبات الشم الرواسى، يقول ابن عساكر فى تاريخه: لما نظر سعيد بن زيد إلى الروم وخافها، اقتحم إلى الأرض، وجثا على ركبتيه، حتى إذا دنوا منه طعن برايته أول رجل من القوم، ثم ثار فى وجوههم، وأخذ يقاتل، وكان من أعظم الناس ثباتًا[٣].

نصر الله عز وجل المسلمين، وشهد سعيد هذا النصر العظيم، ثم شهد بعد ذلك حصار دمشق وفتحها، وكان بصحبة أبى عبيدة، فولاه أبو عبيدة عليها، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة.

ذكر صلاح الدين الصفدى رحمه الله فى كتابه «تحفة ذوى الألباب» أن سعيد بن زيد قد ولاه أبو عبيدة دمشق، وذكر ذلك فى بيت من الشعر من قصيدة، فقال:

وقد تولاها سعيد العدوى
وهو على الفضل المبين محتوى[٤]

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر (١/ ١٦٤).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٨).

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر (١/ ١٦٨).

هذا ويعد ثبات فارسنا القائد من متطلبات الإيمان، والصفات القيادية العسكرية فلكى يؤدى المقاتلون مهماتهم لا بد أن يحتذوا بقائدهم فى الإصرار والتحدى وعدم الفرار من الزحف وفى ذلك عصمة للجنود ورفع لجاهزيتهم القتالية ومعنوياتهم الروحية.

(٤) انظر «تحفة ذوى الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب» لصلاح الدين الصفدى (١/ ٧٧) تحقيق: إحسان بنت سعيد خلوص، وزهير حميدان الصمام، طبعة وزارة الثقافة دمشق ١٩٩١م.

وبعد أن ولاه أبو عبيدة دمشق، نهض أبو عبيدة بمن معه للجهاد فى ساحات الوغى، فكتب إليه سعيد بن زيد ﷺ: أما بعد: فإنى ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسى وعلى ما يدنينى من مرضاة الله، فإذا جاءك كتابى فابعث إلى عملك من هو أرغب إليه منى فإنى قادم عليك وشيكًا إن شاء الله، والسلام.

وهكذا لم يركن فارس المدرسة المحمدية سعيد بن زيد إلى دعة الولاية ومغرياتها، وفتنها، وإنما أحب أن يكون فى عداد المجاهدين بين ظلال الأسنة والرماح، وكيف لا يحب سعيد الجهاد والفروسية وقد أقسم بالله قائلاً: والله لمشهد شهده رجل مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم ولو عُمِّر عُمر نوح[١].

سعيد ودعوة مستجابة:

عرف عن سعيد بن زيد ﷺ بأنه كان موصول القلب بالله على أساس صحيح، وكان زاهدًا فى الدنيا وما فيها خلا العبادة فإنه كان يستزيد منها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً لذا فقد عرف بأنه كان مستجاب الدعوة، وهذا دليل على قربه من الله المولى، وعلى عميق إيمانه، وصدق التجائه إلى خالق السموات والأرض.

وردت فى كتب الحديث والتراجم والسيرة قصة تشير إلى ذلك مفادها: أن أروى بنت أويس ادعت أن سعيد بن زيد أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذى سمعت من رسول الله ﷺ: يقول: «من أخذ شيئًا من الأرض طوقه إلى سبع أرضين»؟![٢].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٠٠).
وهكذا نلاحظ ونلحظ أن سعيد بن زيد ﷺ لم تغره الولاية، ولم تغيره المناصب وإنما ظل زاهدًا، موصول القلب بالله عز وجل.
وما أجمل قول أبي نعيم إذ وصفه فى مطلع ترجمته بقوله: وأن سعيد بن زيد ين عمرو بن نفيل، فكان بالحق قوالاً، ولماله بذالاً ولهواه قامعًا وقتالاً، ولم يكن ممن يخاف فى الله لومة لائم، وكان مجاب الدعوة، سبق الإسلام قبل عمر بن الخطاب شهد بدرًا بسهمه وأجره، رغب عن الولاية وتشمر فى الرعاية، قمع نفسه وأخفى عن المنافسة فى الدنيا شخصه اعتزل الفتنة والشرور، المؤدية إلى الضيعة والغرور، عازمًا على السبق والعبور والمفضى إلى الرفعة والحبور، كان للولايات قاليًا، وفى مراتب الدنيا وانيًا وفى العبودية غانيًا وعن مساعدة نفسه فانيًا (حلية الأولياء ١/ ٩٥).

(٢) أى: من أخذ شيئًا من الأرض بغير حقه يعد من أكبر الكبائر على أى وجه كان من غصب، أو سرقة أو خديعة قليلاً كان أو كثيرًا، ومعنى: طوقه: كلف أن يطيق حمله، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (آل عمران: ١٦١) وقيل: جعلت فى عنقه كالطوق، كما قال الله عز وجل ﴿ سَيُطَوَّقُونَ

قال مروان: لا أسألك بينة بعد هذا.

فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة، فأعم بصرها واقتلها فى أرضها، فما ماتت حتى عميت وبينا هى تمشى فى أرضها، إذ وقعت فى حفرة فماتت[١].

وذكر ابن سيد الناس[٢]، رحمه الله دعوة سعيد بن زيد ﷺ على أروى بنت أويس فأنشد من قصيدة:

ودعا على أروى سعيد بالعمى
يا ويح أروى من دعاء الأروع[٣]

وتشير بعض المصادر إلى أن أروى بنت أويس هذه، سألت سعيدًا أن يدعو لها، وقالت: إنى ظلمتك فقال: لا أرد على الله شيئًا أعطانيه.

وكان أهل المدينة يدعو بعضهم على بعض فيقول: أعماك الله عمى أروى، يريدونها أى: أروى بنت أويس، ثم صار أهل الجهل يقولون: أعماك الله عمى الأروى، يريدون الأروى التى بالجبل يظنونها شديدة العمى ويقولون: إنها عمياء، وهذا جهل منهم[٤].

مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (آل عمران: ١٨٠) وقيل: خسف به فى مثل الطوق منها، وهو ظاهر قوله: «طوقه إلى سبع أرضين».

(١) الحديث أخرجه البخارى فى المساقاة برقم (١١٦٠) باب: تحريم الظلم وغصب الأرض، وأخرجه البخارى كذلك فى بدء الخلق برقم (٣١٩٨) وفى المظالم مختصرًا برقم (٢٤٥٢).
وأخرجه أحمد فى المسند (١/ ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٩٦، ٩٧) بروايات متعددة، وللحديث أصل فى السنن أيضًا فقد أخرجه النسائى فى تحريم الدم (٧/ ١١٥) باب: من قتل دون ماله، وابن ماجه فى الحدود برقم (٢٥٨٠) وأبو داود فى السنة برقم (٤٧٧٢) والترمذى فى الديات برقم (١٤٢١) واخرجه أبو يعلى (٢/ ٢٥٠) برقم (٩٥١) وكذلك بالأرقام (٩٢٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥٣).

(٢) انظر المقامات العلية فى الكرامات الجلية (ص ٥٧).

(٣) الأروع: المقصود هنا هو التقوى والورع.

(٤) انظر: الاستيعاب (٢/ ٦) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٠١) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٣٣) والإصابة (٢/ ٤٤).

وقد كشف الله عز وجل الحقيقة للناس، وعرفوا أن سعيدًا كان صادقًا ولم يأخذ حق أروى أو يظلمها، وكان يقول: اللهم أظهر من حقى نورًا بين المسلمين فإنى لم أظلمها[١].

وبينما هم على ذلك، إذ سال وادى العقيق سيلاً لم يسل مثله قط، فكشف عن الحد الذى كانا يختلفان فيه فإذا سعيد بن زيد ﷺ فى ذلك قد كان صادقًا، ثم لم تلبث أروى يسيرًا حتى عميت، وعرف الناس الحقيقة[٢].

سعيد ورواية الحديث النبوى:

سعيد بن زيد ﷺ واحد من فرسان الصحابة الذين حلقوا فى ساحات الجهاد، كما أبدعوا فى العلم، ورواية الحديث النبوى الشريف.

روى لسعيد عن رسول الله ﷺ ثمانية وأربعون حديثًا، منها حديثان فى الصحيحين متفق عليهما، وانفرد البخارى له بحديث واحد[٣].

روى عن سعيد عدد من الصحابة منهم: عبد الله بن عمر وأبو الطفيل، وعمرو بن حريث رضى الله عنهم.

كما روى عنه طائفة من التابعين منهم: زر بن حبيش، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن ظالم، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وطائفة ومن مروياته الحديث الشهير الذى ورد فى الصحيح والسنن، روى عن عمرو بن حريث عن سعيد بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»[٤].

---

(١) الإصابة (٢/ ٤٤) بتصرف يسير جدًا، وكان أبو محمد بن عمرو بن حزم يقول لأروى: لا تؤذى صاحب رسول الله، فما كان ليظلمك ولا يأخذ لك حقًا (الاستيعاب ٢/ ٧).

(٢) الإصابة (٢/ ٤٤) بتصرف.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٧) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٢٥).

(٤) أخرجه البخارى فى التفسير برقم (٤٤٧٨) و (٤٦٣٩) وفى الطب برقم (٥٧٠٨) ومسلم فى الأشربة برقم (٢٠٤٩) باب: فضل الكمأة ومداواة العين بها.

وأخرجه الإمام أحمد (١/ ١٨٧، ١٨٨) والترمذى فى الطب برقم (٢٠٦٨) باب: ما جاء فى الكمأة والعجوة، وأبو يعلى فى مسنده (٢/ ٢٥٤) برقم (٩٦١) وانظر مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٩٨) وسير أعلام النبلاء (١/ ١٢٥) والمواهب اللدنية (٣/ ٤٧٢) والطب النبوى لعبد اللطيف البغدادى (ص ١٤٥، ١٤٦) وغيرها كثير من المصادر المتنوعة، وقال ابن القيم الجوزية رحمه الله فى «الزاد»: اعترف فضلاء الأطباء أن ماء الكمأة: نبات لا ورق له ولا ساق يوجد فى الأرض من غير زرع، وروى الطبرى من طريق المنكدر عن =

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله فى «الزاد» ما مفاده: إن الكمأة خلقت فى الأصل سليمة من المضار، والكمأة فى الأصل نافعة لما اختصت به من وصفها بأنها من الله.

ومن مرويات سعيد أيضًا ما رواه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدى فى الناس فتنة أضر على الرجال من النساء»[١].

= جابر قال: كثرت الكمأة على عهد رسول الله ﷺ، فامتنع قوم من أكلها، وقالوا: هو جدرى الأرض، فبلغه ذلك فقال: «إن الكمأة ليست جدرى الأرض، ألا إن الكمأة من المن».

قال الخطابى ما مفاده: إن الكمأة شيء ينبعث من غير تكلف ببذر ولا سقى، وإنما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة لأنها من الحلال المحض، الذى ليس فى اكتسابه شبهة، ويستنبط منه أن استعمال الحلال المحض يجلو البصر.

هذا ولقد ماء الأطباء أقوال فى كيفية استعمال الكمأة للاكتحال بمائها.

من ذلك قول ابن واقد: إذا اكتحل بماء الكمأة بميل من ذهب تبين للفاعل ذلك قوة عجيبة وحدة فى البصر كثيرة.

ونقل الموفق عبد اللطيف البغدادى عن فائدة الكمأة للبصر أن أبا هريرة ﷺ قال: أخذت ثلاثة أكمئة أو خمسة أو سبعة، فعصرتهن، وجعلت ماءهن فى قارورة وكحلت به جارية لى فبرأت (الطب النبوى/ تحقيق يوسف على بديوى ص ١٤٦).

ولعله من المفيد هنا أن نذكر ما جرى للمتوكل على الله الخليفة العباسى من علاجه بالكمأة، حيث قال على ابن الجهم الشاعر المعروف:

دعانى المتوكل أمير المؤمنين، فقال لى: قد أكثرت من الأدوية لعينى، وليس تزداد إلا رمدًا، فسل أهل العلم، هل يعرفون فى ذلك أثرًا عن النبى ﷺ؟! قال على: فمضيت إلى أحمد بن حنبل فسألته عن ذلك فقال: روى لنا شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء العين».

قال: فرجعت إلى المتوكل فأخبرته فقال: ادع لنا يوحنا بن ماسويه — وكان طبيبًا ماهرًا جمع بين الطب والأدب — فدعوته فقال له المتوكل: كيف تستخرج ماء الكمأة؟ قال: أنا أستخرج ذلك، فأخذ الكمأة فقشرها، ثم سلقها بعدما نضجت أدنى النضج، ثم شقها واستخرج ماءها بالميل، فكحل به عين المتوكل، فبرأت من الدفعة الثانية، فعجب من ذلك يوحنا وقال: أشهد أن صاحبكم كان حكيمًا يعنى: رسول الله ﷺ.

انظر: كتاب (المنهج السوى والمنهل الروى فى الطب النبوى للسيوطى ص٣٣٥، ٣٣٦).

(١) مسند أبى يعلى (٢/ ٢٦٠) حديث رقم (٩٧٢) والحديث أخرجه مسلم فى الذكر برقم (٢٧٤١) والترمذى فى الأدب برقم (٢٧٨١).

سعيد والمبشرون بالجنة وأدب التراث:

سعيد بن زيد ﷺ من العشرة المبشرين بالجنة وهم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدريين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمة فى الدنيا والآخرة، وهم فرسان الأمة وأبطال الإسلام وقد ورد فى الحديث الشريف أن المبشرين بالجنة عشرة[١] وراوى هذا الحديث هو سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «عشرة من قريش فى الجنة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن مالك وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبو عبيدة بن الجراح»[٢].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عشرة فى الجنة: أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلى فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة»[٣].

هذا وقد أثرى تراثنا المبارك بنفحات كريمة عبقة، تحكى كراهة هؤلاء العشرة وأعمالهم الجليلة، وتحكى آثارهم الوضيئة وقد تبارى العلماء والشعراء والأدباء فى إبراز محاسنهم شعرًا ونثرًا وخطابة، وغير ذلك من فنون الكلام وألوان البلاغة العربية.

---

(١) أود أن أنبه إلى أن هنالك ثلة من الصحابة الكرام، قد حظوا بالبشارة بالجنة من رسول الله ﷺ، وفى أحاديث وردت فى الصحيح والسنن والآثار المتواترة التى تتوافق مع منهج القرآن، وكنت منذ سنوات خلت قد قمت بتصنيف كتاب عنوانه: «رجال مبشرون بالجنة» وكان المفروض أن يصدر فى عشرة أجزاء كبيرة، إلا أن الظروف التى أحاطت بى وأنا فى الكويت قد حالت دون ذلك، وصدر الكتاب فى جزأين ليس غير، وقد ذكرت فيه أسماء الصحابة غير العشرة مع الدليل القاطع من القرآن الكريم والسنن المطهرة، هذا وقد قامت دار ابن كثير بدمشق بإصدار تلك السلسلة المباركة التى كتب الله عز وجل لها التوفيق، وأكرمنى الله تعالى بفضله، ومنّ على بأن أكرمنى أيضًا بالكتابة عن نساء مبشرات بالجنة، وقد صدر هذا الكتاب فى جزأين أيضًا عن دار ابن كثير بدمشق، وكتب لهذا الكتاب القبول بين أوساط القراء، ولله الحمد.

وأرجو الله العلى الكبير أن يلهمنا الصواب فى أعمالنا، وأن يكرمنا ببركة هؤلاء الصحابة الأبرار الأخيار الأطهار.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٣٨٣).

(٣) مسند أبى يعلى (٢/ ١٤٨) رقم (٨٣٥) وأخرجه أحمد (١/ ١٩٣) والترمذى فى المناقب برقم (٣٨٣٨).

ولقد أغرم كثير من الشعراء العلماء بنظم أسماء هؤلاء الكرام البررة العشرة وغيرهم من الصحب الكرام الأعلام جميعًا، من ذلك قول الشاعر فى الصحابة أجمعين:

همو صحابة خير الخلق أيدهم
رب السماء بتوفيق وإيثار
فحبهم واجب يشفى السقيم به
فمن أحبهم ينجو من النار

وقال آخر فأحسن وأجاد:

حب النبى على الإنسان مفترض
وحب أصحابه نور ببرهان
فهم صحابة خير الخلق خصهم
رب العباد بجنات ورضوان
فمن أحبهم قد نال منزلة
عند الإله وجازاه بإحسان
عليهم من سلام الله أطيبه
ما ناحت الورق[١] فى أوراق أغصان

وهذه المنظومات كثيرة جدًا، تحتاج إلى كتاب كبير، ولكن الذى يهمنا هو العشرة الذين وردوا فى حديث واحد، فقد تبارى العلماء والشعراء أيضًا فى نظم أسمائهم فى قصائد ومقطعات جاءت فى غاية الجمال والرونق، وتدل على مكانة هؤلاء العشرة الكرام فى عالم الصحابة الأعلام رضى الله عنهم جميعًا وقد أحببت أن أورد بعض تلكم الآداب، فى هذا الكتاب، كيما نجدد النشاط فى قراءة سير أعلام هؤلاء النبلاء، وكيما نقتدى بهم، وكيما ننتفع بهديهم وسيرتهم وسلوكهم الحسن، الفياض بالخير.

ولما رحت أستقصى فى المصادر ما أبتغيه فى هذا المجال، ألفيتنى أمام تراث تليد لا يمكن الإحاطة به، ولقد لفت نظرى وأنا أقلب الصفحات فى كتب التراث، بأن هناك

---

(١) «الورق» جمع ورقاء، وهى الحمامة، أو: التى لونها كالرماد فيه سواد.

بدائع تشير إلى البدائه التى وهبها الله لأولئك الشعراء من العلماء، والفضلاء، والحكماء.

ولقد لفت نظرى قصيدة رائعة لابن جابر الأندلسى فى كتاب «نفح الطيب»[١] للمقرى، وهذه القصيدة آية فى الإبداع والفن الشعرى حيث فيها التورية والتصريح بسور القرآن الكريم مرتبة حسب ورودها فى المصحف الشريف، وفيها كذلك مدح الرسول الكريم ﷺ وأصحابه العشرة الكرام ومطلعها:

فى كل فاتحة للقول معتبرة

حق الثناء على المبعوث بالبقره

فى آل عمران قِدما شاع مبعثه

رجالهم والنساء استوضحوا خبره

ثم يذكر بقية السور كاملة مرتبة وعددها: (١١٤ سورة) ثم يذكر العشرة المبشرين بالجنة، ويخصهم بمدحه، ويورد أسماءهم، فيقول:

أزكى صلاتى على الهادى وعترته

وصحبه وخصوصًا منهم العشره

صديقهم عمر الفاروق أحزمهم

عثمان ثم على مهلك الكفره

سعد سعيد زبير طلحة وأبو عبيدة

وابن عوف عاشر العشره

ثم إنه ختم قصيدته هذه بقوله:

أقسمت لا زلت أهديهم شذا مدحى

الروض ينثر من أكمامه زهره

وقد نظم أسماء العشرة كثير من العلماء، فقال بعضهم:

لقد بشرت بعد النبى محمد

---

(١) انظر: نفح الطيب (١٠/ ١٨٢ – ١٨٥) طبعة مصر، ومن الجدير بالذكر أن هذه القصيدة الجميلة الرائعة قد عارضها كثير من الأدباء والشعراء ولكنهم لم يلحقوا شأوها، ولابن جابر قصيدة دالية طويلة ذكر فيها العشرة المبشرين بالجنة وبعض الصحابة الأعلام تدل على ذكائه وفهمه لحياة الصحابة.

بجنة عدن زمرة سعداء

سعيد وسعد والزبير وعامر

وطلحة والزهرى والخلفاء[١]

ولقد تفنن كثير من العلماء فى نظم أسماء هؤلاء العشرة ومن بينهم الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله إذ أنشد لنفسه فقال:

لقد بشر الهادى من الصحب زمرة

بجنات عدن كلهم فضله اشتهر

سعيد زبير سعد طلحة عامر

أبو بكر عثمان ابن عوف على عمر [٢]

ومن أجمل ما نظم ابن حجر فى المبشرين هؤلاء قوله من قصيدة:

وجوه أصحابه كالدر مشرقة

إذا رأيت امرأ عن هديهم صرفا

نالوا السيادة فى دنيا وآخرة

والسبق والفضل والتقديم والشرفا

وبالرضا خص منهم عشرة زهر

يا ويح من فى موالاة لهم وقفا

سعد سعيد زبير طلحة وأبو

عبيدة وابن عوف قبله الخلفا

لا تسألن القوافى عن مآثرهم

إن شئت فاستنطق القرآن والصحفا[٣]

---

(١) انظر: السيرة الحلبية (٣/ ٤٢٦).

(٢) فتح البارى (٧/ ٣٧) وكذلك جمعهم الحافظ بن حجر على النحو التالى:

لقد بشر الهادى من الصحب عشرة

بجنات عدن كلهم قدرهم على

عتيق سعيد عثمان طلحة

زبير ابن عوف عامر عمر على

(٣) ديوان الحافظ ابن حجر (ص ١٤، ١٥).

ولأبى الوليد بن الشحنة بيتان فى العشرة يقول فيهما:

أسماء عشر رسول الله بشرهم
بجنة الخلد عمن زانها وعمر
سعد سعيد وعلى عثمان طلحة أبو
بكر ابن عوف ابن الجراح الزبير عمر

وهذا فصل طويل جدًّا، وبقدر ما هو طويل طريف، ولكنى قد استلهمت هذه الهمسات الرقيقة من رياض الأدب الأنيقة، ومن سيرة سعيد بن زيد ﷺ ومن بقية الصحابة الكرام الذين نحبهم، ونجلهم(١).

﴿ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا ﴾.

وفى ظلال الخلافة الراشدة عاش سعيد بن زيد، وهو يتابع رحلة الجهاد بهمة وعزيمة لا تلين، يرجو بذلك وجه الله تعالى، وثواب الدار الآخرة، لذلك سعى لها ما وسعه لكى يكون من السعداء.

وفى خلافة صهره عمر بن الخطاب كان مقامه محمودًا زاهرًا وكان عمر ﷺ يحبه، ويجله ويحترمه فهو يعرف سابقته وأفضليته، وكان يذكر كيف هبت نسمات الإيمان على نفسه فى داره بمكة، لذلك لما طعن عمر فى صلاة الفجر، وغدر به أبو لؤلؤة المجوسى، لم يجعل سعيد بن زيد فى أهل الشورى لأسباب رآها عمر ﷺ.

ومن هذه الأسباب، أن سعيدًا لم يكن متأخرًا عن رتبة أهل الشورى فى السابقة والجلالة، وإنما تركه عمر ﷺ لئلا يبقى له فيه شائبة حظ، لأنه صهره وابن عمه فأخرج عمر ﷺ من الشورى ولده، وكذلك عصبته وكذلك فليكن العمل لله عز وجل ولعمرى هذا هو الإخلاص(٢).

---

(١) ذكر الإمام أحمد بن محمد القسطلانى فى المواهب علامة حب الصحابة الكرام فقال: ومن محبتهم وجوب توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم، بأن تمشى على سنتهم وآدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن الثناء عليهم بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم، فقد أثنى الله تعالى عليهم فى كتابه المجيد ومن أثنى الله عليه فهو واجب الثناء والاستغفار لهم، قال سهل بن عبد الله التسترى: لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه، ولم يعز أوامره (المواهب اللدنية ٢/ ٣٩٣، ٣٩٤).

(٢) عن سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٨) بتصرف.

ولما مات عمر بكاه سعيد بكاءً شديدًا ــ وحق له أن يبكى ــ فقال له قائل: ما يبكيك؟.

فقال: على الإسلام أبكى، إن موت عمر ﷺ ثلم الإسلام ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة(١).

وامتدت الحياة بسعيد إلى خلافة معاوية رضى الله عنهما حيث توفى فى سنة إحدى وخمسين وعمره بضع وسبعون سنة وكان رجلاً أسمر طويلاً ﷺ.

توفى سعيد فى يوم جمعة بعدما ارتفع النهار، فأتاه عبد الله بن عمر بالعقيق، وترك الجمعة(٢).

وعن نافع قال: مات سعيد بن زيد، فقالت أم سعيد لعبد الله بن عمر: أتحنطه بالمسك؟.

قال: وأى طيب أطيب من المسك؟ هلمى مسكًا، فناولته إياه(٣).

قال محمد بن عمر رحمه الله: مات سعيد ﷺ بالعقيق وحمل فدفن بالمدينة، وشهد سعد بن أبى وقاص وابن عمر وأصحاب رسول الله ﷺ وقومه وأهل بيته وولده على ذلك يعرفونه ويروونه(٤).

ونزل فى قبره عبد الله بن عمر وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم جميعًا.

رضى الله عن الفارس الزاهد سعيد بن زيد، ونفعنا بسيرته وجعلنا نهتدى بسلوكه وهداه، فأعماله قدوة، وأفعاله أسوة.

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٣٧٢).

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى برقم (٣٩٩٠) وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٣٨٥) ومختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٣).

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٣).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٨٥).

الموضـــــوع	الصفحة